(۲۵)

بازرسی شد
۱۷ - ۳۶

نمره
۳۵۵۴۳

سیاسة الملوک

سیاسة الملوک

۳۰۴۷

بازدید شد
۱۳۸۲

۱۷۰۲

کتابخانهٔ مجلس شورای ملی

کتاب سیاحة الملوک

مؤلف [redacted] تاریخ

موضوع [redacted]

شماره ثبت کتاب
۳۵۵۴۳
۸۴۸۲

۵۷۶۷

فهرست شده
۵۷۶۷

(۲۵)

بازرسی شد
۱۷ - ۳۶

۳۵۵۴۳

سیاسة الملوک

سیاسة الملوک

۳۰۴۷

بازدید شد
۱۳۸۲

۳۰۴۷

۱۷۰۲

کتابخانهٔ مجلس شورای ملی

کتاب سیاسة الملوک

مؤلف [redacted]

موضوع [redacted]

شماره ثبت کتاب
۳۵۵۴۳
۱۸۱۷

۵۷۶۷

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته
البعيد بعزته الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر
فلا يمانع والقاهر فلا ينازع والعزيز فلا يضام والمنيع
فلا يرام والمليك الذي له الاقضية والاحكام الذي تفرد
بالبقاء وتوحد بالعز والسناء واستاثر بأحاسن الاسماء ودل على
قدرته بخلق الارض والسماء كان ولا مكان ولا زمان ولا ابيان
ولا انسان فاوجد المعدوم ابداعا واحدث ما لم يكن شيئا اختراعا جل
وتعالى فيما خلق عن احتذاء صورة واستدعاء مشورة وافتقاء رسم ومثال
وافتقار الى نظر وقياس واستدلال ففي كل ما ابدع وصنع وفطر وقدر دليل على انه الواحد
بلا شريك ووزير والقادر بلا ظهير ونصير والعالم بلا تبصير وتذكير

رفع

والحكيم بلا روية وتفكير والحي الذي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير رفع السماء عبرة للنظار وعلة للظلم
والانوار وسببا للغيوث والامطار وحيوة للحبوب
والقفار ومعاشا للوحوش والاطيار ووضع الارض
مهادا للابدان وقرارا للحيوان وفراشا للجنوب والمضاجع
وبساطا للمكاسب والمنافع وذلولا لطلاب الرزق و
ارباب البضائع واشخص الجبال اوتادا راسية واعلاما
بادية وعيونا جارية وانهارا لاجنة الاعلاق حاوية
وجعل البحار مغايض لفضول الانهار ومغابر لسيول
الامطار ومراكب لرفاق التجار ومضارب لمصالح الامصار
ومناجح الاوطار تحوي من الدر والمرجان بنانا وتنبع
من الملح الاجاج عذبا فراتا وتقذف للآكلين لحما طريا
وتحمل للابسين جواهر وحليا واستخلف على عمارة
عالمه من انتخبهم من خلقه وآثرهم بالهامه ودبرهم
باوامره واحكامه وكان اقلهم بهم من لا الكمة حيث

قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون واقام عليهم مهيمنا من
لدنه يهديهم الرشاد ويجذبهم الفساد ويرجيهم الثواب
وينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما اقامه به من الحجة واوضحه
من المحجة حتى ابتعث الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
بالمعجزات الباهرة والدلالات الزاهرة والبينات المتظاهرة
داعين الى توحيده ونادين بتسبيحه وتمجيده فازاح بهم
العلة وازال الشبهة وافاد سكون النفوس ونفى خلاج
الشكوك ولم يزل يستحدث من يشاء من خليقته موسومين
بسنن الانبياء ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة
والامراء حتى انتهت نوبة الخلق الى زمن النبي المصطفى
الامين المجتبى الابطحي الاريحي المرتضى محمد صلى
الله عليه وسلم فارسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا وجعل امته به افضل الامم
وكلمتهم اعدل الكلم وملتهم اوسط الملل وقبلتهم اسد

القبل وسنتهم اقوم السنن وكتابهم اشرف الكتب ووعدهم
ان يكونوا يوم العدل والقضاء الفصل شهداء على من يطرد
الجحود وينكر الواحد المعبود وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا فنسخت بشريعته الشرائع وبصنيعته الصنائع
وبدليله الادلة وببدره الاقمار والاهلة وانتشرت
نبوته مسدّاة بالخلاص ملحمة بالاخلاص معلمة بالتمام
مطرزة بالدوام على تعاقب الليالي والايام لم يفرط فيها
من شيء يقتضي تماما ويستدعي ذروة واحكاما قال
الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فاطلق على الدين لفظ
الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال وانتفائه عن عوارض
النقص والاختلال الى ان قبضه الله جل ذكره اليه
مشكور السعي والاثر ممدوح النصر والظفر مرضي السمع
والبصر محمود العيان والخبر فاستخلف في امته الثقلين

الذين يحمان الأقدام أن تزل والأحلام أن تضل والقلوب
أن تمرض والشكوك أن تعترض فمن تمسك بهما فقد أمن العثار
وربح اليسار ومن صدف عنهما فقد أساء الاختيار
وركب الخسار وارتدف الإدبار أولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فصلى الله عليه
وعلى آله ما أبلج الليل عن الصباح واقترن العز بأطراف الرماح
ونادى المنادي بحي على الفلاح صلاة تكافي حسن بلائه
وتضاهي سابق غنائه وتقضي فرض طاعته وتقتضي
فضل شفاعته وسلم تسليما وبعد فإن الدين والملك
توأمان فالدين أس والملك حارس وما لا أس له فمهدوم
وما لا حارس له فضائع والسلطان ظل الله سبحانه
في أرضه وخليفته على رعاية حقه به تنتظم السياسة
وعليه تستقيم الخاصة والعامة وبهيبته ترتفع الحوادث
والفتن وبآلته تنحسم المخاوف والمحن ولولاه لاختل
النظام وتساوى الخاص والعام وشمل الهرج والمرج وعم

الاضطراب والهيج واشرأبت النفوس إلى ما في طبائعها
من التباغي والتباين والتفاضل والتمايز حتى يشغلهم
ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا ويقيم أودهم يوما وغدا
وإلى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن إذ كان
أكثر الناس يرون ظاهر السياسات فيردعهم
خوف المعاقبة وحذار المؤاخذة عن تنكب الجدد والعدول
عن السمت المقتصد ومن لنا بمن يستقري آي كتاب الله
تعالى بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه منها إماما
يهديه إلى الأصلح وزماما يثنيه عن الأقبح فيكون مؤدب
نفسه ومقوم ذاته ورائض أخلاقه وعاداته
ومعنى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه منتزع
من قوله جل ذكره لأنتم أشد رهبة في صدورهم
من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون فموضوع السيف
للعامة ومجموع القرآن للخاصة وإن كان

للجميع في معانيه مشتركا وبأوامره ونواهيه متشبكا غير
ان العاصي يرى السيف فيرتدع والكاسي يرى الحق فيتبع
فشتان ما بين مدبر ومتحير بغيره ومؤدب ومهذب
بتودد به وقد كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى لقد
ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع
للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي
عزيز لجمعه بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها
من المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط عن جوار المشاكلة
والمجانسة وسألت عنه عدة من اعيان العلماء المذكورين
بالتفسير والمشهورين منهم بالتذكير فلم احصل
منهم على جواب يزيح العلة ويشفي الصدور وينقع الغلة
حتى اعملت التفكر وانعمت التدبر فوجدت الكتاب
قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد
ويفصل جمل الفرائض ويتضمن مصالح الابدان والنفوس

ويتضمن

ويتضمن جوامع الاحكام والحدود وقد حظر فيه التعادي
والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وامر بالتناصف
والتعادل في اقسام الارزاق المخرجة لهم بين رجع
السماء وصدع الارض ليكون ما يصل منها الى اهل الخطاب
بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب
واحتاجوا في استدامة حيوتهم باقواتهم مع النصفة
المندوب اليها الى آلة للعدل يقع بها التعامل ويعم
معها التساوي والتعادل فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي
هي الميزان فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بالمخالفة
فيتهالكوا به اذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع سوغ ظلم
البعض منهم على البعض ويدل على هذا المعنى قوله جل
ذكره والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا
في الميزان وذلك انه تعالى واقيموا الوزن بالقسط ولا
تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء علة للارزاق
والاقوات من انواع الحبوب والنبات فكان ما يخرج

منها من أغذية العباد ومرافق حيوتهم مضطر الى أن يكون
اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك
الا بهذه الآلة المذكورة فيه فنبه الله جل وعز على موقع
الفائدة فيه والعائدة به بتكرير ذكره فكان ما تقدم ذكره
معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم أن الكتاب
الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالسوية
انما يحفظ العام على اتباعهما ويضطر الخاص الى التزام احكامهما
بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند ونزع عن
صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته
وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي
وصفه الله تعالى بالباس الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني
كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي
والمقاطع فظهر بهذا التأويل معنى الآية وبان أن السلطان
خليفة الله على خلقه وأمينه على رعاية حقه بما قلده من
سيفه ومكنه في أرضه وأحق الولاة بأن يكون شريفا نبيها

وعند الله تعالى كريما وجيها من كانت عنايته بنصرة الدين
وحماية بيضة الاسلام والمسلمين أوفر وأوفى ومجاهدته
لاعداء المارقين عن شرايعه المارين دون حدوده و
فرائضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله اشرح للصدور
واشفى وقد علم ابناء البدو والحضر وانشاء المدر والوبر
من حيث مد الصباح جناحيه الى أن ضمهما للوقوع في أفق
الغرب أن راية الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا
واصدق يقينا وأوسع علما واوقع حلما واسد سيرة واخلص
سريرة واتم وفاء واعم سخاء واوفر حياء واغنى غناء
واعظم قدرا وافخم ذكرا وامد باعا واشد امتناعا
واجل جلالة واكمل عدة وآلة وارفع ملكا وسلطانا
واطوع انصارا واعوانا واروع سيفا وسنانا واحمى للاسلام
وذويه وانفى للشرك ومنتحليه واعدى للباطل ومن يليه
اكتنانا وودانة وطباعا واستفادة من الامير السيد الملك
المؤيد يمين الدولة وامين الملة أبي القسم محمود بن ناصر

الدين ابي منصور سبكتكين اطال الله بقاءه ملك الشرق
بجنبتيه والصدر من العالم ويديه لانتظام الاقليم الرابع بما
يليه من ثالث الاقاليم وخامسها في حوزة ملكه وحصول ممالكها
الفسيحة وولاياتها العريضة في قبضة ملكه ومصير امرائها
وذوي الالقاب الملوكية من عظمائها تحت حمايته وجبايته
واستيذائهم من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته واذعان
ملوك الارض من بعدهم لعزته وارتياعهم من فائض هيبته
واحترامهم على تقاذف الديار وتحاجز الانجاد والاغوار
من فاجئ دكضته واستخفاء الهند والروم تحت جيوبها
عند ذكره واقشعرارهم لمهب الريح من ارضه وقد كان ادام
الله دولته مذ لفظه المهد وجفاه الضرع وانحلت عن
لسانه عقدة الكلام واستغنى بالاشارة عن الافهام
مشغوك اللسان بالذكر والقرآن مشغوف النفس
بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالي الامور معقود
الامنية بسياسة الجمهور لعبه مع الاتراب جد وجده

مستكذ

مستكذ يالم لما لا يعلم حتى يقتله خبرا ويحزن لما يحزن
حتى يديمه قسرا وقهرا وكان الامير الماضي انار الله برهانه
يرى الدنيا بعينه ويسمع باذنه وينطق بلسانه ويستحلي
مذاق العيش به ويستطيب روح الهواء بقربه ويستفتح
مغالق الامور بيمنه ويستحمد عواقب الخطوب بأسه ولم
يزل بين سحره ونحره الى ان استنزلته رؤية البلوغ
وبصيرة الادراك عن حجره ولم ينفك يتدرج بين الطافه
وكراماته وولاياته واقطاعاته من رتبة الى اخرى اعلى منها
مكانا وارفع شانا الى ان ولي قيادة الجيوش والعساكر بخراسان
وهي الرتبة التي طالما تشاجر عليها كباش الرجال وقروم الابطال
فلم يحظ بها الا العدد اليسير الذين سار ذكرهم في الآفاق
وتسامع بهم رجالات خراسان والعراق سناء وقدرا ودهاء
ونكرا ونهاية وحشمة ونباهة ونعمة هذا على طراءة سنه
ونضارة غصنه وعنفوان امره وريعان شبابه وعمره كما قيل
قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته اذ ذاك في اشغال

تعددت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال
وهو حتى الآن ملك خراسان بأسرها ونواحي سجستان عن
آخرها وبلاد نيمروز بحذافيرها وجبال الغور على حصاناتها
ودوخ السند فاستباحها وغزا الملتان فاجتاحها وتوغل
الهند غزوا على غزو فنكأ جراحها وأذل لقاحها وجاس مغانيها
وربائعها وافتتح صياصيها وقلاعها وأقام عن بيوت الأصنام
مساجد الإسلام وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد
والإيمان فصارت الأطفال تهدد في بطالاتها
بإقدامه وتفزع بإقبال ألويته وأعلامه فطل أنديالهم
وجيپالهم وكيپالهم وأبطالهم كما قال الأشجع السلمي
وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته وإذا هدا سلت عليه سيوفك الأحلام
وجاد الله له من البسطة في العلم والحلم والهيبة بالأنام
والجسم والظفر بأجابيش الأعداء في وقائع يعز صبر النفوس
على أمثالها وتكاد الأرض تمور من أهوالها لم يسمع بمثله

حين لأحد من الملوك إلا عن أساطير الأولين أريد بها التهويل والتطويل
والتعجيب والتغريب دون الحقيقة التي يشهد بها العيان ويقوم
عليها البيان والبرهان فلو نشرت صحائف الدول الإسلامية
وأيام الملة الحنيفية لكانت دولته غرة تلك الدول
ومساعيه فيها طراز تلك الحلل إذ لم يقتن أحد من سلف الملوك
من غرر المكارم وزهر المناقب والمفاخر ما اقتناه هو بنفسه وأبيه
وآثاره ومساعيه ولما جاز الله له كرائم الخصال ووفاه
طبع الكمال في معاني الكمال سياسة أزرت بأردشير في
زمانه والمنصور في سلطانه وهيبة خفقت لها جنادب
الليالي النائمة وخدت عليها عيون الأراقم العارمة وعدلا
ضم بين الضدين حتى النار إلى الماء وألف بين الذئاب الطلس
والشاء فكفيت الأيام شبا الأطراف والقرون صلابة
الأجواف وكانت أيامه مشغولة بمر السياسة عن مر الدراسة
وبغرض السيادة عن نقل الاستفادة لطف الله تعالى له
بأولاد كالنجوم الزواهر بل الليوث الخوادر بل السيوف البواتر

بالعقبان الكواسر من لم ترمق الألحاظ أشخاصًا توازيهم
فخامة وجلالا ووسامة وجمالا وسعادة وإقبالا وسماحة
وإفضالا وعلومًا وآدابًا ولفظًا وكتابًا وحفظًا وحسابًا
وأخلاقًا مرة وعذابًا فجمع الله له تمام السعادة وقصر
عليه أدوات السيادة وقيض الشيخ الجليل شمس
الكفاة أبا القسم أحمد بن الحسن لوزارته وتدبير أمور مملكته
من ذخره الله لزمان صادف فترة من أحرار الرجال وأبناء
الفعال فلم يطبع مثله على غراره ولم يصنع شرواه في
مضماره سجاحة شيم ودماثة كرم وسماحة كف وفصاحة
قلم وهمة ترى الدنيا هباءة بين أخواتها الثائرة بل نقطة
موهومة من نقط الدائرة وغدت سدته نفيقًا للفضل
وأهليه وسوقًا للأدب ومنتحليه تجلب إليه بضاعات
الفضائل بين منظوم ومنثور ومختوم ومنشور وقد
صنف طبقات الأدباء والكتاب تصانيف في ذكر أيامهم
وتصاريف أحوال الزمان بهم بحسب توسعهم في البيان وسبقهم

من بلاغة الخاطر والبنان حتى إن أبا إسحق إبراهيم بن هلال
الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في أخبار الديلم موشّى بحبير
ألفاظه الساحرة ومغشّى بحلل معانيه الزاهرة فحل عقد البيان
بما قيده وبيض وجه البلاغة بما سوده وإن لم تكن دولة تقتضي
إثبات محاسنها بالتخليد وتقييد مآثرها بالتأبيد فمن هي التي
تقتضي الأدباء أن يحتفلوا بتقرير معاليها كلامهم ويحلوا بجواهر
مساعيها أقلامهم أدركها الماضون من أرباب التصانيف لوددوا
لو كانت ألفاظهم عن غيرها معزولة وإلى ذكر محاسنها
منقولة ولحدثتهم أنفسهم بأن يعتذروا اعتذار أبي نواس بقوله

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ يومًا بمدحة لغيرك إنسانًا فأنت الذي نعني

وقد كنت أقدر أن بعض صنائع هذه الدولة ممن له حظ في الصناعة
وتوجه في طرق البلاغة يرتاح لتقييد أخبارها وجمع كتاب في
تصاريف أحوالها وأطوارها من لدن قام الأمير الماضي أنار الله
برهانه أميرًا إلى أن أجلى أبا علي محمد بن محمد بن إبراهيم بن

سبكتكين عن خراسان كسيرا وحصله من بعد بيده أسيرا
وولي أمورها سياسة وتدبيرا وما تقلده في أثناء ذلك كله
من إعانة الامير الرضي أبي القسم نوح بن منصور رحمه الله و
نصرته واستجابة ما لطفا إليه من دعوته والمدافعة عن
بيته وحوطته واستبقاء ما فضل عن ذؤبان الترك من ولايته
وكفهم بترغيبه وترهيبه عن إذالة حشمته واستباحة ما سلم
عليهم من نعمته محافظة على حقوق سلفه الألى طالما اصطنعوا
الصنائع وأودعوا الودائع وبثوا العوارف والرغائب وأنفقوا
الأموال والحرائب حتى كنزوا المحامد وعرفوا الحرمات
أقدارها وحفظوا على البيوتات أستارها وقضوا النفوس
المنقطعين إليهم أوطارها إلى أن ورث السلطان المؤيد يمين
الدولة وأمين الملة مكانه فخلفه في ترتيب الأمور وتدبير الجمهور
وتألف الإخوة والأقارب واستمالة القلوب ببذل الرغائب
إلى أن استقل بسرير الملك مطاعا وتناهضت ولاة الأطراف
إلى بيعته سراعا فوجدتهم قد عولوا في معانيها على ما سار في

الكائن للجم من أشعار الفارسية لازدحام شعرائها على بابه
الرفيع بقصائدهم التي قد غبروا بها في ديباجة الرودكي
وصنعة العنصري والدقيقي ولعمري إنها كانت كافية شافية
ومن وراء الإشباع والإقناع آية ولكنها ذوائب خراسان
لا تعرف عن ديارها ارتحالا ولا تألف غير أوطانها مجالا
فاقتضاني حكم ما أسلفته في هذا البيت الرفيع من خدمة
ولابسته أيام الأمير الماضي قدس الله روحه من بركة
اصطناع ونعمة ثم مارسته لي الأمير الأجل السيد أبو أحمد
محمد بن يمين الدولة وأمين الملة أن أتبع أهل العراق
بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كتابي البيان
يتخذونه سميرا على السهر وأنيسا في المقام والسفر ويعرفون
به عجائب آيات الله تعالى في تبديل الأبدال وتقليب الأمور من
حال إلى حال مبتدئا بذكر الأمير الماضي أكرم الله
مآبه من حيث نشأت نبعته وتفرعت دوحته إلى أن
استعان به الأمير أبو القسم نوح بن منصور برد الله

مضجعه فی تلافی دولته والانتقام له من ابی علی محمد بن
ابراهیم بن سیمجور حین یده من طاعته واستجره بجفی
مسئلته عن ادراقامته لکفایة ما دهاه من امره وامر
من طابقهم من الترک علی جفوته واطمعهم برسائله ووسائله
فی تورد فی مملکته وما جری علی یده من الفتوح المأثورة
والمقامات المشهورة ومتبعا ذلک بلواحقه من وقایع
السلطان الاجل یمین الدولة وامین الملة فی الهند والترک
والخلج وما اتیح له فیها من النصر والفلج وما یتصل بها من
اخباره واخبار ولاة الاطراف فی جواره والله ولی
المعونة علی ذلک المنشود واصابة الغرض المقصود بمنه
وفضله وکرمه وطوله

ذکر ایام الامیر الماضی ابی منصور سبکتکین رحمة الله علیه ورضوانه

قد کان ذلک الامیر قدس الله روحه فی جملة ابی

النفس حمی الانف جری القلب قوی البطش کریم
الخیم رضی التدبیر کبیر الهمة کثیر الحکمة یتبین ذلک کله
فی خصاله وخلاله ومتصرفات عزائمه واحواله وحکی
لی ابو الحسین جعفر بن محمد الخازن انه کان وردنا
ایام الامیر السدید منصور بن نوح فی جملة ابی اسحق بن البتکین
صاحب جیوش خراسان وهو اذ ذاک حاجبه الکبیر ووجهه
العزیز وعلیه مدار اموره وبیدیه مناط شؤونه وعرفه
ارکان تلک الدولة بشهامته وغنائه وصرامته ومضائه
ولو سموا فیه الارتفاع الی الیفاع بهمته وذکائه فحین
صرف ابو اسحق الی غزنة والیا علیها وسادا مسد ابیه بها
انصرف هو بانصرافه علی جملته فی زعامة رجاله ومراعاة
ما وراء بابه فلم یلبث ابو اسحق بعد معاودته ایاها ان
قضی نحبه وودع عمره ولم یبق من قرابته وبطانته من
المحله ومکانته فاضطر العدد الدهم من موالیه وموالی
ابیه الی من یتولی زعامتهم ویتکفل بحسن الایالة خاصتهم

وعاشتهم فلم ينفكوا مختلفين في الاختيار ومتخاطبين غب الاختبار
الى ان اجتمعت كلمتهم على تأميره واتفقت آراؤهم على
الرضا بتدبيره والاذعان لحكم تقديمه وتأخيره فأصبحوا
بأيمانهم طائعين وجاءوا بأيمانهم مبايعين فولي برأي
صليب وحزم عجيب واهتمام شديد وقيام بمصالحهم حميد
ولم يزل يركض بهم على اطراف الهند غازيا مجاهدا اعداء
الله الكفرة بها ومفتتحا قلاعها ومستخلصا ديارها
ورباعها ومحكما سيوفه في اهلها مؤمنا من اسلم وشهد وقاتلا
من اشرك وجحد وجرت بينه وبين عساكر الهند حتى عيّوا
بأمره وتضافروا على مقارعته واستكفاف عادية حروب
لبس فيها جلد النمر وآذنت نارها بأريث المتذمر وعض في
معاركها على جذم التصبر وجافى الجنب عن الضجعة واقنع
النفس بالطوى والمخمصة وانضى تحته مركب الحمية وحمل
اصحابه ورفقاءه على لذة الامنية او راحة المنية كأنما
عناه عمرو بن الاطنابة الانصاري بقوله

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإجشامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

وحكى لي رحمة الله عليه في عِرض ما كان يذكره من
مواقفه ومقاماته وآثاره في العدو ونكاياته انه وافقهم
في بعض وقائعه بهؤلاء الرفقاء ونحن في العدد اليسير وهم
في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة الحروب حتى أقوى
الناس من الزاد وعجزوا عن الامتيار والاستعداد ولم يكن
أمامنا الا السيوف القواضب ووراءنا الا المهامه والسباسب
فصرخوا الي بما دهاهم وسألوني حيلة الثبات على ما عراهم
فعرفتهم اني كنت استصحبت لخاصتي على سبيل الاستظهار
مزودا من السويق وهو الآن قسمة بيني وبينكم عدلا سواء
بالغا ما بلغ بقدر الكفاية الى ان يمن الله تعالى بالفرج وكشف
هذا الضيق والحرج وكنت أجدح لهم أياما عدة لكل منهم أولا
ولمن بعدهم آخرا قعبا صغيرا فيجتزئ به طول النهار والليل

ونحن على ذلك بين معالجة المكروه ومكابدة المحذور وملاقاة
السيوف والسهام بحر الوجوه والصدور الى ان وهب الله
النصر واهب الظفر واحاق سوء العذاب بمن كفر فولوا
الادبار بين قتيل مزمل وجريح مرمل وعقير مرهق واسير
بالقد موثق وسمعته يذكر ما كان من حسن تدبيره وتقديره
عند افضاء الامر اليه واقتصار الامارة عليه وتراجع
حاله عن التوسع في الانفاق والتحقق في البذل والاطلاق
وانه كان كاحد رفقائه في الحال والمال واحتاج مع ذلك
الى ان ياخذ لمؤنة الزعامة عليهم من نفقاته الراتبة فكان
يدخر منها ما يفي بضيافتهم في الاسبوع دفعة او دفعتين
ولم يزل على هذه الجملة الى ان اتسعت حاله فزادهم بحسب
الزيادة الى ان استكمل اسباب السيادة فكان كما قيل
نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما
ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت
ارض خزانته واشفقت النفوس من هيبته وتعلقت الاطماع

بمعونته وكان من احدى فتوحه ناحية بست وسبب ذلك
ان بايتوز كان قد ملكها على طغان احد الامراء كان بها غصبا
واجلاه عنها حربا ونهبا فلجا هو الى الامير الماضي رحمه الله
مستظهرا به ومستنفرا اياه عليه بمال يضمنه وولاء
يرهنه وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة
يلتزمها فلبى نداءه وحقق رجاءه وناهض خصمه بمعظم
جيوشه حتى اناخ بباب بست وبرز بايتوز الى معسكره
فتناوشا القتال كاشد ما يكون نفحا بالصفاح ومشقا
بالرماح واثخانا بالجراح فلما اضطرب الفريقان والتقت
حلقتا البطان حمل الامير الماضي من قلب عسكره حملة كشفتهم
عن مقامهم واغصت شوارع البلد بهم وداركت عليهم الحملات
من كل اوب حتى جلوا عنها مفلولين وتفرقوا في متون
الهضاب وبطون الاودية والشعاب مخذولين واستقر
طغان بها شاكرا احسانه وموجبا بحقيقتها اوجب عليه ضمانه
وبذل به دهنه ولسانه وهو يمثل في ذلك سرا بين وعلن

وَاخْتِلَافٍ وَيَتَرَجَّحُ بَيْنَ وِفَاقٍ وَخِلَافٍ حَتَّى إِذَا حَانَ حِينُ
الأَدَاءِ طَالَبَهُ الأَمِيرُ بِالوَفَاءِ وَأَغْلَظَ لَهُ فِي الاقْتِضَاءِ لِمَا رَآهُ
مِنْ فَرْطِ الإِبَاءِ وَالالْتِوَاءِ وَهُمَا عَلَى صَحْرَاءَ غَامِضَةٍ بِغِلْمَانِهِمَا
وَأَتْبَاعِهِمَا فَحَدَّثَتْهُ عَجْرَفِيَّةُ الطَّبْعِ بِالمَنْعِ وَلَمْ يَرْضَ بِالقَوْلِ حَتَّى
انْتَضَى سَيْفَهُ وَصَوَّبَ يَدَ الأَمِيرِ ضَرْبَةً أَوْسَعَتْ جُرْحَهَا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ غَدْرَهُ أَهْوَى لَهُ بِيَدِهِ إِلَى سَيْفِهِ وَهِيَ تَشْخُبُ دَمًا فَضَرَبَ
مَنْكِبَهُ ضَرْبَةً انْتَصَفَتْ لَهُ مِنْهُ وَطَلَبَهُ بِأُخْرَى فَحَجَزَ عَنْهَا اخْتِلَاطُ
الفَرِيقَيْنِ وَأَهَابَ الأَمِيرُ بِرُفَقَائِهِ وَغِلْمَانِ دَارِهِ إِلَى طَرْدِ
الغُوَاةِ وَحَطْمِهِمْ وَتَنْبِيضِ تِلْكَ النَّوَاحِي مِنْ سَوَادِهِمْ فَلَمْ يَبْلُغِ
النَّهَارُ إِلَّا وَبُسْتُ لَهُ صَافِيَةٌ وَأَطْرَافُهَا عَنْ ذَوِي الخِلَافِ
خَالِيَةٌ وَبِشِعَارِ دَوْلَتِهِ حَالِيَةٌ وَامْتَدَّ بَايْتُوزُ وَطُغَانُ إِلَى
نَوَاحِي كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَلَمْ يَحْلُمْ أَحَدٌ مِنْهُمَا بِأَنْ يَلْتَفِتَ
وَرَاءَهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَمَنَّى لِقَاءَهُ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا اسْتَصْفَى
ذَلِكَ الأَمِيرُ مِنْ صَفَايَا النِّعَمِ أَبُو الفَتْحِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ البُسْتِيُّ
الكَاتِبُ صَاحِبُ التَّجْنِيسِ رَحِمَهُ اللهُ فَإِنَّهُ كَانَ كَاتِبًا لِبَايْتُوزَ

فلما

فَلَمَّا اسْتَمَرَّتْ بِهِ الكَشْفَةُ أَعْيَتْهُ صُحْبَتُهُ فَتَخَلَّفَ عَنْهُ وَذَلِكَ
الأَمِيرُ عَلَيْهِ وَاسْتَحْضَرَهُ وَمَنَّاهُ وَاعْتَمَدَهُ لِمَا كَانَ قَبْلُ مُعْتَمَدًا لَهُ
إِذْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى مِثْلِهِ فِي آلَتِهِ وَكِفَايَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَهِدَايَتِهِ
وَحُنْكَتِهِ وَدِرَايَتِهِ وَحَدَّثَنِي أَبُو الفَتْحِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ لَمَّا
اسْتَخْدَمَنِي الأَمِيرُ المَاضِي وَأَحَلَّنِي مَحَلَّ الثِّقَةِ الأَمِينِ عِنْدَهُ فِي
مُهِمَّاتِ شَأْنِهِ وَأَسْرَارِ دِيوَانِهِ وَكَانَ بَايْتُوزُ بَعْدُ حَيًّا وَحُسَّادُهُ
يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالقَدْحِ فِيَّ وَالجَرْحِ لِمَوْضِعِ الثِّقَةِ بِي لِمَا
أَشْفَقْتُ لِقُرْبِ العَهْدِ بِالاخْتِيَارِ مِنْ أَنْ يَعْلَقَ بِقَلْبِهِ شَيْءٌ
مِنْ تِلْكَ الأَقْوَالِ وَيُقَرْطِسَ غَرَضَ القَبُولِ بَعْضُ تِلْكَ النِّبَالِ
فَحَضَرْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقُلْتُ إِنَّ هِمَّةَ مِثْلِي مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ
لَا تَرْتَقِي أَكْثَرَ مِمَّا رَآنِي الأَمِيرُ أَهْلًا لَهُ مِنِ اخْتِصَاصِهِ وَاسْتِخْلَاصِهِ
وَتَقْرِيبِهِ وَتَرْتِيبِهِ وَاخْتِيَارِهِ لِمُهِمَّاتِ أَسْرَارِهِ غَيْرَ أَنَّ حَدَاثَةَ
عَهْدِي بِخِدْمَةِ مَنْ كُنْتُ بِهِ مَوْسُومًا وَاهْتِمَامَ الأَمِيرِ بِنَفْضِ مَا بَقِيَ
مِنْ شُغْلِهِ يَقْتَضِيَانِي أَنْ أَسْتَأْذِنَهُ فِي الاعْتِزَالِ إِلَى بَعْضِ
أَطْرَافِ مَمْلَكَتِهِ رَيْثَمَا يَسْتَقِرُّ لَهُ هَذَا الأَمْرُ فِي نِصَابِهِ فَيَكُونَ

ما آتيه من هذه الخدمة أسلم من التهمة وأقرب إلى
السداد وأبعد من كيد الحساد فأدلج لما أسمعه وأوقعه
من الأجماد موقعه فأشار علي بناحية الرخج وحكمني في
أدونها أتبوأ منها حيث أشاء إلى أن يأتيني الاستدعاء فتوجهت
نحوها فارغ البال رائع العيش والحال سليم اللسان والقلم
بعيد القدم من مخاضات التهم قال وكنت أدلجت ذات
ليلة وذلك في فصل الربيع أؤم منزلا أمامي فلما أصبحت
نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح
ضياء الشروق طرفي على قرية ذات منية محفوفة بالخضر
مغمومة بالنور والزهر وأمامها أرض كأنها مفروشة
ببساط من الزبرجد منجد بالدر والمرجان موشح بالعقيق
والعقيان يتسلسل بينها أنهار كبطون الحيات في صفاء
ماء الحيوة وقد نعمني من نسيم هوائها عرف المسك السحيق
والعنبر الفتيق فاستطبت المكان وتصورت منه الجنان
وفزعت إلى كتاب أدب قد كنت استصحبته لأخذ الفال

على المقام أو الارتحال ففتحت أول سطر من الصفحة عن
بيت شعر وهو   وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوز
فقلت هذا والله الوحي الناطق والفال الصادق وتقدمت
بعطف ضبنتي إليها وغنيت ستة أشهر بها في أنعم عيش
وأرخاه وأهنأ شرب وأمراه إلى أن أتاني كتاب الأمير
في استدعائي إلى حضرته بتبجيل وتأميل وترتيب وترحيب
فنهضت إليها وحظيت بما حظيت به منها إلى يومي هذا
وكان اختياره ذلك أحد ما استدل به ذلك الأمير على
رأيه ورزانته ودرجه به إلى المحل ومكانته وصار من
بعد ينظم بأقلامه منثور الآثار عن حسامه وينسج
بعباراته وشائع فتوحه ومقاماته وهلم جرا إلى زمان
السلطان يمين الدولة وأمين الملة فقد كتب له
عدة فتوح إلى أن أخرجه القضاء عن خدمته وبلده
إلى ديار الترك من غير قصده وإرادته فمات بها غريبا
ولم يجد من مساعدة الزمان نصيبا ولما استتب للأمير

تلك النواحي واستقرت على شعار دعوته الاقاصي والاداني
وصفت له اسرارها ودرت عليه اخلافها استخلف عليها
من اختاره من ثقاته وخواصه وكانت بلاد قصدار قد
وقعت من وراء بيضته ومرد عليه واليها لحصانة اطرافها
ونواحيها وخشونة مصاعدها ومهاويها فظن ان بعد
الشقة وحزونة المضرب وضيقة المدخل ووعورة المتغلغل
ما نعته من الدمور عليه وقاطعته دون الوصول اليه فلم يرعه
الا صيحة الغارة واحداث الخيول به كالخط في الاستدارة
قد طوى اليه تلك الطرق القاصية والقلل العاصية المتناصية
في ذكنة لم ينل جنبه فيها قرارا ولا عينه غرارا ولا خيله
جماما الا لماما فهجم عليه في ربعة بنفسه وصحبه فاخذه
اخذ المقتضب شاته عجلان يشويها لقوم نزل فكان صباحه

كما قيل

اذا خرس الفحل وسط الحجور وصاح الكلاب وعق الولد

ثم راى ان يمن عليه ويرجع اليه ما كان بيديه فاطلقه
تطولا وانعاما واعاده الى مكانه احسانا وامتنانا ووافقه
على مال يعجله وآخر في كل سنة يحمله فعمرت باسمه تلك
المنابر واشترك في العلم بحاله الوارد والصادر والغائب
والحاضر ولم يزل بعد ذلك يدارك الركض على اطراف
الهند غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا كانت مرتفعة في
جبالها مطمعة باموالها ممتنعة برجالها وحصلها كلها في
يده ونظم خزائنها في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود حتى
افتتح بلادا لم يسكنها قبل الا كافر ولم يطأها للاسلام خف
ولا حافر وحين علم جيبال الهند ما دهاه ممن يطوي مسافة
ملكه ويقبض من اطراف ولايته ويلصق الثور والحسار
بمن يجاري عن حوزته اخذه المقيم المقعد وملكه المزعج المكمد
وراى الارض قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه وعشيرته
واعيان جيوشه وكاكرته وما خف من ثقال فيلته
يريد الانتقام منه بوطئ عرصة الاسلام واستباحة حلته
الحرام يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان

بينه نوده ولوله الكافرون وساد كما هو حتى جاوز لمغان دانيا
من ولاية الامير ذو الواثق بطوله الساكن الى قوته وحوله
وقد باض الشيطان في راسه وفرخ وسوى السوداء في دماغه
وطبخ فهو يظن الظنون ويعد في حساب الحسبان ما لن
يكون ولما سمع الامير بتورده وتغلبه استعد لمناهضته
وجمع اولياءه على محاجزته واستجاش من مطوعة الاسلام
من وجب استجاشتهم لمناصبته وكف باسه وعاديته وبرز
من غزنة متوجها نحوه وقاصدا قصد بغيه في الجهاد ونية
وحمية للاسلام ابية ووافقه بين الناحيتين في رجال
كقطع الليل او دفع السيل ومعه السلطان يمين الدولة
وامين الملة كالليث الخادر والعقاب الكاسر والموت
الكاشر لا يؤم صعبا الا ذلله ولا يروم عقدا الا حلله
ولا يزحم منكبا الا حطمه ولا يضا ولا قرنا الا افاح دمه
ونشبت الحرب بينهم اياما ولاء وادرت عليهم كؤوس
الطعن والضرب ملاء حتى سكر الفريقان من سورة

بصوله

الطعان وبقرب تلك المعارك مما يلي لمغان عقبة تعرف بعقبة
غوزك يتحفض عنها طرف العقاب ويعسكر دونها جيش
السحاب ذات مهاوي ومشارف ومثان ومعاطف وفي
بعض اوهادها شريعة ماء كالشريعة الحنيفية في الطهارة
لا تقبل قذرا ولا تحمل غثاء ولا عثرا فان القي شيء من القاذورات فيها
اكفهرت له السماء واختلفت النكباء واظلمت الشواهق
والاعنان وغصت بالدهور الآفاق حتى يرى الموت الاحمر
عيانا والعذاب الاكبر حقيقة وبيانا فعندها امر الامير
رحمه الله بالقائها ضربا من النجاسات تعمدا فقامت القيمة
على الكفرة الفجرة وتوالت عليهم الصواعق والقوارع
واحاطت بهم الرياح الزعازع ومدت السماء عليهم سرادق
البرد والخصر واثارت زوابع الاعصار والقتر حتى عميت
عليهم المذاهب والمسارب وانسدت دونهم المساري
والمسارب فاستسلموا لفرط الهول والوجل وشهدوا وابان
قد شاهدوا الموت قبل الاجل وارسل جيبال يطلب الصلح

وفد الى الامير الناصر

ويستكف الحرب على مال يؤديه وحكم للامير في فيلته وتملكه
يمضيه فهم الامير باجابته الى ملتمسه اشفاقا على اوليائه او
لصواب عنّ له في رايه فنهر السلطان يمين الدولة وامين الملة
اولئك الرسل نهرا وابى ان يكون فيصل الحرب الا عنوة
وقهرا حمية للاسلام والمسلمين وثقة بالله رب العالمين
فانصرفوا بما عرفوا من صورة الحال وضيق المجال فاضطر جيبال
ما اعياه من الحيلة في امره الى اعادتهم في طلب المكافة خاشعا
والتماس الموادعة طائعا ضارعا وكانت زبدة كلامه انكم قد
عرفتم حمية الهند واستهانتهم بالموت اذا طرقهم طارق محذور
وحزبهم حازب مكروه فان يكن امتناعكم عن الصلح طمعا
في الغنيمة والفيء والفيلة والسبي فما هو الا صريمة عزم نمتطيه
في استهلاك الاموال وسمل الافيال وعرض العيال على النيران
ومشي الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب وظبات السيوف
ثم شانكم وما يبقى من جماد ورماد وموات ورفات فلما سمع
الامير ذلك من كلامه واحس مصدوقة ما هم به عنده

ياسه من مرامه ورأى حظ الدين واربابه في موادعته واستنزاله
عن ماله وعدته اربح من تخليته وما اختاره من التقاطع
بالسيوف والتهافت في الوقود فوافقه الامير السيد يمين
الدولة وامين الملة على كف يد الازهاق عنه على الف
الف درهم شاهية وخمسين راسا من الفيلة ضمنها نقدا
وعلى عدة بلاد وقلاع في سرة مملكته كان اشترطها عليه ان
يسلمها الى من يتسلمها من جهته بعد ان يبعث اليه برهائن
من عشيرته واعزته على الوفاء بما يضمنه والانجاز بما يعده
فقبض المال والفيلة نقدا ووافقه على البلاد المذكورة
وعدا وارسل معه بمسألته وحاجته دليلين يعدلان به
عن المعتسف ويقفان به على القصد في المنصرف وبعث معه
بعدة من ثقاته لتسلم الاماكن المشروطة منه فلما اوغل
به المسير ورأى انه قد خف عنه الطلب واسترخى اللبب
حدثه خبث الضمير بالاخلاف واذكره عجز الراي في استيناف
الخلاف واعتقل من كان في صحبته للاعتياض عنهم

من عشيرته وقدّر الامير الماضي ان الذي بلغه من امره ارجاف
يردده خلاف وباطل ليس له حاصل الى ان تناصرت به الانباء
فبرح الخفاء وانكشف الغطاء وعلم ان الله تعالى قد طبع على
قلبه وحال بينه وبين رشده ليحيق به وبال امره ويحق عليه مآل
كفره وشحذ غرار عزيمته لغزو بلاده وتخليصها عن خبث
شركه والحاده ونهض في الكماة من غلمانه والحماة من
ثقاته واعوانه متوكلا على الله وحده ومستنجزا في النصر
وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند فلم يبرز له بارز من
اعوان جيبال وجنوده الا وسعهم طحنا واستلحمهم ضربا
وطعنا وقصد لمغان وهي كورة بحصانة الاطراف
وغزارة الاخلاف مشهورة فافتتحها عنوة واقتدح نارا
واضرم بعضها على الكفار نارا وهدم بيوت الاصنام واقام
فيها شعار الاسلام ومضى عنها قدما يفتح البلاد ويقتل
الارجاس الاوغاد حتى اذل المشركين وشفى صدور
قوم مؤمنين ولما اربى على الغاية في النكاية واربى على قدر

الامكان في الاثخان وبردت يده وايدي اوليائه بما غنموه
من كرائم الاموال وغنائم تلك البلاد عطف الاعنة وراءه
كريم الظفر حميد الورد والصدر وتطايرت كتبه الى الآفاق
بذكر ما فتح الله للاسلام على يده فاشترك الناس خاصة وعامة
في الارتياح له والانشراح لموقعه والشكر لله تعالى على ما
اتاحه فيه من صنعه ولما رأى جيبال ما قد دهاه جزاء
عما نقضه من عهده ونكثه من مرائر عقده ورأى جنوده
ووجوه رجاله جزر السيوف القواطع وطعم النسور والخوامع
سقط في يده وفت في عضده ونالته منه الندامة وقامت عليه
القيامة وبقي زمانا مبهوتا على حاله لا يعرف الرأي في ظهر
ادباره او في وجه اقباله ثم حركته الانفة لاستئناف
المناجزة طلبا للثأر وطمعا في الانتصار ففكر ودبر واقبل
وادبر ثم عزم فقرر ونادى فحشد وثار في مائة الف او
يزيدون وبلغ الامير الماضي خبره فقابل اقباله بالاستقبال
وحرض المؤمنين على القتال وسار بقلب منشرح وامل

منفسح حتى اذا ادنات الخطى بين الفريقين فرع الامير ثنية مشرفة
على سواد الكفرة فاذا النمل منشورا والجراد مبثوثا فراعه منهم
ما يروع الذئاب من سوام الغنم والليوث الجياع من هوامي
النعم وحث اولياء الله على الكفرة القلف فاجابوه سراعا
بقلوب محشوة بالدين مملوة من صدق اليقين وتقدم اليهم
بان يتناوبوا الحملات بينهم في كل حملة خمس مائة غلام
بالدبابيس الحاطمة والطبرزينات الهاشمة حتى اذا ابلوا
عذرهم في الجهاد خلفهم من اضرابهم من ينوب منابهم ضربا
وحصا وطعنا وطحنا ففعلوا ما امر واجتهدوا ما رسم فلم تزل
عن حالهم حتى استغاث الملاعين من حر الوطيس ووقع الدبابيس
وهموا بان يجعلوها حملة واحدة تزعزع الاقدام وتقتلع
الجيش اللهام فعندها حمي الوطيس واختلط المرؤوس والرئيس
وتداعت الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف واختلفت
الضربات فمن واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام
وثارت عجاجة غبراء سترت العيون عن الاشباح فلم تعرف

الصفاح من الرماح ولا الرجال من الافيال ولا الابرار من الفجار
ثم انجلت عن هزيمة الانجاس الارجاس واسلامهم عدتهم وعتادهم
واسلحتهم وازوادهم وفيلتهم وكراعهم وقد غصت البيداء بجيف
قتلاهم بين جريح بحد الحسام وطريح من هول ذلك المقام سنة
الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولوت
الهند بعد ذلك اذنابها على رؤسها ورضوا بان يسلموا من حر
الطلب في اقاصي ديارهم ويتركوا في شعارهم بمنابت اشعارهم وصفت
تلك النواحي بذلك للامير ودرت عليه اخلاف الاموال وانحلت
له عقد الجبايات وحصل له من وجوه الغنائم وغيرها ما ابتاد به
من الهيبة الحربية وكثف سواد جيوشه ودانت له الافغانية
والخلج فمتى شاء استثار منهم الالاف لخدمته وامتهن منهم
الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفرض طاعته وعند
ذلك وجبت اغاثة الامير الرضي ابي القسم نوح بن منصور والي
خراسان واعانته على جيوش الترك الذين اجلوه عن دار مملكته
بخارا وزحزحوه عن وطنه بها حتى فرق دماءهم واضطرهم الى الانهزام

وآراءهم كرماً لم ينبسط له غيره من أولياء تلك الدولة وأنشأ تلك
النعمة لا جرم أن الله تعالى جاز له جماله وذكره وقصر عليه
سناءه وقدره وجعل كدحه سبباً لانتقال الملك إلى ولده
وتوطئة لبقاء العز في عقبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم

ذكر الاسباب التي اطمعت الترك في ولاية الامير ابي القسم نوح بن منصور وتوسط مملكته وانجلاء غمته وخطته

قد كان انتقل
الملك إليه في شهور سنة خمس وستين وثلثمائة واجتمع أولياؤه
وحشمه على بيعته بعدما أطلقت وعود بنيات فرقت
حتى تبدد شمل الأموال التي كانت ذخائر السامانية من قبل
يكدحون لها ويدأبون لجمعها كأبي الفضل البلعمي وأبي جعفر
العتبي ومن كان ينتصب منصبهما في الوزارة وتدبير
أمور المملكة وكان أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن سيمجور

إذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور فتلطف له الأمناء به وعقد البيعة
له على صغره وحداثة سنه وضوعفت له الصلات المطلقة
لأمثاله من أركان الدولة حتى لانت عريكته وتمت بيعته
وفوضت الوزارة إلى أبي الحسين العتبي رحمه الله فقام على
ميعة شبابه بالأمر قيام الحدب الشفيق وكفله بمناصحته
كفالة المؤيد بالنصر والتوفيق حتى استقامت بحسن تدبيره الأمور
وانشرحت الصدور وانسدت الثغور واستطارت هيبة تلك
الدولة شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً وكان الأمير عضد
الدولة وتاج الملة على جلالة قدره ونباهة ذكره ومناعة
جانبه وخشونة جده يتوخى رضاه فيما يحتكم عليه به من
المطالب التي تختص بولايته وربما أخذته العزة بالحجاج فيذكره
ما وراءه من الأدواء المعضلة والأمور المستفحلة فتسمح
قرونته ويذل صعبه وحرونه وحدثني أحمد الخوارزمي
وكان من جملة خاصته مندوباً لحمل رسوم كل عام إلى
بيت الله الحرام ومجاوريه وسكان مدينة الرسول

صلى الله عليه وسلم وذويه وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها
منهم قال دخلت عليه ذات يوم متحللا من خراسان
فسائلني على رسمه وعادته عن حال ذلك الشيخ في سلامته
واستقامة الامور في ضمن كفايته ثم قال هات ما استدعاه
واعرض ما ابتاله وتوخاه فعرضت تذكرة كان سلمها الي
بتفصيل ما رسم لي حمله من ديار العراق وفي جملتها الف
ثوب مستعملة مطرزة الاطراز باسم الامير السيد الملك
المؤيد المنصور ولي النعم ابي القسم نوح بن منصور مولى امير
المؤمنين وخمس مائة ثوب مطرزة باسم الشيخ الجليل
السيد ابي الحسين عبيد الله بن احمد العتبي ومثلها معلمة
باسم الحاجب الجليل ابي العباس تاش فلما تامل النسخة دخلته
نخوة الملك وملكته حمية العز وطار به الغضب كل مطار
فالقى اليه في الجواب ان ابن العتبي لو اغتنم سلامة ما يليه وتفرد
بالتدبير فيه لكان اولى به واعود عليه وعلى صاحبه مما
يسومني بهذا الاحتكام وامثاله غير اني اجعل سواحل جيحون

قبل عودك من وجهك مرابط للجحافل ومراكز للقنا والقنابل
فقمت من مكاني متخاذل القوى خوفا من سطوته وباسه واخذت
اجر رجلي على الارض تهيبا وارتياعا الى ان اركبت على الرسم
وانصرفت الى المناخ فلما اذف ارتحال الحجيج اتاني رسوله
فبادرت اليه واحسنت خدمة المجلس بين يديه فرادني
على المعهود بشرا حسنا وبرا وترحيبا وقال قد امرنا في معنى
التذكرة بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه
وخلافا على خلاف وفاقه فتنجز العمل به لتصادف عودك
فراغ الصناع منه وحصول المراد به قال فاستعمل جميع
تلك الثياب بالطرز المذكورة وحملتها في صحبتي الى بخارا مشفوعة
بسائر ما رسم لي حمله واستصحابه وقد اكثر الشعراء
من اهل العصر في وصف محاسن الشيخ ابي الحسين العتبي ولا سيما
ابو طالب المأموني فانه سير في مدحه قصائد غير معدودة منها

قوله من قصيدة يمدحه بها

هذي عزائم عتبي تفرق ما بين الجماجم والاعناق ان عتبا

ذو همة ملء صدر الارض لو برزت من صدره لم تسعها الارض مضطربا
اذا انتضى للندى او للردى قلما اجرى به سيحا او جحفلا لجبا
ينمي الصعيد صعادا والندي ندى اذا امتلك للمعروف او قطبا

وقوله فيه من اخرى

كتائب منصورية ملكية ابى السيف فيها ان يرى الغمد مصحبا
يؤيدها عتبي عزم مؤيد بحزم يجلي خلفه البيض طلعا
اذا امر الشيخ الجليل سيوفها هوت سجدا بهام الدارعين وركعا
يعود بها وجه الخلافة ابيضا بابيض من ابناء عتبة اروعا

ومن ذلك قول اللحام فيه

واعتب الدهر اذ عاتبته بفتى من العتبة نفاع وضرار
كانما جاره في كل نائبة جار الاراقم في ايام ذي قار
يجري المكارم في لاء وفي نعم فالناس في جنة منه وفي نار

ومن ذلك قول ابي الحسن العلوي الهمذاني

كانما الدهر تاج وهو درته والملك كف وهو خاتمه
والبدر والبحر والاعلام اجمعها والخلق والفلك الدوار خادمه

وقلد ابو العباس تاش الحجبة الكبيرة فولي امور الباب وزعامة الحجاب والسفارة بين اولياء السلطان وحشمه في نجح حاجاتهم واستطلاق اطماعهم وعشر نياتهم واستزادة مراتبهم وولاياتهم حتى تخلقت النفوس بمحبته وتعلقت الاهواء برعايته وفتح ابو الحسين العتبي عليه ابواب الفوائد والاصابات حتى كثر وفره وظهر امره واشتد بالاستظهار ظهره وكان ابو العباس تاش من جملة فتيان ابي جعفر العتبي ملك يمينه اهداه الى الامير السديد ابي صالح ايثارا له بخدمته على نفسه لكيسه وذكائه ورضى شمائله واخلاقه فاستتم ابو الحسين العتبي الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه والاشادة بضبعه وباعه وتدريجه الى المحل الذي توسمه في قوته واضطلاعه وجرت امور ذلك الباب بتعاضدهما على التناصح وترافدهما على ارتهان المصالح على احسن الوجوه هيبة وجمالا وهيبة وجلالا ونفاذا للاوامر يمينا وشمالا واستخص ابو الحسين الفايق الخاصة لطول خدمته

بركاب الامير السديد وحظوته عنده واختصاصه برعايته
واشتراكه في وصايته فكان شريكهما في التدبير وصيانة
هيبة السرير واقر امر الجيش بخراسان على ابي الحسن محمد بن
ابراهيم بن سيمجور فتفرد كل منهم بحماية الملك وسد
الثغور وسياسة الجمهور وحصد النواجم الشرور الى ان
بدت اكمامها تتفتق وجيوبها تتخرق وكان من ذلك
امر سجستان وسببه ان خلف بن احمد كان استنصر الامير
السديد على طاهر بن الحسين قريبه وخليفته على اعمالها
بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام وذلك في شهور سنة
اربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه كان من الولاية واستظهاره
بالمال والعدة واستمالته قلوب الاجناد والرعايا من اهل
تلك الخطة فاحسن نصرته ومعونته وكفاه كلفته
ومؤنته وامده بمن استمده من كماة الجيوش لرده الى
بيته وتقرير مملكته في يده فانحاز طاهر حين احس
بالمدد وكثرة العدد الى اسفزار حتى تخلف قرانه ووضع

عنه آماره وصرف عن ظهر الاستغناء اعوانه وانصاره
ثم كر عليه كرة اجلته عن داره وطرحته الى باذغيس
فيمن نادى بشعاره فعاود حضرة الامير السديد مستصرخا
اياه ومنازعا الى عونه فيما دعاه فاحسن لقياه واكرم
مثواه واعاد تقويته وانجاده وكثف بالخيول سواده ورده
بهم الى سجستان فوافق وصوله اليها مضي طاهر لسبيله
وانتصاب ابنه الحسين منصبه ووراثته في الخلاف مذهبه
فما صبر خلف فيها مناصبا له الحرب غاديا ورائحا ومماصعا
ومكافحا حتى كثر القتل بين الفريقين وطالت يد
الانتصاف على اصحاب الحسين فعندها كتب الى بخارا متنصلا
عن سمة الخلاف ومتلطفا للاستقالة والاستعطاف
ومظهرا للطاعة في وفادة الحضرة ومباشرة تراب الخدمة متى
صادف ارخاء من ضيق الخناق وفكاكا من شدة الارهاق
فاحسن ذلك الامير اجابته وقابل بالقبول انابته وسهل الى
وروود الحضرة سبيله وحقق بالاحسان والافضال تاميله واستقر

امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه
وطاردت فيها اوامره واحكامه وانبسطت بالعزيمة باعه
وتموجت به خاير الاحوال قلاعه ورباعه وانقطعت عن بخارا
مواد خدمته وطاعته واغفاؤه بمال موافقته ومقابلته
حق الاصطناع بواجبه وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر
الصادرة اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح
يومه وغده فجرد عند ذلك الحسين بن طاهر لمناهضته في
جمرات خراسان ومشاهير رجالها ومساعير ابطالها فحصره
في قلعة ارك وداركَ عليه الحرب زمانا طويلا فلم يغن فتيلا
ولم يجد الى الافتتاح سبيلا وجعل ابو الحسين العتبي يمده عددا
على عدد وصفدا الى صفد وكان من جملة القواد بها كيتاش
واخوه الحسن بن مالك واضرابهم من انياب تلك الدولة ووجوه
انشابها ورجوم سمائها فطال هناك ثواؤهم وقصر عن المراد غناؤهم
لمناعة الحصار وحصانة سوره وشدة اغلاقه وسدوده و
اعياء الخندق المحيط به على الفارس ان يعبره ركضا وعلى

الراجل

الراجل ان يقطعه خوضا ولارصاد خلف ايامهم بفنون
الحيل التي يستثيرها الظن والحسبان ايماما للبيات والالا
من مامون الجهات وقذفا بجرب الافاعي عن افواه المجانيق
والعرادات حتى يضطروا بذلك الى الارتحال والتنقل في
المضارب والمحال وبقوا هنالك قرابة سبع سنين على هذه
الجملة حتى فنيت الرجال ونزفت الاموال وذهبت الجراب
وعطبت المطايا والركائب فكانت هذه من اوائل الوهن
على تلك الدولة ومن هنالك وهى العقد وانبثق السكر
وتزايد الفتق واتسع الخرق ولكل امر امد ولكل امة اجل
ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب وتداكأ اركان تلك الدولة فيما بين عدة الحال
لزوم صاحب الجيش ابي الحسن مكانه من نيسابور كلا على صاحبه
لا يناهض حصنا ولا يجبر وصما ولا يفتح سدا ولا يحمي ردا
ولا يبسط في مصالح الدولة يدا وتناضلوا بينهم ما كان الامير
السديد يقطعه عليهم لالتزامه بالمكان وجموده عن نصرة

السلطان ونبوا اذا آذهم على صرفه والاستبدال به وكتب اليه
في الصرف وقلد ابو العباس تاش ماكان بيده من قيادة الجيوش
فلما ورد الرسول عليه وادّى ما تحمّله على رؤوس الاشهاد اليه
ابت عليه الحمية خطة الهوان ولقنته الانفة كلمة العصيان
وطارت نعرة الخلاف في راسه فادّعى الامر لنفسه اتكالا
على فرط قوته وبأسه واغترارا باولاده واعضاده واستظهارا
بجيوشه واجناده ثم ثبت التدبير وهجر الرأي والتفكير
فلم يرض بان يتناقل الالسنة ذكر استعصائه على شيخوخته في
الدولة وتناهي مدّته في الخدمة وتصوّر ما يتبع الخلاف من ركوب
المصاعب التي تسلب النفوس جمامها والعيون منامها والاحوال
المذخورة نظامها الى ما فيه من التعرض لمكروه النوائب و
التحكك بمحذور العواقب فرأى ان قبول الضيم على السلامة من لواحق
الآفات اقرب الى الصواب وابعد من المعاب ودعا الرسول
فاستقاله عثرة ما قاله وعرض صدق الطاعة مستغفرا بفرط
الخشوع والضراعة وقال انما انا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها

بماء كرمه فله المشيئة في استبقائها للاثمار او اقتلاعها والقائها
على النار وصرف على جملة الطاعة ولين المقادة والبدار الى
حيث يجلى اليه من ديار المملكة وتلطّف لتسكين من كان يقتل
في ذروته من اهل بيته واوليائه بتسويله واغرائه فعل من
استشف ببصيرته استار المغايب وانفق عمره في تجارات التجارب
ونهض الى قهستان منتظرا ما يستأنف امره ويقرّر عليه
تدبيره الى ان رمى به في نحر خلف بن احمد لاعضال دائه وتجهيد
العساكر طول ايامها بفنائه فبادر الى سجستان وبينه وبين
خلف مودّة واسباب على الايام موكّدة فافتتح الرأي عليه
بالنزول للحسين بن طاهر عن محصنه والانتقال الى غيره
من معاقله ليثبت هو ومن كان من قبل محدقا به من
اولياء تلك الدولة الى الانصراف عن جنابه بعلّة الافتتاح وظاهر
النجاح فاذا خلا وجهه لوى العنان اليه منتصفا منه وممضيا
حكمه فيه فقبل مشورته وفارق ارك الى حصار الطاق
حتى دخلها ابو الحسن بن سيمجور وصلّى الجمعة بها مقيما رسم

للخطبة للأمير الرضي رحمه الله وطالعه بذكر ما فتح الله تعالى
على يديه وسناه منه فابتاح ذلك الأمير بجده وجهده وزيّن الحسين
بن طاهر بها أميرا وقرّر أعمالها عليه تقريرا وانصرف هو ورآه
وسنورد ذكر ما جرى في أمره من بعد في موضع مثله

ذكر حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب وانتقال السالار

ثم سيّر أبو العباس تاش من بخارا إلى نيسابور على قيادة الجيوش
وزعامة العساكر وتدبير القاصي والداني من أمور الممالك ووصل
جناحه ببقايا الخاصة ونصر بن طغرل السرابي وبني مالك
على فخامة أخطارهم وجلالة أقدارهم وسيّر تحت رايته أعيان
الأولياء والحشم بعد أن أزيحت علّته فيما شاء واقترح من الأموال
والأسلحة والعتاد والعدّة فورد نيسابور للنصف من
شعبان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة في آلة راعت الأبصار
وهيئة أعجبت النظّار وهيبة شجت الجوانب والأقطار
فدبّر الأمور بصرامته ونظم المنثور بفرط حزامته وتألّف

الجمهور برفق سياسته وزعامته ووافق تلك الأيام انقطاع
شمس المعالي قابوس بن وشمگير وفخر الدولة أبي الحسن
علي بن بويه إلى نيسابور عن حرب جرت بين مؤيد الدولة
بويه وبينهما وسببها أن عضد الدولة أبا شجاع كان قصد
فخر الدولة وهو أخوه لإجلائه عن ولايته التي كان
أبوه ركن الدولة أوصى بها له وعقد الوثيقة على كل منهما
بها على الجملة التي أشار إليها أبو إسحق الصابي في كتابه المعروف
بالتاجي ودسّ إلى أهل عسكره من استمالهم عنه
وأغراهم به فلما ناهضه وهو إذ ذاك بهمذان وتدانت
الخطى بينهما خفّ معظم جيوشه إلى عضد الدولة مستأمنين
وولّوه أعقاب الغدر هاربين فلما آنس خذلانهم إياه وكفرانهم
نعماه وبالأمس ما قد رأى ابن عمّه بختيار كيف قطع
وجهه وأريق دمه خالفهم إلى طريق الديلم هائما على وجهه
وناجيا بحشاشة نفسه ومتّقيا بركوب شعابها المضطربة
وآجامها الأشبة محاذرة من مسّ الطلب وركض الأكراد

والعرب وتوغّل تلك البلاد طاوياً مسافتها الى جرجان حتى ألمّ
بشمس المعالي قابوس بن وشمكير لاجئاً اليه ومستأمناً
إيّاه فأمنه وآواه ومهّد له ذراه وأعطاه فوق ما تمنّاه
وأشركه فيما ملكت يداه حتى جعل الملك وهو العلق الذي
طالما ضنّت النفوس بابتذاله وقايةً له دون من همّ باغتياله
وسعى في استفساد حاله وبيان ذلك أنّ عضد الدولة
ومؤيّدها أرسلا رسولاً اليه يستردّانه على أموال تحمل
اليه وولايات عريضة تضاف الى ما في يديه وعلى مواثيق تستأنف
في التعاقد على الصفاء والتعاون في حالتي السرّاء والضرّاء
فرجع اليهما أنّ الرجاء رحم والوفاء كرم وأنّ للأمان عندي
حرمةً لا أرى إخفارها في دين المروّة وشرط الحفاظ والفتوّة
وعساه لو همّ بردّه أو كاد أن يأبى عليه بيض المواضي وزرق
الأسنّة والعوالي فأحفظهما هذا الجواب وحرّضهما على مكاشفته
وانتزاع مملكته من يده وكتب عضد الدولة أبو شجاع الى أخيه
مؤيّد الدولة بمناهضته بعد أن أمدّه بما فوق الحاجة من

الرجال ونفائس الأموال فبرز من الريّ متوجّهاً نحو جرجان في
جيوش الديلم والترك والعرب الى أستراباذ متغلّباً على ما بإزائه من
بلاد طبرستان الى أن أناخ بها وكان شمس المعالي قابوس بادر
اليها وجمع عسكره بها فلما تلاقيا نشبت الحرب من لدن طلوع الشمس
الى الزوال حتى احمرّ بساط الأرض من دماء الأبطال ثمّ انجهت
على عسكر الجيل كشفة أعيتهم ضبطها وأزالت الأقدام عن المقام
متفرّقة جموعهم في خمر الغياض والآجام وعطف شمس المعالي
قابوس الى بعض قلاعه المشحونة بذخائر أمواله واستظهر عنها
بالأهبة للغربة وسار نحو نيسابور فلما ورد ها لحق به فخر الدولة من
طريق أستراباذ فالتقيا هنالك واجتمع اليهما من فرّقتهم الكشفة
في الطرق المختلفة من طبقات الرجال وكتب الى الأمير أبي القسم
نوح بن منصور والى خراسان بحالهما في قصد دولته وتأميل الانتعاش
بعونه ونصرته وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات بعزّ دعوته فورد
عليهما من الجواب الضامن للإيجاب ما شرح صدورهما وشدّ
بالنجح القريب ظهورهما وكتب الى أبي العبّاس تاش بإجلال محلّهما وإكبار

قدرهما واكرام جوادهما والاسنعة ادراجها الى ديارهما
فقعل ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم وعطفت اليه اعنة الخيول
من كل فج حتى استظهر بنخب الرجال وعزم على الارتحال
ونهض من نيسابور قاصدا قصد جرجان اذ كان مؤيد الدولة
بوية بها لينتزع ولاية الامير شمس المعالى اولا من يديه ثم تفرغ
من التدبير فيه الى غيره وعنّ له ان يسرح فائقا على سمت قومس
والري ليقطع الامداد والمواد عنه ويلبس اخبار تلك الديار
عليه ويزيده شغل قلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين واحداقهم
به من جانبين فنهض على السمت المذكور ثم بدا له فيما دبّر
ورأى ان التحزب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب
ومن الحزم والاحتياط اقرب فاسترده من وجهه الى آزادوار
فاجتمعا على المصاف واتفقت آراؤهم على التساير وسار
حسام الدولة ابو العباس تاش في تلك العساكر الى باب
جرجان وفيهم شمس المعالى وفخر الدولة حتى اناخوا بظاهرها
وتحصّن مؤيد الدولة بوية بها واحتجز بخندق قعره ومخترق

عورة وفروج للبلد حصّنها ودروب بحفظة الرجال
شحنها ومادّهم الحرب حتى عبر شهران كيوم واحد في
مداومة الكفاح وملازمة السلاح وضاق الطعام في بلد
جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم الذي يحفظ على الثبات قواهم
فكانوا يتزاودون من نخالة الشعير المعجونة بالطين وعهدي بهم
يدرجون كتبهم الى اهاليهم بالري رغفانا اشباه الفراريج يطوون
فيها شكوى الحال والهزال فكانت كاقراص المداد في السواد و
زحف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدولة على
الميسرة مقابلا لعلي بن كامة صاحب جيش مؤيد الدولة فابلى
الغناء واحسن البلاء وحمل عليه حملة زحزحته عن مقامه
كله وطرحته الى استراباذ هزيما ولو اعين بمدد في الحال
لفتح ضيق المجال وجعلها آخرة في القتال لكن القوم نافسوه
فخذلوه لاجرم ان كوكبة من كتائب الديلم عطفت على من
تشاغل بالنهب والاغارة من اوباش الخراسانية فطبقوا عليهم
حبالة الاسر ثم عرضوا عن آخرهم على السيف وورد بعد

ذلك على أبي العباس تاش أبو سعيد الشبيبي في رجال من جنود
خوارزم وقاد الضراغم وأبناء الشهامة والبسالة وأقدح
الحرب بهم فلم ينفعوا بالهم إلا في مناقش الأشداق ومواضع النغر
والأحداق واقتنوا القتل والعور والفشل ولجوا في الديلم
ثم تحاجزوا يومهم ذلك ولم تزل تقوم الحرب بينهم على ساقها
ظاهرة وغبًّا فينتصف البعض فيها من البعض وكان أبو
الفضل المنجم الهروي أشار على مؤيد الدولة بمصابرتهم إلى أن
يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحدة عليهم منجحًا أو مخفقًا
فأسرّ ذلك في نفسه واستعد لوقته فلما كان يوم الأربعاء
من شهر رمضان سنة اثنتي وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه في عسكره
وعسكر أخيه على اختلاف أجناسهم وكان أهل خراسان
يظنون أن حربهم تلك عارض سينقشع وعن قريب على الرسم في
مثله ينقشع فلما رأوها غمامًا ركامًا وشاهدوها غرامًا
ولزامًا أقبلوا عليها مضطربين فإذا الأمر أدّ والخطب جدّ
والحد حديد والباس شديد وبرز الديلم من وراء الخنادق

الى العراء

إلى العراء محرجين من جهد البلاء وضنك البؤس واللأواء فاستعرت
وقدة الحرب ودارت رحا الطعن والضرب وتحدث الناس
بأن مؤيد الدولة قد خبث فأنفذ وأصرّ إليهم بمال حمله إليهم سرًّا
وأطمعهم في أمثاله حيلة ومكرًا وذو الأمر على التشاغل في الحرب
لليوم الموقوت والأجل المضروب فلما حمل عسكر الديلم من
ميمنتهم ولّى أولئك أدبارهم نفورًا وثبت حسام الدولة تاش
وفخر الدولة في القلب يتضاربان بالسيوف والقراكينات
ويردان الحملات المتداركة بصدق النيات في الثبات إلى
أن ألقت ذكاء يمينها في كافر وقد انهزمت الجيوش وتفرقت
كلمة الجموع فحذر فخر الدولة فضل المقام لتكاثر الإقبال من
كل وجه عليه وتوجه الأطماع من كل أوب إليه
فانقلب إذ ذاك يريد المعسكر فساخت في منقلبه قوائم الفيل
الذي حصن القلب في بعض تلك المخاضات وأعجله حسر
الأمر عن التوقف لإزعاجه وإخراجه فتركه على حاله
ونجا برأسه وترك المعسكر شاغرًا بما فيه من الأموال المعكمة

والأسلحة المنضدة والغلمان الحصارية والغلات المجموعة
ومضى على حاله إلى أن عاود نيسابور فدخلها ليلًا وكتب إلى
بخارا بخبر الوقعة وما جرت من الرجعة فعاد الجواب
بتقوية الآمال وتثنية الرجال وتهيئة الأمداد والأموال
وطيّر الصاحب إسمعيل بن عباد كتبه إلى بغداد وسائر
بلاد تلك المملكة بذكر الفتح على ما نطقت به رسائله
وأنشدني الشاعر البجلي لنفسه في مؤيد الدولة قوله من قصيدة

ما هال غيرك في هيجاء ملحمة مذكورة آل ساسان وساسانا
فاكفف لمن ببخارا آمنة فلقد غادرته عند نوم الناس يقظانا

وكان البجلي هذا مطبوع الشعر مسبوك النقد سديد البديهة
شديد العارضة وانقطع إلى الأمير شمس المعالي بجرجان
في آخر أيامه ففرض له في جملة حاشيته إلى أن قضى نحبه
فمن شعره فيه من قصيدة أولها

لله شمسان تذكير لخيرهما وللمؤنثة النقصان ملتزم
أزرى بتلك سنا من غير معرفة فيها وزين هذا الفضل والكرم

يا أيها الملك الميمون طائره وخير من في الورى تمشي به القدم
لو كنت من قبل راعانا وكنفنا لما هدى إلينا الشيب والهرم

ووصف أبو الحسن الجوهري الفيل المقبوض عليه في الجمال
اللازب بقصيدة أولها

قل للوزير وقد تبدى يستعرض الكرم المعدا
أفنيت أسباب العلى حتى أبت أن تستجدا
لو مس راحتك السحاب لأمطرت كرمًا ومجدا
لم ترض بالخيل التي سارت إلى العلياء شدا
وصرائم الرأي التي كانت على الأعداء جندا
حتى دعوت إلى الهدى من لا يلام إذا تعدى
متقمصًا ثوب العلوج وفطنة أعيت معدا
متعسفًا طرق العوالي حيث لا تسطاع قصدا
فيلًا كرضوى حين تبصر من دقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت أكنافها برقًا ورعدا
رأس كقلة شاهق كسيت من الخيلاء جلدا

فتراه من فرط الدلال مصعّراً للناس خدّا
يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يردّ ردّا
متمدّد كالأفعوان تمدّه الرمضاء مدّا
أو كمّ راقصة تشير به إلى الندمان وجدا
أو كالمصلّب شدّ جنباه إلى الجذعين شدّا
وكأنه بوق يحرّكه لينفخ فيه جدّا
يسطو بساريتين يحطّمان الصخر هدّا
أذناه مروحتان أسندتا إلى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيّقتا لجمع الضوء عمدا
فكّ كفوّهة الخليج يلوك طول الدهر حقدا
تلقاه من بعد فتحسبه غماماً قد تبدّى
متنا كبنيان الخورنق مائلاً في الدهر كدّا
ردف فلولكة عنبر متمايل الأوراك لهدّا
ذنباً كمثل السوط يضرب حوله سبقاً ونَدّا
يخطو على أمثال أعمدة الجناء إذا تصدّى

أومثل

أو مثل أميال نضدن من الصخور الصمّ نضدا
متورّداً حوض المنية حيث لا يشتاق وردا
متملّكاً فكأنه متطلّب ما لا يؤدّى
متلفّعاً بالكبرياء كأنه ملك مُفدّى
أدنى إلى الشيء البعيد يداً من وهم وأهدى
أذكى من الإنسان حتى لو رأى خللاً لسدّا
لو أنّه ذو لحية وفي كتاب الله سردا
عقبة أرض الهند حتى حلّ من نفو هرندا
قل للوزير عبدت حتى قد أتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قرباً وبعدا
لو مسّ أعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا
أو سار في أفق السماء لأنبتت زهراً ووردا
يا أيها الملك الذي أجدى وعلّم كيف يُجدى
ما بال عبدك لا يرى لتأخّر التشريف حدّا
بُرد الزمان ولينه بما يلاقي هات بُردا

قد صدّ عنّي لكم الالاء حاشا ان تصدّا

قال وهرند نهر جرجان الذي تسلك الجيوش على سواحله وهو تلو
في ارض جرجان تلوي الجبال كثير الاوديات والعطفات ومنابع عن
جبال الديناذ ذارية ينصب العين منها الى العين حتى تملأ النهر
وتمده الصخر لم وواصل ابو الحسين العتبي كتبه وكلاء الى ولاة
الاطراف بخراسان في استنهاضهم واستنفارهم ليجذبهم الى مرو
ويجمع معهم بها ما يقبل بهم ومن يستجيشه مزدجا لان خراسان
على وفود لك الخرق ورتق ذلك الفتق ومحو سمة العجز واستد
رونق الملك واقبل يستعد للامر بجده وجهده ويواصل الكتب الى
نيسابور بجميل وعده وخلع الامير الرضي عليه خلعة جمع له بها
بين تدبير الاقلام والقواضب واضاف له الى رتبة الكتاب ذي
ارباب الكتاب فكانت خلعة طالعة لروحه قاطعة لعمره خاتمة
لامره وذلك لان ابا الحسن ابراهيم بن سيمجور كان يشكو الى فائق
مادها من قصد اباه حين عزله عما كان اليه وكاده في نفسه
وذويه ولم ينفك يوصله بالغوائل ويطالبه بوجوه الاوتار والطوائل

الى ان اشار فائق عليه بطائفة من الغلمان السلارية الذين
كانوا رؤوس اضرابهم في السفه والشغب والتحكم في المطالب المفرط
القوة والغلب ودس اليهم من اغراهم به بسفائح يتجزها اليهم حتى
تآمروا بينهم على قتله وتجمعوا على الفتك به مغتنمين خلوّ جارا
عمن يحتمي له او يحامي عليه واحس ابو الحسين بما دبر من الامر
واشفق على نفسه مما استطار من شرر الشر فشكا الى الامير
الرضي صورة الحال وما ارصد به من الاغتيال لينبعث اليه بعدة
من القواد لمرافقته الى الدار اجارة له عما كان يخشاه وصيانة
لروحه عن غيلة ما يتحاماه فتسامع طائفة من المشركين
في التدبير عليه بخبره فطاردوا باجنحة الركض على اثره ووضعوا
فيه السيوف والدبابيس حتى اثخنوه ضربا وحطما ورضا
وقضما واشفق من كان في مسايرته على انفسهم فخذلوه
واسلموه فكان منه كما قيل

كلبيه وجرته ضباع والبشرى لحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

وترك على الشارع صريعا يمج دما نجيعا وعندهم انه قتيل

وأن ليس للحيوة إليه سبيل ونقل كما هو إلى باغ قريب من
مصرعه ليراعي ما يحدث من الرأي في أمره فلما غشيه نسيم الطلّ
وهبّت عليه رخاء السحر أنّ أنّة سمعها الباغبان فبادر إليه فإذا
به رمق قلق ونفس مختنق فسعى إلى دار السلطان مخبراً بثبات
حسّه واضطرابه على نفسه حتى أمر به فنقل إلى القهندز وأكبّ
الأطباء المتناوبة عليه طمعاً في انتعاشه فاستصعب داؤه على الدواء
وقضى الله على عمره بالانقضاء فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر
كريم الورد والصدر عديم المثل في سعة الرحل فقيد النظير
في الفضل الغزير ولم يُروَ في كتب الأولين أنّ أحد الوزراء اتسعت
همّته لهمّته لمشاطرته على مروّته ومنازعته فضل أفضاله و
فنونه ساحية كالغيث يقذف بالوبل أو الريح تعصف بالرمل وسيل
حفيت لها جنادب الليل وغصّت بها مشاعب السيل ولله در

أبو جعفر البحاثي في نفثة يرثيه

لهفي عليك أبا الحسين   عين كم تبكي بكل عين
جرّعتني غصص الهوى   وأريتني يوم الحسين

ولبعضهم فيه وقد زار قبره في جماعة من أصدقائه

مرّ على قبرك إخواننا   فكلهم قد هاله شأنكا
فلم يزيدوك على قولهم   عزّ على العلياء فقدانكا

وقد كان حسام الدولة وشمس المعالي وفخر الدولة بنيسابور على
انتظار معونته واستفاضة ما استقرهم من عدته فحدثني خالي أبو
نصر العتبي وكان على البريد بنيسابور قال دعاني حسام الدولة آخر
نهار يومه فلما وصلت إليه وجدت الثلاثة يتفاوضون بينهم الآراء
في معاودة الحرب واستئناف معالجة الخطب فخلطوني بأنفسهم
فيما تداولوه وسألوني أن أنهي إلى ذلك الشيخ صدق انتظارهم
لمعونته واستعدادهم للبدار إلى أمره وأقبل عليّ شمس المعالي
من بينهم فقال اكتب إلى ذلك الصدر بأن الحروب لم تزل بين الرجال
سجالاً وأنها تستصعب مرة وتصحب أخرى والحازم من يستفتح
بالجد أبواب النجح والظفر فإنه يتلف بين العجز والضجر واضرب
له أبيات المتنبي مثلاً

يرى الجبناء أن العجز حزم   وتلك طبيعة الوغد اللئيم

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر جسيم

قال فاستدللت يومئذ بقوله على فضله وورد عليهم بعقب ذلك نعي أبي الحسين الوزير فأوسعهم وجوماً ونثر عليهم من التدبير ما كان منظوماً وورد على أبي العباس تاش كتاب السلطان في استعادته إلى الباب ليتدارك ما اختل ويتلافى ما انحل واعتل فاغتنم البدار ومضى وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الأمور ونظم المنثور وتتبع الجناة على أبي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير وعمهم بالنفي والتسيير واستوزر أبو الحسين المزني فنعل بالتدبير وحيل في التقديم والتأخير لتهافت الأعمال واستبداد آخرين عليه بالإيراد والإصدار وقد كان أبو الحسن بن سيمجور انكفأ عن سجستان إلى خراسان من غير أمر صدر إليه استشرافاً لنجوم الفتن وانتقاض الأعمال بها بتراجع العسكر عن باب جرجان وتشوفاً لنفاق سوقه فيما بينها فكتب إليه أبو الحسين المزني مقبحاً إليه فعله وناعياً إليه عقله وسامه أن يعود إلى قهستان متورعاً عن

ملابسة الأعمال متورعاً وأن يسلم أبناء آل الدولة في جملته ورايته إلى ابنه أبي علي على أن يعاود سجستان فيكفي أمرها ويلم شعثها ويرأب صدعها وجعل باذغيس وكنج رستاق باسمه وسمة على أن يزداد في توليته وحباته متى عرف في الطاعة صدق نيته وعنايته فلما استقر أبو العباس تاش ببخارا اغتنم أبو علي خلو خراسان عنه وعن المناصلين دونه والمتصلين به فراسل فائقاً يريده على مخالفته والجهار بمنابذته وترك الرضا بزعامته فوجده سمح القياد إلى المراد طوع الزمام إلى العناد واجتمعا على توكيد العقود وإمرار المواثيق والعهود وبدأ أبو علي بمصادرة عمال أبي العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت أيديهم من أمواله وارتفاعات أعماله ثم نهضا إلى مرو وسدا دون الولايات وجبّا دون الأموال والارتفاعات حتى اضطر تاش إلى مناهضتهما وكفاية ما أهم من أمرهما ومداواة ما استفحل من شرهما واستفتح الخزائن عن ذخائر الأموال ونفائس الأسلحة والأثقال وبرز من بخارا إلى آمل الشط فخيم على طرف الرمل

وتردد السفراء فيما بين الفريقين على حفظ نظام الألفة و
استبقاء جمال الدولة وإخماد جمرات الفتنة فوقع الاتفاق
على أن تكون نيسابور لتاش وبلخ لفائق وهراة لأبي علي وتفرق
كل منهم على رياس عمله وللخوارزمي في أبي علي وقد حصل بهراة
تهنا بالأمير هراة إذ قد علا عن أن يهنا عن هراها
وكيف تهنا الدنيا جميعا بناحية من الدنيا أخوها
وانحدر أبو العباس تاش إلى مرو وقد كان نقل فصوله من بخارا
توصل إلى عزل المزني عن الوزارة بأبي محمد عبد الرحمن
الفارسي المتولي كان للأمور كدخدائية لمباينته من قبله
إلى أبي علي وفائق وإدهانه في أمرهما فلما استقر بمرو و
صرف عبد الرحمن بعبد الله بن عزيز وهو المعروف بتعصب آل
عتبة ومشاحنتهم ونصب العداوة لهم ولصنائعهم وحرف
الأدم كيادا عليهم فبدأ بصرف أبي العباس تاش عن قيادة الجيوش
ونقلها إلى أبي الحسن بن سيمجور مضادة لأبي الحسين العتبي في
تدبيره وتدارك زعمه لما وهي من أصل تقديره وتقريره وأمر

الكتاب عن السلطان إليه في نقل العمل عنه وتفويضه كورتي نسا وأبيورد
منه والإيعاز إليه بالامتداد إليهما والاقتناع بهما وحذف عنه
خطاب الزعامة واقتصر به على ما كان موسوما به من الحجابة فلما
وصل الكتاب إليه أحس بمادة الشر ودلالة الختل والختر وعلم
أن ذلك فاتحة الخطب عليه والتشفي منه والوضع من قدره والثلم
في جاهه ومحله فاستحضر وجوه القواد وأعيان الحشم وعرض
عليهم الكتاب وعرفهم دأبه ودينه في طاعة سلطانه ومناصحته
والإخلاص لدولته والذب عن حوزته والشكر لما وسعه قديما
وحديثا من نعمته وإقباله مدة مصاحبتهم إياه عليهم بحسن
رعايته ورفق زعامته وإيالته نيابة عنهم في تنجز أوطارهم
وبث بين مساعيهم وآثارهم ومواساته لهم بما اتسعت له يده
من خاص ماله وحاضر ملكه وأنه يومه ذلك في نفسه ومهجته
مقصود وعن باب مالكه وولي نعمته مردود ولا منع من
جهته لأحد منهم عن رأيه واختياره في معاودة بخارا أو اللحاق
بأي جانب شاء فليختر كل منهم ما أحب غير منازع في قصده

ولا مدافع عن وجهه فاستمهلوه ريثما يعلمون من وراءهم من
أهل العسكر صورة الحال ويعرفون ما عندهم من الرأي في المقام
او الارتحال وتجمعوا بعد ذلك دفعات متباعدين مرة في
الاختيار ومتقاربين اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على
موافقته وترك مفارقته والاذعان لرياسته ومرافقته
على ما يلقاهم الزمان به من سلم وحرب وذلول وصعب
وسهل وحزن وسرور وحزن وكاتبوا الى بخارا
سائلين رد الزعامة عليه رعاية لحق خدمتهم وتحكيما للكرم في
تحقيق مسألتهم واستبقاء لوجوههم ماء طاعتهم فأبى ان
عزيز ان يقع لهم نجاح او يستمر بين اولياء الدولة صلاح وكتب
اليهم يمنيهم الزور ويريهم الغرور كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وساءهم معاودة الحضرة تطميعا
لهم وتشفيا للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الجواب ازدادوا
بصيرة في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرفا
بتصاريفه وبجوعاته في وجوه تكاليفه

ذكر انقلاب فخر الدولة الى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة ابي العباس تاش من المكاتبة والتعاوق الى آخر عمره

اتفق بعد مغار دولة ابي العباس تاش الى بخارا ان قضى مؤيد الدولة
نحبه ولقي ربه وقبل انقضاء الحرب التي كانت بينهما ما دهاه
الخبر بوفاة عضد الدولة اخيه فتماسك عن اظهار المصاب
اناة بالخطب امامه حتى كفيه بحفيظته المرة ونقضيه
بعزيمته المستمرة وتشاور اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب
منصبه ويسد في الرياسة مسده فاشار الصاحب اسمعيل
بن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن في ذلك البيت احق
بالامارة واتم باعباء الرياسة والسياسة سنا وكفاية منه
فطيروا البريد اليه في البدار الى ما اورثه الله من عقيلة
الملك وذخيرة الملك عفوا الامنة لاحد عليه به ولا حق
لانسان يختم لسانه بشكره واستخلفوا اخاه ابا العباس

خسرو فيروز بن ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم
المتاود الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير ما يليه ويتولى عنه
تحرير ما ينشئه برايه ويمليه وبادر فخر الدولة من نيسابور
الى جرجان تطاير البرق بين جناحي الافق فاستقبله
العسكر خاضعين طايعين وعلى صدق الممالاة والموالاة
متابعين وتبوأ مقعده من سرير الملك وارثا لما اوصى به
له ابوه وساير ما كان يدبره اخوه كذلك يوتي الله الملك
من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو الفعال لما يريد ولقد
احسن ابو بكر الخوارزمي حيث يقول في قصيدة رثى
بها مويد الدولة ويعزي ويهنى فخر الدولة

رزيت اخا لو خير المجد في اخ من الناس طرا ما عداه ولا استثنى
وقد جاءت الدنيا اليك كما ترى طفيلية قد جا وبت قبل ان تدعى
طبت بك عشقا وهي معشوقة الورى فقد اصبحت قيسا و
عهدي بها ليلى

ولما راى خطابها فرقتهم فلم ترض الا زوجها الاول الاولى
ولم تتساهل في الكفو ولم تقل رضيت اذا ما لم يكن ابل معزى
على انها كانت جفتك تدللا فخليتها حتى اتت تطلب الرجعى

وانشدت لابي الفرج بن ميسرة ابياتا من قصيدة

ولو قبل الفداء لكان يفدى وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون تكر لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت فالبس بغمتك ونا ثوب حداد
اذا اقدمت خاتمة الرزايا فقد عرضت سوقك للكساد

وكتب الى ابي العباس تاش يذكر ما اصاره الله اليه واعلقه
بيديه وان ذلك كله موقوف على احكام مشاركته ومصروف
الى اقسام ارادته وانه لم يرج لاستجابة ايامه النافرة واعتاب
دولته العاتبة ارتياحه لما تمكن به من معاضدته على مصالح
احواله ومرافدته على مناجح آماله شكرا لما كان متقدما
من مقامه قبله وقدمه من جهته في ايثار الخير به وارتياد
النجح له فاجابه عنه مهنيا بما اتاحه الله له من كريم
صنعه وزفه اليه من هدي ملكه وشاكرا له لما اوجبه وداده

وشاكيا اليه ما رهقه ودهاه فكتب اليه بانه سهيمه فيما
يليه وقسيمه على ما يحويه وان امره ممتثل في كل ما يرومه
وينتحيه فليبن امره على ما يقف عليه اقتراحه منتظرا
لما يقتضيه شركة المفاوضة من التسمح بالملك والمال
وتشريب الرجال في اعقاب الرجال وكان قد انهض اباسعيد
الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ما قبل فخر الدولة
رسولا فصرفه في العاجل بعدة من المال وزهاء الف فارس
من شجعان العرب والاكراد فورد نيسابور وانضم اليه
ابومحمد عبد الله بن عبد الرزاق موالبا لابي العباس
تاش على ابي الحسن بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا
على التكاتف والترافد وانحدر تاش الى نيسابور فسبقه
اليها ابوالحسن وانحاز المقيمون بها انتظارا لوصوله
في سواد خيوله ولحق بهم فصارت الايدي واحدة والقلوب
على الاخلاص متعاقدة وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي
فخيم بظاهره وناوش ابا الحسن الحرب اياما عدة وهو متحصن
بالبلد ودروبه ومتحجر بتضييق مداخله وسد وروده ولحق بابي العباس
تاش زهاء الفي رجل من خلص الديلم ونخب الاتراك يقودهم ابوالعباس
فيروزان بن الحسن في كبار القواد ممن يعدمون على الابر ويدخلون
ولو خرت الابر فلما احس ابوالحسن بن سيمجور بانخنهم علم قومهم
على حرب المضيق وانجادهم باطراف الزانات والمزاريق فاتخذ
الليل جملا وترك البلد هملا وسار يريد قهستان سائرا عورة
الانهزام بلباس الظلام وسمع عسكر ابي العباس بانجفالهم فشدوا
على آثارهم واثقالهم واصابوا منهم غنائم موفورة وانفالا
غير محصورة ودخل ابوالعباس تاش نيسابور وجاوزها
الى المعسكر بظاهرها مما يلي الجانب الشرقي حميد الظفر رضي
الاثر وانشدني ابو المنصور الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة

قل للذي انا في هواه خابش ... صاد الفؤاد بصدغه الجماش
صدغ يرى عند الرياح كانه ... قلب ابن سيمجور راحس بتاش

وله ايضا

ان الشتاء مضى بقبح فاش ... واتى الربيع لنا بحسن رياش

ومضى ابن سيمجور بقبيح فعاله وأتاش أبناء الكرام بنانه
ولزم تاش مناصحة ذلك يواصل الكتب إلى بخارا في الاستمالة و
الاستقالة والضمان لأنف الطاعة وعرض النفس والملك
بلسان الضراعة فلجّت بابن عزير صلابته في عداوة آل عتبة
دون مغايضته ومعاداته ومعاندته وطفق ينفق على الأمير
الرضي ووالدته التي كانت كافلة بالملك أن تاش معتصم
بالديلم وقاصد قصد الإجحاف بالدولة وأنه متى أرخي من
عنانه فيما يستدعيه وجب التعرّي عنها والتكبير
عليها حتى ظنّا أن الأمر كما زعم فوكلا التدبير إليه وجعلا
رباط الخير والشر بيديه وقد كنت أروي لصديق لي في تلك
الأيام بيتين لابن المعتز سمعتهما في الشباب وهما

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب

فقال إن الأليق بحكم الوقت والحال بيتان في وزنهما وصياغ[illegible]
للحسين بن علي المروالروذي وهما

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأي النساء وإمرة الصبيان
أما النساء فميلهن إلى الهوى ... وأخو الصبى يجري بغير عنان

فانصف لعمري فيها وصف وحكم حكما يشهد به العيان ويسجل
بصحته الامتحان وأبى الله أن يكون نظير في شفقة الأم وخال
بمنزلة العم وعسيف بمثابة الصاحب ووزير بمحل الملك
الغائب المستبد برأيه الصائب وفكره الثاقب وأهمل أبو العباس
تاش ما أهمه من أمر أبي الحسن بن سيمجور وقصد مداراة
لولاة التدبير ببخارا واستمالة لهم واستيناء واستذراء بهم
وإمساكا للوحشة من الازدياد وصيانة للفرج من الانسداد
وهم فيما بينهما يهتبلون فرصة الرخاء ويغتنمون فسحة
الإمهال والإمهاء ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والإ
ومداومة الاستعداد والاستنجاد وكتب أبو الحسن بن
سيمجور إلى أبي الفوارس بن عضد الدولة بفارس فأمده بألفي
فارس من نخب الأعراب وانضم إليه فايق في خواص
غلمانه وسائر من استجاشهم من أطراف خراسان وكانوا

باجمعهم على ابي العباس تاش في خيول غصّ بها عرض الجبوب
وضاق عن ضمّها افلاغ الشمال والجنوب فلما قاربوا نيسابور
خالفوا معسكرهم الى البلد لامتلاكه عليه ومساورته للحرب
عن ظهر منعة واقتدار وحال نجدة واستظهار فعارضهم
ابو العباس تاش في مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وابي
سعيد الشبيبي وخواصّ غلمانه وناوشهم الحرب من حيث
متع النهار الى ان صارت كعين الاحول وطلّت حملاته تحطهم
حطما وتوسع اركانهم هدّا وهدما وكانت الحاجة ما بين
سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغت منهم مبلغا احرج صدورهم
واقنع بالاجفال جمهورهم ايثارا الفسحة المضطرب
والخلاص عن ضيق المعترك وحمل ابو العباس تاش آخر النهار
حملة عدّها خاتمة القتال وآخرة النزال فتلقاها ابو
الحسن وابو علي ابنه بشكائم قوية وعزائم في الثبات
صرية وردّوا مطلقات الاعنة بمشرعات الاسنة
ومشرعات الزحوف بمرهفات السيوف فلما انقلب

الى مقامه وقد تفرّق في تلك الحملة عنه سواد خيوله وحفظة
راياته شدّوا الحملة عليه دفعة واحدة واضطروه الى الانهزام
واسلام المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب
فايق حتى تزعزعت صفوفهم واضطربت جموعهم فتداعوا
الامان من قراع السيوف خلا من انجته صهوات الخيول
فجمعوا في بيت الاسار على حال الذل والصغار ثم حملوا الى بخارا
على الجمال في الجواليق آية ونكالا وتشفيا ممن ساقهم الى
خراسان ارسالا فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمغازل
بدلا عن السيوف والعوامل وامرّ بهم الى محابس القهندز
الى ان اقتسمهم الايام بين ممات ونجاة

ذكر انتقال حسام الدولة ابي العباس تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن بن سيمجور بنيسابور على قيادة الجيوش

غربته وهي ان اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلا اليه يستردّانه
على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة بسلطان
اولادهم ثانيا مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب
وفره العتاق واعليا في الاستيام والتطميع حتى لم يبق للردّ
مجال ولا للسان العذر مقال واتاني خبر الرسالة مستطلة
ضوء النهار واستخشنت جانب القرار وقمت من الجنوح على شفا
جرف هار اذ لم يكن في الحرب مطمع ولا في قوس
الرجاء منزع وبت ليلتي انقد ابي السهر كانه الى ان اصبحت
وقواي متخاذلة واركاني متهافتة خوف الاذن بالداء العياء
والداهية الدهياء فاتاني حاجبه بعد فراغه من الاذن
داعيا وادبا فلم ادر ادلج هو ام تايح وادبه هو ام نادب
وطالع ضيافة ام طارق آفة وخمنت في القرى كناية عن المحذور
وتورية دون الغدر المقدور فرقيت اليه وسيرعبا في احسه
مرة من بنان علي الى ان حصلت في مجلسه فصادفت من
حسن القيام والالتزام وفرط الاكرام والاعظام وفضل

البرّ والايناس ونصرة الرجاء على الياس ما لم اكن عهدته فيما
مضى من مجالسه ومؤانسه وما زال يرقيني ببشره ويسحرني
بلطفه وبرّه الى ان ثابت نفسي اليّ وانحلّت عقدة الخوف عن
نظاير الهمّ عني شعاعا وذهب سوء الظن جفاء ثم ناولني
الرقاع الواردة عليه فنشرتها عن انياب الاراقم واقداح
العلاقم وحماة العقارب على الرسم المعتاد من كيد الاقارب
ثم اقبل عليّ فقال قد كنت على ان اكتم الامير صورة ما ورد صيانة
لقلبه عن نوازع الظنون والاوهام ولكني فكرت في
حكم الحال التي تجمعني واياه فرايت اطلاعه طلع ما كتب و
الافضاء اليه بحقيقة ما طلب املك لسكونه واوقع لطايره
وانفى لخلاج الشك عن خاطره واقسم لجميع ما يغلظ به ايمان
البيعة انه لا يعدل خراج العراق باسره على نفاسة قدره
بشعرة من بدنه ولا بذنين من برّه وان جميع ما املكه
من صامت وناطق وقاعد وقايم حتى فص هذا الخاتم وزر
هذا القرطق وقاية لمهجته ووقف على صلحته ومعدّ لدفاع

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان ففصل عنها فخر الدولة
متوجها نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة
محفوفة بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والاهب الوافرة
حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية والاواني الذهبية
والفضية وتقدم بان تسلم اليه خزانة كان قد اعدها
للحمل اليه قبل الكشف مشتملة على خمسين الف دينار والفي
الف درهم وخمسمائة تخت من الوان الثياب الى غيرها من عتاق
الافراس وجياد المراكب والدواب واعداد الاسلحة
والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن وترسة
وزانات اكثرها مغشى الظهور والنصول بحلى الذهب
والفضة وسوغ له دخل جرجان ودهستان وآبسكون
واستراباذ الا قدر اكان مصروفا الى عمارة القلاع وارزاق
مستحفظيها من الخواص فامر ابو العباس تاش بتفرقة
تلك المبار والاموال فيمن صحبه من القواد وطبقات الاجناد
حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم وواصل لهم الاقامات والاطماع

حتى انتاشت احوالهم واخصبت رحالهم فصاروا بجرجان
احسن منهم بخراسان حالا وارغد عيشة وانعم بالا وجعل
فخر الدولة يتابع الحمول اليه من طبرستان زيادة في
تاثيل احواله واستبقاء لنظم جنوده ورجاله فعل من لا
ينفس على اخيه بنفائس ما يحويه ولا يضن على صديقه
بجليل ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب اسمعيل
بن عباد يستشرف ما يوجبه له من الاحسان والمواساة
ومواصلة الصلات والكرامات ومن قبل ما نبح
له في استرجاع خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما اختاروه
من مسالمتها واغتنام السلامة منها فقال له ذات يوم ان
حقوق ابي العباس علي حقوق لو نزلت معها عن جميع ما افاء
الله علي من ثمرات هذا الملك حتى احل له عروة هذا القميص
لوجدتني في ادنى درجات المكافاة وايسر مراتب المواجب
واشار الى واحدة تكفيه امارة على ما اوجبه له ايام مقامه
قبله اشفاقا على مهجته وحرصا على محبته وذبا عنه في حال

الذب الدفع

الحوادث عن ساحته ومبتذلي الانتقام له ممن نافسه
في ملكه ونازعه حق ارثه حتى اذن الله له في رده الى
بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم
على الخصم ايستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة طوعا
وطبعا لا عن رغبة في دعيبة ولا ميل الى نيل ولا تطلع
الى وجه مطمع ان تغافل عن معونته وارفاده ويتقاعد
دون ما يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وحق
ركن الدولة لا اعرف الناس نسيا في هذا الحق العظيم
وقد استسهلت طريق المكافاة واصبت عون الله على حسن
المجازاة على ان الفضل له بسبقه الى البر وان جهدت
في المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة فعجب الحاضرون
من هذا الكلام والكرم الذي عز سماع مثله في سالف
الايام واجتهد الصاحب من بعد لمصلح ابي العباس
تاش مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه
ويقيد شرف الوفاء له وبقي ابو العباس تاش بجرجان

ثلث سنين نابي الجنب عن القرار جافي الجفن دون الغرار
شوقا الى خدمة سلطانه وحرصا على عرفان حق اصطناعه
واحسانه واشفاقا من تاويل حساده في انبا ذه عن خراسان
انكاره حق الولاء ونزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء
وحل همة معاودة بخارا الاستيناف الخدمة والسلامة
من المذمة وارسل ابا سعيد الشيبي الى فخر الدولة في
الاستعانة على معاودة خراسان فجهز اليه اسفار بن
كردويه وعدة من اعيان القواد في زهاء الفي رجل
من خلص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان
وهو بقومس بصلة جناحهم والزعامة عليهم في ايرادهم
واصدارهم والصدر في ذلك كله عن راي حسام الدولة
ومثاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حله وترحاله
وتارتي سلمه وقتاله وحمل في صحبته من المال لاقامات
اهل عسكره ضعف ما كان نفقه عليهم عند
فصوله من جرجان فسار ابو سعيد الى قومس فانتدب

نصرٌ لقراه وقِرى الفؤاد في محبّته كما قرى تميمٌ ضيفَها وجارها
ابنَ الحضرمي حذو النعل بالنعل وذلك انه امر به في صحن داره
فاخذته السيوف يمنة ويسرة حتى برد وعمد الى الآخرين
فجلسهم في سرب واوقد الفحم عليهم وسدّ منافذ السرب
دونهم حتى اختنقوا بين حرّ الحبس وعدم المتنفّس
وافات بتلك الاموال المحمولة والدوابّ المقودة راضيا
بسمة الغدر وقاصيًا على نفسه بالخزي يد الدهر وانفلّ
الباقون نحو الري لا يلوي واحدٌ منهم على آخر الى ان وردوها
فقرّروا الصورة وقرأوا الصحيفة المنشورة فورد من
ذلك على فخر الدولة ما اطار واقعه وهاج وادعه وعلى
حسام الدولة ابي العباس تاش ما اقلقه واكمده
واضعف عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه فخر الدولة
بذكر ما رآه من تجهيز الجيوش اليه يستحدثه الى
اسفرایاذ وخيّم بمرزجان فاخذ نصرٌ اما قدم وحدث
وما مرّ وخبث ورأى الحين قد فغر فاه والسيوف تطلب

وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام
وطفق يكتب في الاعتذار الى الجانبين بانه كالعارك جيا أمّا
ارتكبه وخجلا من عوار ما اكتسبه وتحمّل بشفاعة حسام
الدولة في الاستصفاح واستقالة ما تخبّط فيه بسوء
الاختيار حتى كتب في بابه بما نفّس من خناقه وتكرّم فخر
الدولة بقبول انابته رعاية لحق شيبته وقرابته وعاد
ابو العباس تاش الى جرجان على ان يستأنف تدبير خراسان
وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن اخيه بهاء الدولة
لاجل ما اخلّ فيها بعقد وترخّص معها في المفروض من اجلال
قدره ومحلّه فناهضه في معظم جيوشه من احمالة في اعمال
خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في جنود الاكراد
اولي البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها مدلا بالقوة
السابغة والنجدة الوافرة وانهض ابا العباس فيروزان
بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها واستضافتها الى اخواتها
فلما عبر نهر موسى استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة

باجمعهم على ابي العباس تاش في خيول غص بها عرض الحزون
وضاق عن ضمّها افلاغ الشمال والجنوب فلما قاربوا نيسابور
خالفوا معسكره الى البلد لامتلاكه عليه ومساورته الحرب
عن ظهر منعة واقتدار وحال نجدة واستظهار فعارضهم
ابو العباس تاش في مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وابي
سعيد الشبثي وخواصّ غلمانه وناوشهم الحرب من حيث
متع النهار الى ان صارت كعين الاحول وطلت جملاته تحطمهم
حطما وتوسع اركانهم هدّا وهدما وكانت الجاعة ما بين
سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغت منهم مبلغا احرج صدورهم
واقنع بالاجفال جمهورهم ايثار الفسحة المضطرب
والخلاص عن ضيق المعترك وحمل ابو العباس تاش آخر النهار
حملة تدّها خاتمة القتال وآخرة النزال فتلقاها ابو
الحسن وابو علي ابنه بنكائم قوية وعزائم في الثبات
صريحة وردوا مطلقات الاعنة بمشرعات الاسنة
ومشرعات الزحوف بمرهفات السيوف فلما انقلب

الى مقامه وقد تفرّق في تلك الجملة عنه سواد خيوله وحفظة
راياته شدّوا الجملة عليه دفعة واحدة واضطرّوه الى الانهزام
واسلام المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب
فايق حتى تزعزعت صفوفهم واضطربت جموعهم فتداعوا
الامان من قراع السيوف خلاص انجته صهوات الخيول
فجمعوا في بيت الاسار على حال الذلّ والصغار ثم حملوا الى بخارا
على الجمال في الجواليق آية ونكالا وتشفيا بمن ساقهم الى
خراسان ارسالا فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمغازل
بدلا عن السيوف والعوامل وامر بهم الى محابس القهندز
الى ان اقتسمتهم الايام بين ممات ونجاة

ذكر انتقال حسام الدولة ابي العباس تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن بن سيمجور بنيسابور على قيادة الجيوش

أهل البصرة عليه فحصد منهم خلق عظيم إلى المسالك بينه
وبينهم فتسنّموا أسوار الأهواز عليها حتى عميت الطرق
وأعوز المجال والمخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات
ووحول سدّت عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم
الإقبال والإدبار ووافقهم إقبال خيول من الموصل على عوادل
الطرق لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما أخذتهم أبصار
أبي العباس فيروزان بن الحسن ورأوا فيهم شوكة وفوزا
ولّوا على أعقابهم نفورا وكان بدر بن حسنويه قريبا
منهم فلما رأى الكشفة جاء ملبّيا وثبت بنفسه مدافعا
فأعياه سدّ ما اختلّ وردّ من أخلّ فاستمرّت الهزيمة بهم
إلى فخر الدولة وهو بسوق الأهواز فشكوا إليه ضيق الحال
وتجمّعوا على رسمهم للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر في الأول
من عجزهم وخورهم وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم وأثرهم
فانكفأ بهم راجعا إلى همذان على ظاهر هدنة ووقع التغاضي
عليها وعنها ومنها إلى الري وذلك في شهور سنة سبع وسبعين

وثلثمائة وحدث وباء بجرجان خارج عن الحد في هذه
السنة فهلك من أصحاب أبي العباس تاش ووجوه قواده
وأعيان رجاله والمذكورين من عمّاله وكتّابه وسائر حاشيته
وغلمانه خلق عظيم وعرضت له بآخرة علّة صعبة ختمتهم
به فقضى لسبيله رحمه الله وقد كان أصحابه أوغروا قلوب
أهل جرجان برسوم ذميمة ابتدعوها ومعاملات قبيحة
اخترعوها وأجعال عنيفة أوقعوها فلما فاجأتهم وفاته
ثاروا يدا واحدة على أصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم
تحت كل مدر وحجر وجعلوا القتل جفلى وانتظم الكبير
والصغير والشريف والمشروف في سلك القتل والتنكيل
والإبادة والتمثيل وشغل وجوه عسكره دهاء المصيبة
عن الفراغ لقمعهم ووقمهم وإخماد جمرتهم واستكفاف
معرّتهم واقتضتهم صورة الحال البدور إلى صاحب البلد لضبط
الأمر وضمّ النشر وإتقان التدبير في اختيار من يصلح
للتأمير فبرزوا إليه واتفقت كلمتهم على أبي أحمد بن أخت

وانحدر أبو العباس تاش إلى جرجان وفصل عنها فخر الدولة
متوجها نحو الري وأخلاها له ولأهل عسكره وترك دار الإمارة
محفوفة بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والأهب الوافرة
حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية والأواني الذهبية
والفضية وتقدّم بأن تسلّم إليه خزانة كان قد أعدّها
للحمل إليه قبل الكشفة مشتملة على خمسين ألف دينار وألفي
ألف درهم وخمسمائة تخت من ألوان الثياب إلى غيرها من عتاق
الأفراس وجياد المراكب والدواب وأعداد الأسلحة
والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن وترسة
وزانات أكثرها مغشّى الظهور والنصول بحلي الذهب
والفضة وسوّغ له دخل جرجان ودهستان وآبسكون
وأستراباذ الا قدرا كان مصروفا إلى عمارة القلاع وأرزاق
مستحفظيها من الخواص فأمر أبو العباس تاش بتفرقة
تلك المبار والأموال فيمن صحبه من القواد وطبقات الأجناد
حتى جبر كسرهم وقوّى أسرهم وواصل لهم الإقامات والأطماع

حتى انتاشت أحوالهم وأخصبت رحالهم فصاروا بجرجان
أحسن منهم بخراسان حالا وأرغد عيشة وأنعم بالا وجعل
فخر الدولة يتابع الحمول إليه من طبرستان زيادة في
تأثيل أحواله واستبقاء لنظم جنوده ورجاله فعل من لا
ينفس على أخيه بنفائس ما يحويه ولا يضنّ على صديقه
بجليل ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب إسمعيل
بن عباد يستشرف ما يوجبه له من الإحسان والمواساة
ومواصلة الصلات والكرامات ومن قبل ما نصح
له في استعراض خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما أخذ
من مسالمتها واغتنام السلامة منها فقال له ذات يوم إن
حقوق أبي العباس عليّ حقوق لو نزلت معها عن جميع ما أفاء
الله عليّ من ثمرات هذا الملك حتى أحلّ له عروة هذا القميص
لوجدتني في أدنى درجات المكافأة وأيسر مراتب المواجب
وأشار إلى واحد يكفيه إمارة قلّما أوجبه له أيام مقامه
قبله إشفاقا على مهجته وحرصا على محبته وذبّا عنه في حاله

عزيمته وهي ان اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلا اليه يستردانه
على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة بسلطان
او لاوله ثانيا مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب
وفرة العتاق واعلياً في الاستيام والتطميع حتى لم يبق للرد
مجال ولا للسان العذر مقال واتاني خبر الرسالة ماسطلمت
ضوء النهار واستخشنت جانب القرار وهمت من الجنون على شفا
جرف هار اذ لم يكن في الهرب مطمع ولا في قوس
الرجاء منزع وبت ليلة انقد اري السر كانه الى ان اصبحت
وقوائي متخاذلة واركاني متهافتة خوف الاذن بالداء العياء
والداهية الدهياء فاتاني حاجبه بعد فراغه من الاذن
داعيا واذنا فلم ادر ادلج هو ام نابح وادب هو ام نادب
وطالع صبابة ام طارق آفة وخمنت في القرى كناية عن الحذور
وتورية دون القدر المقدور فركبت اليه وسير عناني احصف
مرة من بناني عليه الى ان حصلت في مجلسه فصادفت من
حسن القيام والالتزام وفرط الاكرام والاعظام وفضل

البر والايناس ونصرة الرجاء على الياس ما لم اكن عهدته فيما
مضى من مجالسته ومآنسته وما زال يؤنسني ببشره ويسحرني
بلطفه وبره الى ان ثابت نفسي الي وانحلت عقدة الخوف على
وتطاير الهم عني شعاعا وذهب سوء الظن جفاء ثم ناولني
الرقاع الواردة عليه فنشرتها عن انياب الاراقم وانداج
العلاقم وحماة العقارب على الرسم المعتاد من كيد الاقارب
ثم اقبل علي فقال قد كنت على ان اكتم الامير صورة ما ورد ديبا
لقلبه عن نوازع الظنون والاوهام ولكني فكرت في
حكم الحال التي تجمعني واياه فرأيت اطلاعه طلع ما كتب و
الافضاء اليه بحقيقة ما طلب امكن لسكونه واوقع لطايره
وانفى لخلاج الشك عن خاطره واقسم بجميع ما يغلظ به ايمان
البيعة انه لا يعدل خراج العراق باسره على نفاسته قلامة
بشعرة من ذنبه ولا بزبير من برته وان جميع ما املكه
من صامت وناطق وقاعد وقائم حتى فص هذا الخاتم وزر
هذا القرطق وقاية لمهجته ووقف على مصلحته ومعقد لذمامه

الحوادث عن ساحته ومتصد له في الانتقام له ممن نافسه
في ملكه ونازعه حق ارثه حتى ياذن الله له في رده الى
بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم
على الخصم ايستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة طوعا
وطبعا لا عن رغبة في دعيبة ولا ميل الى نيل ولا تطلع
الى وجه مطمع ان نتغافل عن معونته وارفاده ونتقاعد
دون ما يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وحق
ركن الدولة لا عرف الناس شيئا في هذا الحق العظيم
وقد استسهلت طريق المكافاة واصبت عون الله على حسن
المجاداة على ان الفضل له بسبقه الى البر وان جهدت
في المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة فعجب الحاضرون
من هذا الكلام والكرم الذي عز سماع مثله في سالف
الايام واجتهد الصاحب من بعد لمصالح ابي العباس
تاش مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه
ويقيد شرف الوفاء له وبقي ابو العباس تاش بجرجان

ثلث سنين نابي الجنب عن القرار جافي الجفن دون الغرار
شوقا الى خدمة سلطانه وحرصا على عرفان حق اصطناعه
واحسانه واشفاقا من تاويل حساده في ابعاده عن خراسان
انكاره حق الولاء ونزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء
وجل همه معاودة تجار الاستيناف للخدمة والسلامة
من المذمة وارسل ابا سعيد الشبيبي الى فخر الدولة في
الاستعانة على معاودة خراسان فجهز اليه اسفار بن
كردويه وعدة من اعيان القواد في زهاء الفي رجل
من خلص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن بن فيرزان
وهو بقومس بصلة جناحهم والزعامة عليهم في ايرادهم
واصدارهم والصدور في ذلك كله عن راي حسام الدولة
ومثاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حله وترحاله
وتاديبه وقتاله وحمل اليه صحبته من المال لاقامات
اهل عسكره ضعف ما كان حلفه عليهم عند
فصوله من جرجان فسار ابو سعيد الى قومس فانتدب

نصر لقراه وقرى القواد في صحبته كما قرى تميم ضيفها وجاره
ابن الحضرمي حذو النعل بالنعل وذلك انه امر به في صحن داره
فاخذته السيوف يمنة ويسرة حتى برد وعمد الى آخرين
فحبسهم في سرب واوقد الفحم عليهم وسد منافذ السرب
دونهم حتى اختنقوا بين حر الحبس وعدم المتنفس
وانقلب بتلك الاموال المحمولة والدواب المقودة راميا
بسمة الغدر وقاضيا على نفسه بالخزي يد الدهر وانفل
الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على آخر الى ان وردوها
فقرروا الصورة وقروا الصحيفة المنشورة فورد من
ذلك على فخر الدولة ما اطار واقعه وهاج وادعه وعلى
حسام الدولة ابي العباس تاش ما اقلقه واكمده
واضعف عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه فخر الدولة
بذكر ما وراءه من تجهيز الجيوش اليه يستحثه الى
استراباذ وخيم بجرجان فاخذ نصر اما قدم وحدث
وما مر وحبث وراى الحين قد فغر فاه والسيوف تطلب

وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام
وطفق يكتب في الاعتذار الى الجانبين بانه كالعار كحياء مما
ارتكبه وخجلا من عوار ما اكتسبه ويحمل بشفاعة حسام
الدولة في الاستصفاح واستقالة ما تخبط فيه بسوء
الاختيار حتى كتب في بابه بما نفس من خناقه وتكرم فخر
الدولة بقبول انابته رعاية لحق شيبته وقرابته وعاد
ابو العباس تاش لا جرجان على ان يستانف تدبير خراسان
وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن اخيه بهاء الدولة
لاجل ما اخل فيها بحقه وترخص معها في المفروض من اجلال
قدره ومحله فناهضه في معظم جيوشه من احماله في اعمال
خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في جنود الاكراد
اولي البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها مدلا بالقوة
السابغة والنجدة الوافرة وانهض ابا العباس فيروزان
بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها واستضافتها الى اخواتها
فلما عبر نهر موسى استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة

اهل البصرة عليه فعمد منهم خلق عظيم الى المسالك بينه
وبينهم فبثقوا سكور الاهواز عليها حتى عميت الطروق
واعوزت الجالة المخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات
ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم
الاقبال والادبار ووافقهم اقبال رجول من الوصل على عوادل
الطرق لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما اخذتهم ابصار
ابي العباس فيروزان بن الحسن وراوا فيهم شوكة وفوروا
ولوا على اعقابهم نفورا وكان بدر بن حسنويه قريبا
منهم فلما راى الكشفة جاءهم نائيا وثبت بنفسه مدافعا
فاعياه سد ما اختل ورد من اخل فاستمرت الهزيمة بهم
الى فخر الدولة وهو بسوق الاهواز فشكوا اليه ضيق الحال
وتجمعوا على راسهم للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر في الاول
من عجزهم وخورهم وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم واثرهم
فانكفا بهم راجعا الى همذان على ظاهر هدنة وقع التغاضي
عليها ومنها ومنها الى الري وذلك في شهور سنة سبع وسبعين

وثلثمائة وحدث وباء بجرجان خارج عن الحد في هذه
السنة فهلك من اصحاب ابي العباس تاش ووجوه قواده
واعيان رجاله والمذكورين من عماله وكتابه وسائر حاشيته
وغلمانه خلق عظيم وعرضت له باخرة علة صعبة حتمتهم
به فمضى لسبيله رحمه الله وقد كان اصحابه اوغروا قلوب
اهل جرجان برسوم ذميمة ابتدعوها ومعاملات قبيحة
اخترعوها واحمال عنيفة اوقعوها فلما فتاجز وفاته
صاروا ابدا واحدة على اصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم
تحت كل مدر وحجر وجعلوا القتل جفلى وانتظم الكبير
والصغير والشريف والمشروف في سلك القتل والتنكيل
والابادة والتمثيل وشغل وجوه عسكره دهاة المصيبة
عن الفراغ لقمعهم ووقمهم واخماد جمرتهم واستكفاف
معرتهم واقتضتهم صورة الحال البروز الى ضاحي البلد لضبط
الامر وضم النشر واتقان التدبير في اختيار من يصلح
للتأمير فبرزوا اليه واتفقت كلمتهم على ابي احمد بن اخت

لهم وقدموه وطالبوه بمال البيعة فاطلق لهم ما وجد في
خزانة الماضي مضافا الى ما امكن تحمله واحتياله عشرية
واحدة حتى هدأت فورتهم وسكنت سورتهم وتوالى النفير
من الديلمية اهله ايديهم الى عورات النساء الخراسانية
بغيا وكيادا فحركتهم الانفة للانتقام من اولئك الرعاع
والاغتنام وركبوا على سمت بكراباذ لمجاهدتهم وثار اليهم
اولئك الاشقياء منتها فتين في الدمار تهافت الفراش في
النار فلم ينشبوا ان حمل اهل العسكر عليهم حملة واحدة لتسقطهم
عن رؤوس بلا غلاصم وايد بلا معاصم ونفوس بلا عواصم
وفرشوا الارض ذلك الفضاء بجثث القتلى متلطخين
في الدماء وضربت الدور والحوانيت بالنفاطات وبسطت
عليهم الايدي بالغارات فجرى عليهم ما لم يجر لبيد يزيد بن المهلب
مثله نكاية رادعة وعقوبة وازعة قامعة وعندها ارسل
مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الامان ويناشدون
الله والايمان فكفوا عن القتال وانكفوا الى الرحال

فسكن بانفض تلك الفتنة ووقع طائر الهيج والنوبة واختلف
العسكر في الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان
الخاصة الى خراسان واستحبت الديلمية الانقطاع الى فخر
الدولة والاختصاص بخدمته وكتب الصاحب اليهم يشير
بالتوقف ريثما يلحق بهم الاستاذ ابو علي فيطلق اموالهم
ويحقق في الولايات وزيادة الاقطاعات آمالهم فحضرهم
جيش خراسان عن التوقف وانحلالهم طول العهد بالاوطان
دون التثبت فساروا على سمت الوعد معاودين
نيسابور للاتصال بابي علي بن سيمجور وهو اذ ذاك صاحب
الجيش مكان ابيه واقام الباقون من الديلمية الى ان وردها
الاستاذ ابو علي فاستعرضهم واثبت اساميهم واطلق
امر الهم وسيرهم الى الري فامر فخر الدولة بنقلهم الى الدار
وتوجيههم على الرسم في امثالهم بمزيد الاكرام والايثار
رعاية منه لحق ابي العباس تاش من جانب واستظهارا
بهم من آخر وقد كانت جرجان تموج بالغاغة وذوي

العيث والجرابة ممن قتلوا اهل خراسان ومثلوا بهم فوضع
الاستاذ ابو علي الارصاد لهم وبث العيون عليهم وقتل
ممن حمل منهم يوما واحدا حدا يزيد على ثلثة آلاف صبرا
وصبرا وغيلة ومكرا فتمت بذلك سياسته و
استفاضت هيبته واستقامت اموره وصفت جرجان
في ايامه ممن نعق في فساد او يحكم لغير استقامة وسداد

ذكر ابي الحسن بن سيمجور في قيادة الجيوش وانتقال الامر الى ابنه ابي علي

فاستقامت بولايته وقراره بنيسابور وانحدار ابي العباس
تاش الى جرجان امور خراسان وانصرف عسكر ابي الفوارس
الى كرمان وعاد فائق الى بلخ واستقر ابو علي بهراة
وكان ابن عزير يستحث ابا الحسين على قصد جرجان وينبهه
على التقاعد عنها وهو يستمر على المعلوم من عادته في استشعار

الحزم واستحباب السلامة والسلم اشفاقا من عثرة
قدم بقضي الندم كالتي عرضت لابي العباس تاش بجرجان
من الكشفة التي جلت على الدولة من الوصمة ما ساء
في البلاد خبره الى ان اقيم ابو علي محمد بن عيسى الدامغاني
للوزارة وذلك في جمادى الآخرة من سنة سبع
وسبعين وثلثمائة ونفي ابن عزير الى خوارزم فجهد
ابو علي في تشديد الاعمال وحفظها على الاعتدال
فاعياه ما اراد لانسداد الولايات وتراجع الارتفاعات
واستشراء الحشم وضراوة الاتراك وتحكمهم على
الوزراء واحتكامهم في المطالب خلعا للجام المراقبة
وامنا من السياسة وصدق المواخذة فصرف بابي
نصر بن ابي زيد وهو الشهم الذي يصيب المحز في اقواله
ويطبق المفصل في افعاله ويبذ الكفاة بغنائه ومضائه
وصواب تدبيره وآرائه ثم بدا لهم في امر ابي علي فرد
ثانيا الى مكانه من صدر ديوانه فاتفقت لابي الحسين بن

سيجوز بين هذه الاحوال نهضة الى خراسان بعض
متنزهاته بواحدة من حظاياه فخانته نفسه خلال
الرفث اليها وخر الى الارض عن صدرها ميتا واخفى خبر
وفاته الى ان رد الى داره واستعد لاظهاره وورث
ابو علي رياسة بيته واخوته وجيشه فسد الثلمة الحادثة
بابيه برفق سياسته وحسن رعايته وحفظ ايالته
وولايته وحسنت طاعة ابي القسم اخيه وسائر اخوته
له وعم رضاهم به وبلغ ابا علي ان هراة سميت لفايق
فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه على ما استجازه
من الخطبة على خطبته ثم اتفقا على ان تكون هراة
لفايق ونيسابور مع قيادة الجيوش لابي علي ورتب
كل منهم اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من
بخارا على الرسم لولاة الجيوش وابو علي ظن انه
هو المقصود بها والحبو بالكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول
منتصف الطريق عدل الى فايق بما صحبه فعلم انه مكر

مكروه وقدر اسروه وانه هو المقصود بالسوء والمراد
بالمحذور فلما علم ان فايقا شخص عن هراة نهض ابو
علي من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب المرصد حتى
انقض عليه فيما بين هراة وبوشنج فعل من اتخذ الجد
خدنا وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب جانبا وعلم
انه متى استمرت به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة
وعرف جبنه وخوره لم ترتفع له ولا لاهل بيته راية
ولا يعرف لانتقاض الامور عليهم وانسياب المحذور
اليهم من كل وجه غاية فصدق قتاله آخذا بفرط الجد
والتشمير ودق عسكره دق المنخل آسناه المسامير
فولوا منهزمين الى مرو الروذ واردفهم ابو علي بعدة
من قواده للتشديد به في هزيمته فوافقوهم بقنطرة
مرو الروذ مستعدا للمدافعة فقارعهم حتى اسر
منهم عدة وحملهم الى بخارا وسار ابو علي الى مرو خاطبا
عمل ابيه ومدلا بسابق حرماته ومساعيه ومتكثرا

باخوته وذويه فحقق الرضى سؤله وجرد اليه فيما
استدعاه رسوله وقرر قيادة الجيوش عليه وناط
مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة
وقهستان ولقبه بعماد الدولة فانكفأ الى نيسابور وقد
نال ما اراد فهذب الاعمال ورتب الاحوال والرجال
واخذ امره يزداد نورا وبهاء ويتضاعف قوة واستعلاء
الى ان تلقب بامير الامراء والمؤيد من السماء وامتدحه
ابو بكر الخوارزمي بقصيدة وهي ... اولها

ان الثواني خلف الخدور هم في الضمائر والصدور
وقع الغبار عليهم فغدا بنية على العبير
لما مشين على الثرى تاه المغار على المغير
فغدوت في حال الاسير ورحت في حال الحسير
وكذاك من عشق النجوم ورام صيد البدور
يا سائلي عما في البراقع والهوادج والستور
فيها الرضاع من المنية والفطام من السرور

وسالت من فوق المنابر حين يخطب في السرير
فهو الامير ابن الامير ابن الامير ابن الامير
المشتري المدح القليل بماله الجم الغفير
من سيفه كسر الجبير وسيبه جبر الكسير
والناظم المعنى الطويل بلفظه النزر القصير
يرمي اعاديه بسهم من سعادته طرير
يشوي الحرير لشانئهم مس الحرير
ويؤنث البهم الذكور بتلكم البيض الذكور
وسهامه نوب الخطوب وقوسه عقب الدهور
ورماحه حشو العدى وعداته حشو القبور
استغفر الرحمن بل حيشو الجوامع والثغور
ويصوم صارمه فيفطر بالجماجم والنحور
واذا اتاه سائلا رب السويهة والبعير
ابصرته بفنائه رب الخورنق والسدير
احمد بن محمد هذا الماد من البحور

لوكانت الدنيا تدور على الحقايق في الامور
ما صيغ تاج محمد الامين القمر المنير

واتاه البديع ابو الفضل الهمذاني وهو بمرو يمتدحه بالقصيدة التي اولها

على ان لا اريح العيس والقتبا والبس البيد والظلماء والبلبا
واترك الجود معسولا مقبلها واهجر الكاس تغذو شربها طربا
حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة والسير يسكرني من متنه تعبا
وطفلة كقضيب البان منعطفا اذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من اجفانها حببا دونه تنظم من اسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منتحبا
لا در در المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هونا ولا كثبا
يا مشرعا للمنى عذبا موارده يناه مبتسم الارجاء اذ نضبا
طلعت لقمر اسعد منازله حتى اذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة ابهى ما دجت درجت وكنت كالورد اذكى ما اتى ذهبا

استودع الله عينا تنتحي دفقا حتى تؤوب وقلبا يرتمي لهبا
وطاعنا اخذت منه النوى وطرا من قبل يقضي الهوى من حكمه اربا
غضي عليك قناع الصبر ان لنا اليك اوبة مشتاق ومنقلبا
ابى المقام بدار الذل لي كرم وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة دون الامير وفوق المشتهى طنبا
يا سيد الامراء افخر فما ملك الا تمناك مولى واشتهاك ابا
اذا دعتك المعالي عرفت هامتها لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
اين الالى اعدوا المال من ملك يرى الذخيرة ما اعطى وما وهبا
ما الليث مختطما والسيل مرتطما والبحر ملتطما والليل مقتربا
امضى شبا منك ادهى منك صاعقة اجدى يمينا وادنى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا من تراه ملوك الارض فوقهم كما يرون على ابراجها الشهبا
لا يكذبن فخير القول اصدقه ولا تهابن في امثالها العربا

فما السموأل عهدا والخليل قرى ولا ابن سعدى ندى والشنفرى
من الامير بمعشار اذا اقتسموا مآثر المجد فيما اسلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان يعشرني والمازني ولا القيني منتدبا
هذا الركبته وذا الرهبته وذا الرغبته وذا اذا طربا

ثم واستوى على بلاد خراسان وارتفاعاتها جبيت له عن آخرها وكتب الرضي اليه يستنزله عن بعضها لاطلاع حشمه وعوارض مؤنه فاعتل عليه باستغراق عطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة يتحملها لتتمة اطماعهم في السنة وهو في ذلك يخلط طاعة بجفاء ويسر حسوا في ارتغاء ونصب ابا علي النسفي لصحابة الديوان وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان باسرها فلم يبق بها ذو درّ الا ادمى خلفه والصق بظهره بطنه ثم طالبه بما دفع اليه وامر بدق يديه على رجليه الى ان اعفي ببعض المال ومات باخرة على شرحال وصار يكاتب الملك الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة هارون بن ايلك بغراخان وهو ببلاد الترك سرا على ان يتشاطرا خراسان وما وراء النهر متى ملك على الرضي بخارا فكان مثله كما قيل بمحمد سلوا سيوف محمد ونحوا بها هامات آل محمد وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا بزعمه للتقية او تحمدا الى الرعية وقد كان طايفة من دهاقين ما وراء النهر قد املتهم ايام تلك الدولة فقرمت نفوسهم الى الاستبداد والاحماض به عن خلة الالفة والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد ذلك الحريم شاحذين عزمه في المضاء والتصميم فصار يتطرف تلك الحدود شيئا فشيئا كالبازي يجل بنصاح اجفانه على التدريج تانيسا له من الوحشة وتسكينا من الروعة وتضرية على القنص الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا انج الحاجب في طلبه ورده على عقبه فالتقيا على حرب اشابت الذوايب واثارت الكواكب ثم انجلت عن اسر انج في الكبار من القواد

والكثير من الافراد واستحكم لذلك طمعه في تورّد سائر البلاد

ذكر الفائق وما انتهى اليه امره بعد الوقعة المذكورة

واقام فائق بناحية مرو الروذ على رمّ الرثّ وجبر الكسر
واسو ما فشا في عسكره من كلوم الحرب فلما التحم امره
وانضم نشره سار يريد بخارا من غير استيهار واستطلاع
راي فانتدب الرضي بوفيما قاد بها برز الرضي الى فضاء
السهلة بيابه ورماه بانج وبكتوزون الحاجبين وسائر
مواليه وموالي ابيه فلما رهقه الكفاح وعضته السلاح
اجفل اجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل
والتنكيل والاسر والتذليل ووافى الشط منهزمه فوجد
السفن مغيبة فركب الخطر واحتال حتى عبر وسار
الى بلخ على ان ينتاش فيها ويرتاش واقام بها اياما ثم
عبر الى ترمذ وواصل بغراخان بكتبه يبعثه على الانحدار
ويحثه على البدار وخوطب من بخارا والى الجوزجان

ابو

ابو الحارث احمد بن محمد الفريغوني بقصده وحصل فجمع
بو شاعطنها وساق من ارض الجوزجان بريا فانتدب لهم احد
غلمانه وكان يعرف بارسلان آخر سالار في زهاء خمسمائة
من الترك والعرب فانقضوا عليهم انقضاض الصقور على بغاث
الطيور فمزقوهم بددا وجعلوهم طرائق قددا وفرشوا
الفضاء بجثث القتلى وغنموا مالا لا يعد ولا يحصى و
عادوا الى بلخ ظاهرين وقد كان طاهر بن الفضل ملك
الصغانيان على ابي المظفر محمد بن احمد وهو واحد خراسان
جلالة قدر ونباهة ذكر ومتانة راي وجزالة نظم ونثر فانقطع ابو المظفر الى جانب فائق صارخا فزعا
فاحسن اصراخه وامده بمن رد ورآه فاغتنم طاهر بن
الفضل خفة اصحاب فائق ببلخ فلفت لفته اليها
طامعا في الاستيلاء عليها فزحف المقيمون بها لمدافعته
ونهدوا لمناجزته وتناوشوا القتال وصدقوا المصاع
والصيال ونقف بعض العرب كان طاهر بن الفضل فقصده

فقصده بطعنة اذرته عن مركبه وبادر اليه فاحتز راسه
عن مركبه وثار الصياح بقتله فولى اصحابه على الادبار حائرين
بين سمع الارض وبصرها وهائمين اثناء بحرها ومدرها
ولما جرى في اثر الحاجب ما جرى ونقل الى بلاد الترك
في زمرة الاسرى انتفضت مرائر الاعمال بما وراء النهر
ووهت قواها وتداعت قواعدها وبناها فاشفق الامير
الرضي واركان دولته من ان تتفاقم الامر ويتراكم الشر
ويعضل حادث الداء وينضب باقي الماء فخوطب فائق في
الاستمالة وقبل عثرته بالاقالة واستنهض الى بخارا الا
به على سد الخلل وتعديل الميل وسرّت عنها بعد حسن
القبول والاقبال وازاحة العلة بالاموال الى سمرقند
فلم يرعه الا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة
وظهير الدعوة وقد استجاد اليه قوادم الطير ركضا لم ينثل
فيه جماحا ولا غمضا فولى فائق من بين يديه هزيما فلم يلو على
تعرف الحال مقيما وجعل من كان معه من اصحاب اللطف

عرضة للسيوف وفريسة لانياب الحتوف وتوافقت الشهادات
على ان انهزامه كان عن مواطاة منه لبغراخان على آل سامان
فعل من لا وفاء يزعه ولا حياء يردعه ولا تهمة تخفيه
ولا حرمة تكفه وسار كما هو حتى اقتحم بعقوة بخارا فراع الرضي
بالداهية الدهياء والخطة النكراء والقضاء المبرم من
السماء حتى اضطره الى مفارقة الدار واللياذ بذمة الاستتار

ذكر ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضي عنها والنصرافه ثانيا اليها بعد فصول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فائق مختصا به ومنخرطا في
سلكه ومكثرا سواده ومتلقيا اليه لين قياده كانهما كانا على
ميعاد وتلاقيا عن سابق صحبة واتحاد ولما استقرت
الدارية قرارها استاذنه فائق في النهوض الى بلخ لاستضافتها
الى ولايته واتاوة اموالها لخزانته فاذن له فيه وسار الى
الترمذ وبعث بعثا الى بلخ فاحتاط عليها ونصب بها من يحمي

الاموال ويدبر الاعمال واهتبل الامير الرضي فرصة البروز
من مستتره في ذروة النكرة حتى عبر النهر الى آموية وقد كان
هاجر اليها امامه عدة من خواصه وحجابه ومعلى زراره
جايرين عايرين فاعتدوا بمقدمه عيدا وظنوا انهم
انشيئوا خلقا جديدا وتلاحق بهم ابناء المجرم فنموا عدة
وعديدا واعتمد الامير الرضي ابا علي البلعمي للوزارة
وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة فعجز عن التدبير
لضيق الحال والمجال وانسداد وجوه الاموال وتزايد عدد
المهاجرين من الرجال وقد كان نفي عبد الله بن عزيز الى
خوارزم بعد صرفه عن الوزارة فامر الرضي بالكتاب اليه
في استحضاره لاستيناف الاعتماد عليه فيما كان يليه واستكفائه
المهم منه وفيه فبادر اليه مغتنما خدمته في تلك الحال متوصلا
الى مرضاته بوجوه الاحتيال وقد كان الرضي من لدن تجرمه
المستر واستطارة شرره باعالي ما وراء النهر من جهة الترك
يكاتب ابا علي محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد

الدولة والمعتمد لحياطة الحوزة وحراسة البيضة في الاستنفار
والاستمداد ويتلطف له في التجشم للجهاد وتطهير
تلك البلاد من ذوي البغي والفساد بعد ان ساجحه باموال
خراسان واغضى له عن ارتفاعاتها ترضيا له واحتمالا لامنة
واستبقاء للصنيعة عنده وطمعا في الاستقلاع بشأنه
والاستظهار بمكانه فبعد الاستعداد للنهوض والاحتشاد
للبروز حتى استغرقت مواعيده شهورا عدة ثم نهض من
نيسابور الى سرخس ومنها الى مرو في مثلها من المدة يتربص
اثناء ذلك رجفة القوم وتغلبهم فيشاطرهم الملك عن
حاجز النهر فيكون ما دونه له ولهم ما وراءه وكان قد اتصل
به وبخدمته طائفة يزينون له هذا الرأي ويحلونه في عينيه
ويجلونه في معرض التصويب عليه تقربا اليه ويوحون اليه
انها دولة قد تمت ايامها وحان ان ينوح عليها اصداؤها
وهامها لاستمرار العثرات عن الاطراف بها واتيال الفتوق
من كل الوجوه عليها وان المعني بنصرتها مخذول بخذلانها

ومحكوم عليه بالادبار لادبار زمانها ووهي قواعدها واركانها
فلما استقر الرضي بآموية كتب اليه بان الخفاء قد برح
والبلاء قد برح وانه آن له ان يستاثر بعز الاحدوثة
في مظاهرته والاقتداء بسلفه الذين هم صنائع دولته
ودولة آبائه في طاعته ونصرة دعوته وكف الاذى عن
وجهه ورده الى دار قراره ومعشش اوليائه وانصاره
فقد قطع طمعه الا من جهته ويئس الا من معونته
ومغوثته واستشعر الياس الا من لدنه وقبل هجوم بغراخان
على بخارا ما واصله بكتبه في الاستصراخ والاستغاثة
ومجاوزة التلطف الى التضرع في الاستنفار والاستنجاد
فمن تلك الكتب فصل حفظته عن انشاء الوزير ابي علي
الدامغاني وهو وانما تحتاج الدولة الى عمادها اذا قصدها
من يزعزع عن اسباب اوتادها فالله الله في هذه الدولة
فقد جاءتك مستغيثة اياك لائذة بك وكان تاثيرك فيه
تاثير الرخاء في الصخرة الصماء لا خدش ولا حك ولا شق

ولا شك وفرش خلال ذلك بساط الدالة والاقتراح
يستزيد رتبته في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره
من اصحاب الجيوش به ثم لم يرض بذلك حتى اقترح الجمع
له بين التلقيب والتكنية على العنوان منسوب
الولاء الى امير المؤمنين وانما ولاؤه لآل سامان فقابل
الرضي جميع ذلك بالايجاب ووفاه ما اشتهاه من شريف
الخطاب وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم للرضي
ورد عليه رسولا يعرف بارسطاطاليس ايام مقامه
بآموية زيادة على المبذول له يجري مجرى الشطط والمحال
فقال ايها الامير ان ذلك السلطان اليوم بحيث لو اقترحت
عليه خطابك بالتامير لفعل ولكن وراء اليوم
غدا فاختر لنفسك ما هو اجمل بك وازكى في الاحدوثة
عنك فكادت عند ذلك العيون ان تصوب والقلوب ان
تذوب واستمرت القسوة به فلم يرد الا على وعد مطال
وتسويف ومطال لا جرم ان الله تعالى كفى الرضي شغل

مادهاه ونصره وآواه وأعاده إلى خطته ومثواه وختم
بالخير عقباه وأسلم الغادر بما كسبت يداه وما الله بظلام
للعبيد

ذكر انصراف الرضي إلى بخارا بعد جلاء بغراخان عنها

واتفق أن مسّت بغراخان علة استوبلوا المقام ببخارا فانزعج
عنها عائذا ورآءه ومعاودا هواه وعمد أهل بخارا إلى
نفاضات عسكره فطحروهم طحرا ودحروهم دون حواليها
دحرا وبادر الأتراك الغزية على أثره قتلا وطردا وعركا
وطحنا ولم ينفك يمضي على الإحجام والانهزام على بابه
من ألم السقام حتى ذاق كأس الحمام وحين أحسّ
الرضي بإجفاله على حاله ابتدر العبور إلى بخارا فيمن
تضام إليه من حاشيته ورجاله فباشر الناس بما
أتاحه الله له من عوده إلى دار ملكه وقرار عزه تباشر
الصيام بهلال الفطر وذوي المحول والإعدام باستهلال
القطر وصفت له بخارا وسمرقند وما صاقبهما من ولايته

وسائر مملكته ولما رأى أبو علي ما استقام له من الأمر
وانضم من النشر وسقط من ناجم الشر وخمد من نائرة
الفتنة التي قدرها تماما لا تنسمع ودهياء لا تنقطع
وانضاف إلى ذلك أن بغراخان لما ألقى عصا القرار ببخارا
كاتبه على الرسم الذي كان ولاة خراسان يكاتبون
أصحاب جيوشهم به غير واف بالشريطة التي كانا تعاقدا
عليها وتواصيا بها من النزول على رتبة التماثل واقتسام
جانبي الملك على حكم التناصف والتعادل سقط في
يده وفتّ في عضده وذهب عليه أمره وأظلم عليه
رأيه لإسفار الاختيار عن خلاف تقديره وانكشاف
العواقب عن ضد ما أماله من قداح تدبيره فاستشار
نصحاءه فيما دهاه واستقدح آراءهم فيما عراه فأشاروا
عليه بمعاودة التقرب واستيناف التلطف واحتيال
ما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة المعصية ويسد
خلل التقصير الواقع في الطاعة فأعد من صنوف الأموال

والهدايا ما رام ترضيته به واستمالة قلبه عليه و
استلانة جانبه بمكانه وسنح لفايق بعد إحساسه
بعود الرضي إلى قرارة ملكه أن ينهد إلى بابه متغلبا عليه
ومتحكما على رسمه فيه وكان الرضي قد دهاه من جهته
مثل ما كان دهاه من جهة أبي علي تصاما عن ندايه
وتقاعدا عن فنائه وتقاعسا في فرض طاعته وولايته
فضرب الرضي وجهه بوجوه حجابه ورجال بابه ووافقهم
الحرب بغلمانه وكافة أعوانه حتى استلحمت العدد
الجم من الفريقين وفرشت الفضاء بالقتلى من الجانبين
ثم انفل عنهم هزيما وجنب مركب النجاء حرصا على النجاة
إلى الشط هيبتها فعبر إلى بعض الأطراف وتلاحق به
من أخطأتهم ظباة السيوف وحلق الإسار من أصحابه
فانحدر بهم إلى أبي علي منتقلا في حبله ومنخرطا في
سلكه ولائذا بذمته ومستذريا بظل طاعته ووافق
أبو علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه

بعدما على أحادثات اجذبلاجه واستقبله بأهل عسكره
على أتم إجلال وإعظام وأعم إكبار وإكرام وأحسن ترتيب
وترحيب وبشر زنق وبرخصيب وتيمن بمكانه روح الغنى
عن الرضي فصرف إليه ما كان أعده له من الهدايا مفصحا
بالجفاء والخلاف ومصرحا بالتمرد والانحراف وتحالفا على
الوفاء والصفاء والتظاهر على الأعداء ونهضا إلى نيسابور
للاستعداد وتخمير الرأي في تهييج الفساد ولما يئس الرضي
من صلاحهما له دبر في الاستعداء عليهما والانتصاف منهما
بمن يشتد بأسه ويجد في اللقاء مراسه فوقف به التدبير
على الأمير أبي منصور سبكتكين لما توسمه فيه من أمارة
الخير باعتكافه على غزو الهند احتسابا لثواب الله والتقابا
لكريم القربة إلى الله فأرسل إليه أبا نصر أحمد بن محمد
الفارسي النائب عنه ببابه وكتب على يده بذكر ما أعياه
من الداء بمكان مواليه أبي علي وفايق وخطبهما على دولته
وقصدهما إياه في نفسه ومملكته واستيثارهما عليه

بارتفاعات جوزته غير راجعين الى حشمة ولا راعين لحق نعمة ولا متمسكين من الحياء بعصمة وان الذي قد دهمه من امرهما قد سد عليه وجه الخلاص وطريق الانتصاف الا من جهته وما يرجوه من معونته والطف القول في استدعائه وتطميعه في كمال ما يتكلف من نصرة اوليائه بفرط قوته وعنائه فصادف وصول الكتاب والرسول نفسا منه مرتاحة لاجابته منشرحة لطاعته تواقة الى مقام الجمال بارتهان رضاه وموافقته وبادر بالعبور الى ما وراء النهر للقاء الرضي ومشاورته واستماح المقصود من رايه واشارته ونهض الرضي الى ناحية كش فخيم بها على موعده ووصل اليه الامير سبكتكين فالتقيا هناك على احسن ما سمع به في مثله من تسوية المواكب وتعبية الخيول والاذناب وقد كان الامير سبكتكين يستعفي لشيبته عن متنزل الخدمة وملتزم الارض على رسم الطاعة فاعفي عنه اكتفاء بصدق العناية

جميل

والرعاية منه حتى اذا اختلطت الخيول وامتدت الصفوف واصابت عيناه صفيحة وجه الرضي ازعجته روعة الملك واخذته العزة للنزول والتبرع بما كان يستعفي منه قبل الوصول فتلقاه الرضي باتم الاكرام والاعظام ورعاية للحق والذمام وجرى مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة وتباشر الخاصة والعامة وامر الرضي باقامة ما وجب اقامته من صنوف الانزال واتباع ذلك بما يصلح اتباعه به من طبقات الرجال وساله بعد ذلك ان يفرغ له نفسه ويصرف الى قصد ابي علي وفايق وكفاية شرهما عزوة فضمن له حسن الطاعة وبذل الوسع والاستطاعة واستاذنه في الانكفاء الى وطنه ريثما يجمع متفرق الاهبة وينظم منتشر العدة ثم يواجه الخطب بجد جديد وباس شديد ورجال يخوضون في بحر من حديد فاذن له وصرفه وامر له من الخلع الفاخرة والاخبية الباهرة والمبار الوافرة بما ضاهى جلالة قدره

والكد الثقة بصادق وعده ورجع كل منهما الى مكانه واقبل على استصلاح شانه ومحادثة سيفه وسنانه وورد على ابي علي من ذلك ما ابهم عليه وجه التدبير وسد عليه باب التاخير وجعل الرأي شورى بين اصحابه فيما اكثر له الامر عن نابه فكانت زبدة مخضهم مكاتبة فخر الدولة ومعاقدته ومواداته ومعاهدته وتاثيل حال في جانبه ترجى ليوم العثار ونائبات الليل والنهار فارسل اليه ابا جعفر بن ذي القرنين بما اعرض من تحف خراسان وافرد الصاحب اسمعيل بن عباد بمثل ذلك طمعا في حصول الغرض المقصود من الانجاد على يده وحسن سفارته ووساطته قال ______ وحدثني ابو جعفر انه دخل على الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه ثم قال له مخاطبا عن صاحبه مثلنا في حمل هذا التافه الطفيف الى الصاحب الجليل مثل من يستبضع التمر الى هجر فقال الصاحب قد ينقل التمر من مدينة الرسول عليه السلام الى هجر لا للحاجة اليه

التقديم

الإنجاد

ولكن للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد اسباب الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت العصمة ودرت المكاتبة واستحكمت المداقة وقد كان مامون بن محمد صاحب الجرجانية وابو عبد الله خوارزم شاه قد احسنا التقرب الى الرضي ايام انحيازه الى آموية بما ساعدهما الوقت عليه من مال ورجال فعرف ذلك لهما واحب ان يجزيهما عما خدماه به وقدماه من قدم الطاعة له فجعل نسا برسم مامون بن محمد وابيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل منهما على عمله فانهض كل واحد منهما من يقوم بضبط عمله وتدبير ما اصفي به فافرج ابو علي لمامون عن نسا لحكم حال المودة بينهما قديمة واسباب في الانجاد وكيدة ودفع ابا عبد الله خوارزمشاه عن ابيورد اعتلالا لانها ولاية اخيه ابي ابرهيم وانه لا يسعه النزول عنها الا بعوض له منها وامر بولاية اصحابه عنها وشلهم دونها فاسر ذلك خوارزم شاه في نفسه الى ان تمكن من الفرصة في امره فاستشفى

على ما سنشرحه عند الانتهاء الى ذكره وطلعت خلال
ذلك رايات الامير سبكتكين من غزنة على ما كان سبق
من وعده وقد جمع واحتشد واستمد واستنجد وقام
في الاحتياط والاستظهار وقعد وساق امامه الفيول
التي كان ملكها على ملوك الهند في غزواته ومقاماته و
عبر الرضي الى الجوزجان والتقى مع الامير ابي الحارث
الفريغوني واليها واقام الى ان وصل اليه الامير سبكتكين
من غزنة على ما كان ولحق به الشار ملك غور ومن جرى مجراه
من زعماء البلاد في طبقات الاجناد واجتمع سواد شرقت
بهم المسالك والمذاهب واجدبت عليهم المراتع والمشارب
ونهض ابو علي وفايق من نيسابور الى هراة وبها ايلمنكو غلامه
وصاحب جيشه فخيم بها مدافعا عنها ومراميا دونها وضوى
اليه من كان مقيما من حرسته بمرو الروذ وباذغيس و
غيرهما اخذا بالحيطة واحتراسا من الغرة وسار الرضي مع
الامير سبكتكين حتى اناخ بناحية بغ وارسل عند ذلك

ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي كانت بينه
وبين ابيه من المواتاة المهيدة والجهات الوكيدة وما استمر
عليه بعده من سيرته في الاتحاد والوداد والاشتراك
والاشتباك ويسأله ان يتوسط الامر بينه وبين الرضي
على ما يحلو حزازة قلبه ويطفي حرارة غيظه ويسترد
شارد اناته ويمسح جانب مرماته محتكما عليه بما يستصوبه
في حسم الداء وحقن الدماء وتسكين الدهماء وتأليف الاهواء
فاحسن الامير سبكتكين الاصغاء الى ما سأل وشد النطاق
لما التمس ومال بجهده الى الاستصلاح ووضع السلاح
على عادته في كراهة الفتن واماتة الاحقاد والاحن
وسأل الرضي في مجالس عدة شفاها ورسالة ان يأخذ
بادب الله تعالى في العفو والغفران واقالة العثرة بفضل
البر والاحسان ايثارا للذي هو اقرب للتقوى واحمد
في البدء والعقبى ولم يزل به على اتصال نفرته واشتعال
جمرته حتى سمح بالاجابة واسمح بالعفو والاقالة على ان

يفتدي من ارش عصيانه بخمسة عشر الف الف درهم
يؤديها في ثلاثة انجم على رسم الموافقات فكتب اليه الامير
سبكتكين بذكر ما استتم من الصلح على يده وانتظم من
عقد الصلاح بسعيه وجهده وتشاور اصحاب ابي علي
ووجوه قواده في اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه
من الغرامة واغتناما لما يرجون عليه من السلامة
فصادف ذلك حدة من شبانهم ونزقا من احداثهم وذهابا
منهم بانفسهم عن الاذعان للمكافة والرضى بالصلح الكافي
لمصلحة الكافة وثار من اوباش الاتراك وسرعان الصعاليك
طائفة الى معسكر الامير سبكتكين فاختلسوا منه
غلاما له كان يلي امر فيلته وقتلوه في عدة ممن اصابوا
بحرثهم وانضاف الى ذلك ان رسول الامير سبكتكين
لما كر وراءه بجواب ما تحمله وافى ابا الفضل الزيادي
احد نواب ابي علي موكلا ببعض تلك الثنايا والمخارم
وقال له هيهات ان سعيك لفي ضلال وان صاحبك ما ينطق الا

في محال ما نحن باحلاس الصلح وابنائه ما دامت هذه العيون
حافظة سوادها والعواتق حاملة نجادها يعني به قول القائل
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
فلما نمت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط
غضبا وقضى من ادبار القوم عجبا وعزم على المناجزة
واستخار الله في صدق المجاهدة وارسل الى ابي علي
ان خذ في ازهاف سيفك وسنانك فقد جئتك بما
لا يغنيك منه سوى حدة الحسام وثبات المقام وزحف
الى الفضاء الرحيب بفرونة يوم الاربعاء للنصف من
شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة فرتب الخيول
مقانب ومناسر وعبى الجيوش ميامن ومياسر وشحن
الصفوف بفيلته المجففة كانها شواهق اعلام او طوارق
غمام ووقف الرضي به وبالامير محمود ولده في القلب
مشحونا بحماة الرجال ومحفوفا بحماة الابطال كما قيل
من كل اروع ترتاع المنون له اذا تجرد لا نكس ولا جحد

يكاد حين يلاقي القرن من حنق قبل السنان على حوبائه يرد
وسار فخيلت الارض سائرة والجبال مائرة والنجوم منكدرة
والسماء منفطرة وثار من وقع السنابك نقع اوهم
كسوف النهار الشامس او عود ظلام الليل الدامس
وقد كان رتب ابو علي جيوشه اسوة الامير سبكتكين
فجعل فايقا في الميمنة واخاه ابا القسم بن سيمجور في
الميسرة وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء
والحفيظة من ثقاته فكانوا على الحقيقة جيش الطواويس
من وبيص الحديد ولمعان الجمر والبيض واشرقت
عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق وتلالات الآفاق
حتى اذا اندانت للخطى بين الفريقين حملت الفائقية اولا
على ميسرة الرضي فبددوا انظامهم وزعزعوا عن المقام
اقدامهم وثنى ابو القسم بن سيمجور بمثلها على من قابله
وصنع صنيع الآخرين وحمل دارا بن شمس المعالي قابوس
بن وشمكير من قلب ابي علي فظنوه يسعى لشرف المقام

او رعاية حق الذمام والانعام حتى اذا بلغ بين الصفين وقى
ظهره بترسه واقبل على موقف الرضي بوجهه فاستأمن
اليه ووقف للقتال بين يديه فانخزل اصحاب ابي علي لما
اخفره من الذمة وقطعه من العصمة اشفاقا من مواطاة
اصحابه اياه على مثل صنيعه وعندها حمل الامير محمود
بن سبكتكين على قلب ابي علي في سواد فدح بثقله كاهل
الارض وسد بقسطله مناكب الافق فلم يثبت احد من
اصحاب ابي علي لكفاح او مدافعة بسلاح بل انفضوا من
موقفهم انفضاض العقد خانه النظام وانسل منه الفذ
والتوام وجعلوها هزيمة انتكست بها الاعلام وغصت
بجموعهم الاباطح والاعلام وركب الامير محمود اكتافهم
بضربات تفلق الهام انصافا وتسقي النفوس سما ذعافا فلم
يفته الا سرعان تلك الجموع ومن خفف عن ظهره ثقل الجواشن
والدروع وغنم اهل العسكر اموالا لو افتدى ببعضها على
الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها ووضعت الحرب تلك

الاوزار عن ابنائها وسار ابو علي بالفل من اشياعه الى نيسابور
فاقبل بها على جبر الكسير وريش الحسير استعدادا للاخذ
عنها قبل رهق اللحاق ومؤتنف التلاق وخيم الرضي والاميران
سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت ركابهم وتوفرت
على الاولياء رغائبهم ولقب الامير الرضي الامير سبكتكين
بناصر الدين ووارث ملكه السلطان محمودا بسيف الدولة
وقلده قيادة الجيوش سادا مكان ابي علي به وسار الى نيسابور
في هيبة اشعرت النفوس مهابة وملأت قلوب العداة كآبة
ورجال كالقروم المصاعب وافيال كالاسود الغوالب محطومة
بالاساود ففي ذلك يقول ابو الفتح البستي
بسيف الدولة اتسقت امور رأيناها مبددة النظام
سما وحمى بني سام وحام فليس كمثله سام وحام
وسنجري ذكره آنفا بسيف الدولة الى ان افاء الله الملك منه
الى مظنة الاستحقاق وشهره بلقب اليمين في كور الآفاق
ثم ارتحلوا على وجه نيسابور ولما تسامع ابو علي بنبائهم

فارقها متحدرا الى جرجان على الوثيقة التي كان اخذها على
فخر الدولة في بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى لم يهها
وكتب اليه بالحاجة التي لجأته الى القصد ولايته والانقطاع
الى جانب مملكته وارسل ابا نصر الحاجب اليه في تقرير حاله
واستدعاء معونته بذاته وماله واستنان الصاحب في
تنجز ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة رصاله
ويعده لها من ثمرة وداده فامر بما التقام مياومة لوكيله
وبالفي الف درهم من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره
واقام هو وفائق حتى انحسر عن غرة الربيع قناع الشتاء
وقد كان الرضي انحرف عند انجداد الامير سبكتكين
والامير سيف الدولة الى نيسابور بعبد الله بن عزيز الى
طوس انحنافا عليه بما سوّل له من ارصادهما اياه بالمكروه
على ما دعته النصيحة اليه من مناقشتهما في بعض
الاعمال والاموال فنهض الامير سيف الدولة محمود على
اثر انظهارا للبراءة واستشعارا للطاعة واستنهاما للخدمة

وازاحة لعارض الظنة وطار عبد الله بقوادم العقاب
تحت خوافي الليل الى مرو على جوادل الطرق اشفاقا على
نفسه من عادية التضريب فعل المتهم المريب وتلقى
الرضي مورد سيف الدولة باتم اقبال واسبال وصرفه
ورآه على احسن حال وانعم بال وارتحل بعقبه الى
مرو لاحقا بنوزيع ثم منها الى بخارا حتى استقر بها على
سريره وقد كان الامير سبكتكين وسيف الدولة لما
وصلا الى نيسابور فرشا بها د العدل ورفعا عماد الامن
وتتبعا رسوما كانت جائفة من قبل فمحاها جنت الرافة
وحسم المخافة وارتياد مصلحة الكافة فانشرحت
الصدور واستقامت الامور وامنت الطرق واتصلت
القوافل والرفق ثم سنح للامير ناصر الدين سبكتكين ان
ينقلب الى هراة لمطالعة ما كان برسمه هناك واقام سيف
الدولة بنيسابور على قيادة الجيوش ورعاية الجمهور وقد
كان ابو علي طمح الى زيادة من المال تحمل اليه معونة له على

عسكره من الري فكتب اليه ابو نصر الحاجب باني عرضت الكتاب
وقررت المراد وكان من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك
مثل الانهار العظام تصطفق مياهها وتزخر شعابها فيرى
الناس ملتقى عبابها ومصطفق امواجها ويغفلون عن
عدد الجداول التي تغترف منها والسواقي التي تتشعب عنها
ولو انا قدرنا على ثغور خراسان لاستضفناها الى ما لديه
من سرة الارض وواسطة الاقاليم لكنا قد سمحنا بها
تيسر والعذر ظاهر فيما تعذر فاستوحش ابو علي من جوابه
واستشار فايقا ووجوه قواده في تدبير الامر بصوابه
واتيانه من بابه فاختلفت آراؤهم بحسب اجتهادهم
في المشورة ورويتهم في استشفاف العواقب المستورة فاشار
بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضي
بها والكتاب اليه بالطاعة وضمان الاتاوة اذ كانت تلك
ولاية قد اعيت صيد الملوك وصناديد القروم على
خطابهم لها بهم العساكر وطلابهم اياها بسمر الرماح وبيض

البواتر واذا بهم عليها مصونات الرغائب وتغريرهم فيها
بكريمات النفوس والحرائب وقد حصلت له عفوا صفوا
وانفتحت عليه سهوا رهوا وبيع العين بالعيان محالة وانه
النقد بالنسيء ضلال واشار فايق بمناهضة الامير سيف
الدولة ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق
الجموع عنه وانجلاء ابيه سبكتكين والمخالفة هواء
جرجان طباع عسكرهم ونكاية فيهم قدر ما تنكر لهم
الفصل وتحتدم عليهم الجو فوافق هذا الراي جمهور
العسكر لحرصهم على الوطن ونزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا
على هذا الراي وتطابقوا على الانكفاء واضطروا ابا علي
الى مساعدتهم واتباع ارادتهم وعند ذلك ورد الخبر
بمضي الصاحب اسمعيل بن عباد لسبيله وكان معنيا
بمصالح ابي علي وتحسين آثاره والاشارة على فخر الدولة
باغتنام جواره ومعاونته على ثاره فكسره الى ابي علي
نعيه فضل المقام واغراه بتعجيل الانتقال ولما

استأثر الله بالصاحب اكثر شعراء العصر في مرثيته فمنها قول ابي محمد الخازن
يا كافي الملك ما وفيت حقك من مدح وان طال تمديح وتأبين
نعت الصفات فما يثنيك من احد الا وتزيينه اياك تهجين
هذي نواعي العلى قد قمن نادبة من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف اقعدهم واستيقظوا بعد ما نام الملا عين
لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطين

ومنها قول ابي سعيد الرستمي الاصفهاني
أبعد ابن عباد يهش الى العلى اخو امل او يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها قول ابي عيسى المنجم
والله والله لا افلحتم ابدا بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا وذري او كان منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومنها قول ابي العباس الضبي

أيها الباب لم علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجاب
قل لنا رقبة وغير اجتناب مات مولاي فاعتراني اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه فهو الآن في التراب تراب

ومنها قول أبي الفتح البستي الكاتب

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده كريم يروي الأرض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلى كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول أبي منصور الثعالبي

ألا أيها الغرة العليا ألا أيها النكتة الدنيا وشمس الأرض فرد الدهر
عين السؤدد اليمنى
أما استحيا أبو يحيى لقبض العالم الكبرى لئن ختمت بك الدنيا
فقد فتحت بك الأخرى

ودخل أبو علي من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الأول
سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدمه فايق على طريق اسفراين
حتى إذا قارب حدود نيسابور عدل إليه واختلط به وسار
مسير المستعدين للحرب المجدين في الطعن والضرب وبلغ

سيف الدولة خبرهما فكتب إلى الأمير سبكتكين بإقبالهما
وبروزه إلى ظاهر البلد في خف من العدد وخيم به على انتظار
المدد فانجلا عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول
الأمداد فاضطرم عليهما نارها وباشر بنفسه وخاصته
أوارها من حيث ترجل رأد الضحى إلى أن ألقت ذكاء
يمينها في كافر متعصفرت أرض الوغى بدماء القتلى
وأضحت مناسم الفيول رجالا كانوا أركانا للصفوف
عند اشتجار الزحوف واختلاط الأسنة والسيوف
وهم أصحاب أبي علي بالإخلال جبنا عن النزال ثم تداعوا
بالمناص طلبا للخلاص فكانت جملة وافقها العدد وانحاز
سيف الدولة بمعظم جيشه إلى مناخ أبيه الأمير سبكتكين على
أمان من بأس الطغام إرصادا للخصوم بيوم الكرور على
الثار وإبلاء لهم لعذار الأعذار وتخلف عنه ما أعياه
استنجاؤه من أثقال وفيلة ثقال وتحجز عن خدمة ركابه
طائفة من رجال الهنود وسائر أفناء الجنود فذكرت عند

ذلك شغلة لأبي علي الطمعت في استقلاله وعوده إلى المعهود
من حاله لكن الله قضاهما سببا لاجتياله واستيصاله وأشير
عليه عند المامه بنيسابور أن يتبع أثر الأمير ناصر الدين
وسيف الدولة مجلا لهما عن علة الارتياش والانتعاش
وقوة الاستنجاد والاستمداد فأثر بها فقل من كلت
بصيرته وانحلت مريرته وعمي عليه قصده ونعي إليه
جده وأخذ يعتل بصفورة يده وخلو خزانته وإشفاقه
من خذلان عسكره إياه إن دعاهم إلى البراح وسامهم
خطة الكفاح وأخذ يكتب إلى بخارا معتذرا عن جنايته
ومتنصلا عن بادرته ومستقيلا عارض عثرته ومستميحا
قبول معذرته وأرسل إلى الأمير سبكتكين رسالة الواهي
جلده المتناهي كمده المتخاذل لسانه ويده يحل بالكشفة التي
استمرت بالأمير سيف الدولة على فايق وسائر أهل عسكره
لاكراههم إياه على مفارقة جرجان ومعاودة خراسان وأنه
لو وجد إلى مراده سبيلا أو في ذي اختياره وهواه مقيلا لما

انتقت لفت خراسان ما عاش تفاديا من وحشته وتحرزا من
كراهته ويسأله أن يهب له ثاره ويستوهب الرضي خطاياه
وعثاره فلم تزده رسالته إلا زيادة على التطميع في اغتياله
والتنبيه على انخزاله والتفرية على اقتناصه والإيمان من قوة
خلاصه وبث الأمير سبكتكين كتبه إلى من
تفرق عنه في ديار مملكته وأطراف ولايته من قواده
وأجناده في استنهاضهم إلى مخيمه واستعجالهم إلى مضربه
وأنهض الوزير أبا نصر بن أبي زيد إلى الأمير خلف بن أحمد
والي سجستان يحثه اللحاق به وكتب إلى والي جوزجان
أبي الحارث الفريغوني بمثله وطالع حضرة الرضي باستمداد
وانتظار ما يرد عليه من مثاله فكتب إلى القواد بنواحي
خراسان بالبدار إليه وانثالت الأمداد من كل جانب
عليه فسار الأمير سبكتكين في جيوش لو راموا الجو
لاستنزلوا طيارته أو وردوا البحر لابدوا قراره وسار
للانتقام مسير الليل غاشت كواكبه والسيل ضاقت به مذانبه

وقد كان فايق مذ لاذ الى طوس يكاتب الامير سبكتكين
مداهنا ويطمعه في الانحياز اليه مهادنا فتلقى وجهه
بشماله وتكيل عليه من مكياله وتكفل اميرك الطوسي
احد الامراء النازوذية لابي علي بين الطاعة والمناعة
والموافقة والمنافقة يقدم رجلا للورود ويؤخر اخرى
للقعود فارسل ابو علي ابا القسم الفقيه اليهما للاستمالة
وتحذيرهما قدم الضلالة فنهض اليهما واخذ له الميثاق
عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بها فسار ابو علي وتلقاه
فايق واميرك الطوسي بناحية طابران فاتفقت كلمتهم
على التظاهر والتضافر وخلصت نياتهم في التساعد والترافد
واتخذوا معسكرا بقرب اندرخ فخيموا به وقد كان
ابو القسم اخو ابي علي قد عتب عليه لعدوله بولاية هراة
وثمرات اعمالها عنه الى المنكو غلامه وتقصيره به فيما
كان يخطبه ويقترحه عليه من امثالها على وفائه له وولائه
اياه والتزامه حكم المشاركة له في كل ما نابه وعراه

متقاعسا عنه عند نهضته من نيسابور اغلالا عليه ببقية من
اشغاله حتى اذا انقضت مدة ارتحاله آيسه من وصوله ووصاله
احوج ما كان الى عونه ونضاله فزاد ذلك في انخزاله وكسوف باله
وحث الامير سبكتكين تلك الخيول في قصد ابي علي حتى اناخ
بطوس مقابلا لمعسكره وذلك لعشر بقين من جمادي الآخرة
سنة خمس وثمانين وثلثمائة فادفيان الخيول وشبان الجنود
الى التطارد والتجالد فبقوا على ذلك عامة يومهم فلما قبض
الليل مسافة ابصارهم عادوا الى مضاربهم وشاور ابو علي وجوه
قواده في مغاداة الحرب فاشار عليه اميرك الطوسي وذووا
الحصافة منهم بالتجاء شعب الجبل والاستظهار على الامير
سبكتكين بمناعة ارجائه وغزارة مائه وسعة العلوفة
من ورائه ومماذته الحرب على اغراء الرجالة الطوسية
باطراف عسكره مبيتين وخاربين ومغيرين وعائثين
الى ان يدركه الملال ويلحقه الفشل فيتفرق عنه الجند
فعندها يناجزونه على بصيرة وقوة مريرة واستماحة جارحة

فتعجب من سمع هذا الرأي من احداث العسكر وقالوا انما
نطاول القوم ونمدافع الوقت لا يعرف الناس انا نميل عن
المصاولة الى المطاولة وعن المساورة الى المصابرة فانا نحن
نساقيهم المنية ونصبحهم منها كأسا روية فانتقض عليهم
التدبير وصار المأمور هو الامير وتبكر العسكران
عند انفلاق الصبح الى الاستعداد للقاء والاحتشاد
لحرب الهيجاء واقبلوا على تسوية الصفوف مشحونة بالالوف
كآجام الليوث من ذبل القنا والسيوف وحصن الامير
سبكتكين مواقف عسكره بنخب فيلته فجلت تحت
التجافيف اطوادا فارعة وامواجا متدافعة ودنا الفريقان
بعضهم من بعض فلم يرع ميسرة ابي علي الا رهج ثار عليهم
من وراء قرية قرصتهم ذات اليمين فاذا هم بالامير سيف
الدولة في الطم والرم والليل المدلهم فتزلزلت اقدامهم
وضلت احلامهم وافهامهم وراوا ان قلب ابي علي قد حمل على
قلب الامير سبكتكين فساعدوهم على حملتهم تفاديا عن

ايقاع الامير سيف الدولة بهم فمزقوا مصفهم ونقضوا عن الزحام
موقفهم فوقف لهم الامير سبكتكين فيمن احتف به والتف عليه
من خواص غلمانه ورد حملتهم في وجوههم فارتدوا على ادبارهم
وقد اطل سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا محصورين بين
العسكرين واخذتهم السيوف من كلا الجانبين وثار قتام
خلط البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع البيض على بيض المفارق
وحطم الدبابين ما بين الطلى والعواتق فطفقت خراطيم الفيول
تسلب الفرسان من صهوات الخيول وتلحق القاتل بالمقتول
وبلغ سيف الدولة من الايقاع بهم والاثخان فيهم والانتقام
منهم وصب السيوف عليهم مبلغا لم يسمع به رستم في
زمانه لزحمته حدة عنانه وهذبته آداب سيفه
وسنانه وفات المحصورون ببقايا المهج تحت غواشي
الرهج وبرزايا الارواح من بين مشتجر الرماح فانجلت
المعركة عن قتلى مضرجين في الدماء وجرحى مطرحين
على العراء واسرى آيسين من الفداء وركب سيف الدولة

الكتائف الفلّ فاسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبل وعمي عليه وجوه تلك المغارات والمداخل وكان من جملة المأسورين ابو علي بن بغرا الحاجب وكبتكين الفرغاني وارسلانك وابو علي بن نوشتكين واماشاذ بن سجان ذو الجبل ولشكرستان بن ابي جعفر الديلمي وهولاء اعيان عسكر ابي علي وذوات قواده ووجوه اركانه واعضاده وسار ابو علي وفايق بين مهاوي تلك الجبال ومصاعد تلك القلال الى ان اناخا بقلعة كلات وهي التي تخفى الرياح بين نيافها وتزل الابصار دون ذراها وشعافها فاضافتها امير ك الطوسي الى ان ظهر لهما عدد من سبق ومن لحق وجملة من اجتمع ممن تفرق وكان ابو علي قد سرّب الفيلة التي قبض عليها بباب نيسابور الى كلات في جملة ضِبنته فكتب ابو علي بن بغرا الحاجب وسائر الاسراء يذكرون ان الامير سبكتكين استدعاهم ومنّاهم ووصلهم وحباهم ووعدهم الافراج

اقامات احل عنهم متى ردت تلك الفيلة الى مرابط امثالها من مناخه وسالوه ان يفعل ذلك تنفيسا عنهم وتخليصا لهم فتقدم ابو علي الى اميرك بردها والافراج عنها ففعل ونهض هو وفايق على سمت ابيورد مصحرين عن تلك المضايق فبعث اميرك الطوسي بتلك الفيول الى الامير سبكتكين وكتب اليه يريه انه المتقرب بردها المتفرد بالخدمة فيها فاستغمر بذلك ذنبه واحبط على ابي علي قربته وفي ذكر هذه الوقعة يقول ابو الفتح البستي الكاتب

الم تر ما اتاه ابو علي وكنت اراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه رجال يقلعون ابا قبيس
وصيّر طوس معقله فابحى عليه طوس اشأم من طويس

وسار ابو علي وفايق لسواد ابيورد على ان يقصدا الكورة فسنح لفايق ان يعدل الى سرخس لراي رآه فخذل ابا علي المكان وسار بمن معه من الغلمان فلما سمع ابو علي بنبائه ارسل اليه باني غير مفارقك على اية حال تصرفت بنا من اجداب واخصاب

واجزان واسهال وان ركوب هذا الطريق كان على ما سنح لنا بادي الراي من الصواب واذ قد بدا لك في التدبير فاني تابع لرايك وها انا من ورائك فوقف له الى ان لحق به وسارا الى سرخس ومنها الى مرو وحين تسامع الامير سبكتكين بخبر عدولهما عن سمت ابيورد نهض على اثرهما واستخلف الامير سيف الدولة على ما فوض اليه من اعمال نيسابور ضامنا عنه كفاية امرهما فقضيا اوطارهما بمرو ثم اخترقا مفازة آموية الى الشط متحجرين بجدوبة المفازة وصعوبة المسافة وانسداد المسالك وانسدام المناهل والقيا بها عصا القرار وارسل ابو علي ابا الحسين محمد بن كثير وفايق عبد الرحمن بن احمد الفقيه ورسيهما الى بخارا في استعتاب الرضي واسترضائه واستفاءته الى رعاية حقوق مواليه واوليائه فاما ابو الحسين محمد بن كثير فانه صرف ورده على وجه جميل وكتب الى ابي علي في تمنيته وتاميل وامره له الى ان ينحرف الى الجرجانية فيقيم بها الى ان يستانف

تدبير امره بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه امر باعتقاله ووضع في الحبس على رسم امثاله وندب من بخارا بعض المسودة بكتاب الى مامون بن محمد والي الجرجانية ليتقدم بتطرية حاله وذكر ما التمس من الراي في بابه فامتعض فايق لما قوبل به رسوله وعمد على ان يعبر النهر الى ما وراءه ملتجيا الى ايلك ومستصرخا اياه ومستعينا به على ما دهاه واشار على ابي علي بان يساعده ويجمع اليه يده وساعده فان الغرض المقصود في طرحه الى الجرجانية تفريق ذات بينهما في المساعدة والمرافدة والاجتماع على الحادثات باليد الواحدة وان الذي غمسا فيه ايديهما من الخلاف على تلك الدولة اضطرارا كان او اختيارا لا يوجب الاغضاء عن تبعاته والذهول عن نقمات ايامه وجماته فاختار ابو علي منابذته على مساعدته ومجانبته على مقاربته سترا الله تعالى فيما حكم به من صدع شمله وقطع

حبله ووضع رحله

فليس لرحل حطه الله رافع وليس لأمر شاءه الله دافع

وافترقا عن مناخهما فأما فائق فعبر النهر الى ما وراءه عائذاً بالايلك
مستنجداً اياه وواصلاً عروته بعراه فأنهض من بخارا على أثره
بكتوزون الحاجب فتصادما بحدود نسف وولى كل واحد
منهما صاحبه ظهره بعد أن ابلى في اللقاء عذره فقبله ايلك احسن
قبول وقراه أحسن مقول ومفعول وضمن له الوفاء بامله
ورده الى ما استنزل عنه من عمله وأما ابو علي فأخطأه الطريق
وحرم التوفيق فسار مستقلاً بما اجترحه من العصيان خجلاً
لما فاته من فرصة البر والاحسان قد حلته يد القدر
برود الحيرة والسدر وعميت عليه غياهب القضاء
مذاهب الفضاء فهو يخبط خبط عشواء مستبسلاً
للمقدور مستسلماً لطوارق المحذور وانشدني ابو حاتم
البستي المذكر في مثل حاله لبعضهم

اذا اراد الله امراً بامرئ وكان ذا عقل ورأي وبصر
وحيلة يعملها في كل ما يأتي به مكروه اسباب القدر
اغراه بالجهل واعمى عينه وسله من عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر

ثم وجه ابو علي قدماً على سمت الجرجانية الى أن بلغ به المسير
الى هزاراسف وهي قرية تقابل بلدة خوارزم من جانبها الغربي
فأرسل اليه خوارزمشاه من اقام به نزلاً وقدم اليه عذراً
ووعده العبور اليه عند المشاهدة به وقضاء حق وفادته
وقد كانت زماة القر قد نالت من اعضاء عسكره في خمر الغياض
والآجام لاغبيا لهم حجج الظلام وحكى لنا ابو علي
الحشنامي احد ثقات ابي علي وكان قد نفذ فيما مضى من
أيامه رسولاً من جهته الى خوارزمشاه أنه أنشده أبياتاً
لابن المعتز ورسم له تبليغها الى ابي علي على معنى النصيحة

إذا امكنت فرصة في العدو فلا تبد شغلك الا بها
فإن لم تلج بابها مسرعاً اتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها وتأميل اخرى وانى بها

قال فرددتها له وذلك قبل استيحاش خوارزمشاه منه فقبلها
منه بمنة ثم ذهل عنها كأن لم يقرع بها سمعه ولم يستودعها
يوماً من الدهر ذرعه ولم يعلم انها كانت رمزاً من الأيام له
بارتقاب النوائب واتقاء العواقب ولم يدر أن للأفعال والاعمال
جزاء يحيق بأربابها وحياً او بطيئاً وحثيثاً او متئياً
وغفل ليلته تلك من الاحتراس واقتدى بغفلته سائر
الناس حتى اذا اثقل العيون كراها ونفه النجوم سراها
ضجت الآفاق خفق الطبول وغطغطة الخيول واحيط بالقصر
الذي نزله ابو علي على قتاله اوتيل المراد من استنزاله فبادر
من حف به من غلمانه للدفاع وثارت جمرات المصاع وخف
بنفسه الى زعيم القوم يسأله ما خطبك ولماذا اخرجك فقال
له ان خوارزمشاه امر بك فتقرب اليه بلطف الاذعان
دون عنف الضراب والطعان فهو للفتنة اطفأ وللاحنة
أنفى ولباع الانتقام اقصر ثم انت بالرأي ابصر فبادر
ابو علي الى النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر
نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر
رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فامر به الى بعض
القصور معتقلاً فيه وبث الطلب على اصحابه وقواده فأسر
معظم الاعيان والاركان وافلت ايلمنكو صاحب جيشه
بمن اتبعه نحو الجرجانية ونودي بين الاجناد وخدم القواد
من اقام يومه بهزاراسف ابيح دمه فتفرقوا ايدي سبا
في الاقطار كشوارد الامثال والاشعار واعتقل الباقون
على صغار وخسار الى ان اذن الله في خلاصهم بوالي الجرجانية
مأمون بن محمد وذلك انه لما سمع بنبأ ابي علي وما ارتكب منه
خوارزمشاه اضطرب قلقاً واضطرم حنقاً وبات يرعى
النجوم ارقاً الى ان استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر
جرار يستخفون مثاقل الاحمال ويخوضون مشارع
الاهوال ويقدون رواسي الجبال ويستنزلون العصم
من شعف القلال وساد فيهم ايلمنكو في خواص انباعه على رجال
قد اوغرتهم الحفائظ والاحن واحرجتهم النوائب والمحن

فهم يسعون لما النار لنفي العار ودرك الاوتار فعبروا الى كاث
مدينة خوارزمشاه واحاطوا بها احاطة الاطواق بالاعناق
وناوشوه الحرب من كل اوب ودرب فظلت تلفح وجوه
رجاله بجمراتها حتى اجلتهم عنها مدحورين وجعلتهم في
ربقة الاسار مقهورين ودمروا على خوارزمشاه في قرار
بيته فاعتاقه بيديه ووصل الى ابي علي فحمل بثقل قيده على
رجليه وتبادلت حالاهما في دفعة من اديم النهار فصار
الاسير منهما اميرا والامير اسيرا وكان ذلك على الله
يسيرا وتحول ابو علي نحو الجرجانية في احسن حال وانعم شعار
وحمل ابو عبد الله خوارزمشاه على قتب عار بين خزي وعار
فاستقبلها مامون بن محمد فقابل ابا علي بالاعظام
والاجلال وعومل ابو عبد الله خوارزمشاه من ضروب
الاذلال بما يجل عن المقال وانسلخ مامون بن محمد عن
جنوده في اكبار ابي علي واجلاله وشاطره صنوف امواله
واقام العطايا لعامة رجاله حتى انتظمت احوالهم واحل بهم

اختلالهم وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا كانما
عمل عليه صناع صنعاء تزيينا وتحسينا وتنضيدا
وتجيدا فاحفى عليه في الشرب احفاء لطف ومسلة
اذ كان قد هجر الشراب وودعه منذ زمان فلما
اخذت الكؤوس منهما ماخذها اقترح احضار خوارزم
شاه فاحضر يحجل في قيده ولم يزد في جواب ما سئل
عنه وعير به على الاطراق وسمر الارض بالحداق
وجملة امره انه امر به فاذريت هامته عن منكبيه
فدحرجت الى الارض شيبته البيضاء كذلك يفعل
الله ما يشاء وصفت خوارزم لمامون بن محمد فرتب
بها من اقام الخطبة برسمه وجبى اموالها على حكمه
وتابع كتبه الى الرضي متشفعا في امر ابي علي وسائلا
تدبر امره بما يؤنس وحشته ويجبر خلته فخوطب
هو وابو علي في الملتمس بصحيفة المتلمس رضا بما
ينطوي على حقد دفين وداء في الصدر دوي وامر

ابو علي بالمسير الى خدمة السرير فلاحت له اماني قعد
بها جده واصلد عليها زنده فشخص نحو بخارا سائرا الى
دمه بقدمه وقد اغفلت الايام قلبه عن ذكر
فعلاته وزلاته ليلقى قدرا مقدورا وليقضي الله
امرا كان مفعولا ولما شارف بخارا استقبله
الوزير عبد الله بن عزير والقواد على طبقاتهم مهنئين
ومبركين ومضى فيهم الى السهلة ونزل بها واخذ بلثم
الارض الى ان بلغ السدة فرفع له الحجاب وسار امامه
الحجاب الى ان وصل الرضي فاستوفى ادب الخدمة
ولبس ذل كفران النعمة واستتر لعقبه المملوك
في كبار اخوته وقواده حتى اذا نودي بدابته للخروج من
الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والاخرون في
القيود والاصفاد واطلق على الوقوف بالباب ايدي
الاولياء والحشم فطبقوهم بالسلب والنهب وسلحوهم
من كل مضيق ودرب وخصت حال ابي علي بنومه

ذلك يوم تطامن فيه صولة واستقام صعره ونفخ
له شرع واعيا على ورده صدره كذلك كفران النعمة
لا يرضى الا بسخط صاحبه وايساد الزمان عليه بانيابه
ونوائبه ورحم الله من قال فلقد احسن المقال

إذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يأت من امره ازينه
واعجبه العجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه

وقد كان الامير سبكتكين منيخا بمرو فلما بلغه ايقاع
خوارزمشاه بابي علي عدل الى بلخ يغني بها على جملته في
الطاعة وارتياد مصلحة الكافة الى ان ورد ابو علي بخارا
واوعز في بابه بما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب
الرضي عليه بما يهم به ايكنس من الانحدار عن الاعالي وحيازة
ما في ايدي عماله من عمال تلك النواحي يسأله تحشم الحقوق
في وجهه والعبور لكفاية شغله متمما لصنيعة عنده
في استحياء دولته واستبقاء ملكه وحوزته فاستشار

في ذلك وجوه نصحائه ووزرائه فترجحت الأجوبة
بين تبعيد وتقريب وتخطئة وتصويب فأخذته العزة
بالوفاء وهزته الحفيظة للنداء فعدل عن مشورة
النصحاء إلى صريمة العزيمة والرأي وأقبل على الاستعداد
والاحتشاد وبث كتبه إلى ولاة الأطراف وزعماء البلاد
بتعجيل الورود وتقديم الوفود وعجل هو إلى العبور قبل
تلاحق الجمهور ومضى إلى ما بين كش ونسف فخيم بقرية
تدعى بيازي إلى أن وصل إليه ولاة الجوزجان والختل
والصغانيان وسائر أطراف خراسان وورد عليه الأمير
سيف الدولة من نيسابور في هيئة راقت العيون
وهيبة راعت القلوب ورجال قد ذبتهم الحروب
في حجورها وأرضعتهم التجارب من شطورها فلم يسمع
بمعسكرها وراء النهر جمع من كبار الملوك وأعيان
القروم وطبقات الجنود بما جمعه ذلك المناخ وبلغ
ايلك عبورهم للقائه فأرسل إلى الأمير سبكتكين

عدة

عدة من شيوخ بابه يذكر أنهما أخوان في ذات الله لا
تفاتهما على نصرة الإسلام واقتسامهما ديار الترك والهند
بالغزو والانتقام وانهما يحكم مساعيهما في إظهار دين
الله وإفلاج حجة الله أحق بارتفاعات خراسان وما وراء
النهر من مستخلص بيته على مآرب نفسه وشهوات
بدنه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما مغمودا
وأن اجتماعهما على حطيئها أعود عليهما من ركوب الخطر
واجتلاب الضرر لخط يخلص لا غيرهما وانه لا يستحل
في دينه أن يعدل بالسيف عن أعداء الله إلى وجهه
إلا إذا اضطر إليه ابتداء وسامه الدفاع عن نفسه
اعتداء فليختر أيما الأمرين رآه من وفاق وافتراق
وائتلاف واختلاف فهو يسم بناره ويجدو على غيرانه
مرجع إليه أن اعتداد الرضي إياه بتأميله حين خذله
أبناء دولته وكفره أنشاء نعمته يذمم إليه الإعمال
دون حيف يجري عليه وملك يراد انتزاعه من يديه

وأن تغريره بجميع ما يحويه على استغراقه أيام الغرفية
أحب إليه من سيمة الخذلان واختيار الإساءة على
الإحسان فليقطع طمعه عن الرتائع حول تلك المرابع
أو فليأذن بحرب يحطم فيها متون الصفاح وتقصد معها
عوالي الرماح وترخص عندها غوالي
المهجات والأرواح فلما علم ايلك جده وذاق بلسان
الاختبار ما عنده قرع للأمير ظنبوبه وشد للحرب
حيزومه ورمى أحياء الترك بقداح هي فيما بينهم
علامات الاستنفار فثار إليه الطم والرم
جيوش تضيق البلاد في مجراتها ترى الأكم فيها سجدا للحوافر
وكتب الأمير سبكتكين إلى الرضي يستعجله اللحاق به
ليستقدمهم هيبته في مناهضة الخصم وفل حده وزجرته
عن صدد الملك الذي وراء حده وأشفق ابن عزيز على
نفسه من حركته للهنات التي كانت الجانية إلى
الهرب والباذية من حر الطلب وتشجع الرضي بأن

الأمير

الأمير سبكتكين وعامة ولاة الأطراف عبروا النهر
في أحسن عدة وعتاد وأبلغ استظهار واحتشاد وأن
المحن التي استمرت بك قد نقضتك عن تحمل مثلك وجلت
زينة الملك عن رحلك فقبيح بك أن تجاوز من حاله العلى
من حالك وجلالته أتم استظهارا من فرسان رجالك
والرأي لك أن تستعفيه عن شهادتك بنفسك على أن
تحشر إليه وجوه القواد في جماهير الأجناد من أطراف
البلاد وتحكمه فيما يراه من مسالمة أو محاكمة ومكافحة
أو مصالحة ليكون فيصل الأمر بيديه على الوجه الذي
هو أحق عليه فكتب الرضي إليه فعلم أن ذلك من تسويل
ابن عزيز وافتعاله وتمويهه واحتياله وقصده أن يحبط
عليه سعيه الذي سعاه في العبور واستجاشة الجمهور
وتحمل الأثقال واستنفاق الأموال فسرب الأمير سيف
الدولة وأخاه بغراجق في قرابة عشرين ألف رجل
إلى بخارا لإزعاجه عن مكانه وسير معهما أبا نصر أحمد بن محمد بن

بذلك

أبي زيد لتدارك أمر الديوان الذي كان برسمه فلما
أحسّ ابن عزير بإقبالهم ورأى ليث الموت كاشراً عن نابيه
وعقاب العقاب ناشراً جناحيه للانقضاض عليه
فابتغى نفقاً في الأرض أو سلّماً في السماء حتى إذا أعياه
ما توخّاه فزع إلى الانحجار ولاذ بالاستتار وولّى الرضيّ
أبا نصر بن أبي زيد ما كان يليه وهو الشهاب الثاقب
والنقّاب الذي هذّبته المناقب وأقام بكفايته عماده
وقوّم منآده وحذف عنه ما كان قد آده ووصفه
أبو الفتح البستي بأبيات وفّى المدقق بها حقه وهي

فديت أبا نصر المرتجى لتفريج كل ظلام يظلّ
له قلم حازم لا يكلّ إذا كان في الحرب سيف كلّ
موجز لكنه لا يخلّ ويطنب لكنه لا يملّ
وكيف يملّ وتوفيق من أفاد العقول عليه يملّ
تجود قريحته بالبديع عفواً لجود القراح المغلّ
مدقّ مجلّ وأولى الكفاة بأعلى الصفات مدقّ مجلّ

وكتب إليه عند استقرار الوزارة عليه

أبلغ مقالي كل عافٍ مجتدي ومؤمّلٍ في قصده أن يهتدي
عرّج على الشيخ الجليل المرتجى وزر الوزارة أحمد بن محمد
فرآه ملء العيون وحبه ملء القلوب وسيبه ملء اليد
يفري أمور الملك رأياً فيصلاً وعزيمة تزري بكل مهنّد
ويفيض نائله بسيل راحة فيقول سائله غرقت فهل يدي
فارنُ الرجاء إلى علاه فإنه غوث المرجّي غيث الصدي بدر الدجي
لا زال في يوم أغرّ مبشّر بسعادة غرّاء تطلع في غد
ليقيم كل مآود وينيم كل مسهّد ويضم كل مبدّد

وقد كان الأمير سبكتكين أحسّ بإبقاء ابن عزير
على أبي علي وجدّه في النضال عنه لما يقدّره في الأيام
من التسلّح به عليه فلوّح الرضي بميله إلى ما يقع من
نقله إلى جنابه فأوجب قبل وصول سيف الدولة
إليه إشخاصه به وحصل هو والمملوك في حماية كانت
خاتمة لعمره قاطعة لظهره وأمر الأمير سبكتكين

به فنقل إلى جرجير في محمل لو رأى من قبل مثله في منامه
لعاف برد الماء على زرقة جمامه واستعفى عن طيب الحياة
باقي أيامه نغصاً وانحدر فيما بين نهوض سيف الدولة
إلى بخارا إليك في قبائل الترك واستئناف مسألة الصلح
فأوجب الأمير سبكتكين إجابته إلى ملتمسه لقعود
الرضي عن مشاهدته وفتوره في أمر نصفته واشترط
عليه أن يتزحزح عمّا دون قطوان ولا يطلق عليه
عنانه ولا يسرح إليه عماله وأعوانه على أن يقرّر سمرقند
على فائق إيجاباً لشفاعته ورعاية لما سلف في ثنا الرضي
من حق طاعته وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة
بمشهد الفقهاء والأعيان من الجانبين وانصرف
كل منهما عن وجه صاحبه وعاد الأمير سبكتكين إلى
بلخ وسار سيف الدولة نحو نيسابور وهدأ على الرضي ما
كان ممزوجاً من أمور الأعالي وأقبل أبو نصر على مهمات الوزارة
وأكثرها شغل الإثارة لتقلّص الولايات وقصور

الارتفاعات عن الوفاء بما كان مثبتاً في القديم من وجوه
الأطماع والإقامات وجعل يزجي فيها يوماً بيوم ويفصل
دماً بدم إلى أن ثار به بعض غلمانه فقتلوه وذلك على
رأس خمسة أشهر من وزارته فضاق الرضي ذرعاً بما
دهاه لإشفاقه من ظن الأمير سبكتكين أن هناك قصداً
في أمره أو رضا بالحادثة به وأظهر الاكتئاب واستعظم
المصاب وبرز من الدار فصلى على جنازته وأمر بإقامة
التنكيل والتمثيل على الفتكة به وأنشدني المضراب البوشنجي يرثيه

قلوب الناس آلمة سقاماً ونفس المجد والهة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن تولّت بفقدك الدنيا يتيمه

وفيه لبعض أهل العصر يرثيه

لما ثوى صدر الوزارة أحمد وخوت نجوم المجد في ملحوده
أذريت من فرط المصاب مدامعاً كالغيث بعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد رأى فرط الجوى والطرف يمزج دمعه بصديده
خفّض عليك فقلت قولاً ذا اجترا دعني أبكّيه بسحة جوده

والله ولي التوفيق للاعتبار وبانتقاص الاعمار وتغير الاحوال

ذكر ابي القسم بن سيمجور اخي ابي علي وما افضى اليه امره بعد تقاعده عنه

ولما انحاز ابو القسم عن اخيه ايام محنته الى ان ورد الامير
سبكتكين خاسنة من نيسابور فنهض اليه متعرضا للقائه في
تمهيد حالته بما لائه وولائه فرعى حقه ودفع قدره وقوى
اسره وضمن له ما سره وخطب له الى الرضي ولاية قهستان
فاجابه اليها وامر له بالمنشور عليها وجبى الى ذلك بخلع عرفت
يمنه الطاعة وكسته بمنة العز في الاختلاط بالجماعة فاوى
الى قهستان ساكن الجاش ظاهر الرياش اثيث الجناح مريع
المسرح والمراح الى ان سنح للامير سبكتكين عبور النهر
لتدبير امر الترك فكتب اليه يستنهضه الى مجمع اركان الدولة
واعيانها ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الامر الجاذب
وممانعة الخصم المغالب فجملته نقوى العواصف واساءة الظن

بالنوائب وطواه عهده بخبر اخيه فيما ذرع من لباس الهوان
وجرع من كاس الذل والامتهان على ترك المسير والادلاج
بعض المعاذير وعلم ان تقاعده عن اجابته سيورثه عند
فراغه له داء عضالا ويكسبه خطبا لا يطيق به استقلالا
فبادر الى نيسابور مغتنما خلو خراسان عن حماتها وطابقه ابو
نصر بن محمود الحاجب على فعله ورايه فتظاهرا على الاستظهار
بجمع المال واثبات اصناف الرجال وحين سمع الامير
سبكتكين بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة في الاخذار
الى نيسابور وامده باخيه بغراجق والى هراة لنقض ما ابرم
من امرهما وحصد ما نجم من شرهما فسار اليهما ولم يرض بهما
حتى انحط على اثرهما منصلتا كالشهاب في اثر العفاريت فلم
يدع ابا القسم وابن محمود غير اظلال الجيوش عليهما فارتحلا
مطايا الهرب وسارا الى اسفرائن متقيين جد القضب وركب
الاميران اكتافهما يسلانهما سل النعم حتى لفظتهما حدود خراسان
الى تخوم جرجان وامتد الامير سبكتكين الى طوس فاناخ بها الى

ان تطاير اليهما خبر اقباله فزاد في حفزهما للانهزام واعجالهما
دون المقام وعطف اليه سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما
من تفريغ خراسان عنهما بحدود البعد وقد كان فخر
الدولة علي بن بويه قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه
ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة من البارز ومال من العين و
التجير على سبيل النثار اقتناصا لمحبته واستخلاصا لرضاه و
موافقته فقابله الامير سبكتكين باضعافه من الالطاف وزاده
عليها ثلثة من الفيلة الخفاف وارسلها المعروف بعبد الله
الكاتب احد ثقاته فنمي الى فخر الدولة تجسسه عليه عدد
اجناده وغوامض الطرق المفضية الى بلاده فكتب الى الامير
سبكتكين يشير الى ان رسول المرء لسانه وعنوان ضميره وترجمانه
وان فلانا ورد فخالف باطن افعاله ظاهر مقاله وكان
من بعض فصوله انه لو اراد لعلم ان سرير الملك لم يستقر في
سرة الارض الا لغلب واسود سود فحز هذا الكلام
في صدره وحدش وجه الحال التي كان خطبها فخر الدولة

الى وده ثم اردف كتابه ذلك بابي القسم الرسول احد وجوه
بابه واصحبه رسالة مشافهة مشتملة على ذكر الحال التي دوم
عمارتها في مودته وتحصيل رضاه وموافقته وان الدمني تبرع
له بالرعاية الوافرة وبذل الحال بملال المصاهرة لكنه يرى قوام
ذلك ونظامه بما يوجبه من مواصلته وعمارة حاله من ذات
صدره وساله ان يثق بالاخلاص له من قلبه والاسعاف بما
تحت يدي ملكه وملكه وان ينطوي له على مثل ما بذله له من نفسه
ليستحصد المرائر ويتاكد الاواصر ويستمر به التحالف
والتآلف ويرتفع التخالف والتجانف فاحسن الامير
سبكتكين اجابته الى ما طلبه والحمه من سره ما خطبه
وصفت الحال بينهما عن الشوائب وانتفت عن وجوه المقادح
والمعائب واستامن ابو القاسم بن سيمجور الى فخر الدولة عند
الياس من خراسان فاستدناه الى الدامغان وقومس وجرجان
وفرض له ولمن اشتملت جريدته عليهم من حاشيته ورجاله ما
لا يدر عليهم وسناتي على بقية ذكره في موضعه وورد على الامير

سبكتكين موسى الخادم رسولا عن الرضي يستقيله فيمن يرشح
للوزارة لخلو مكانها بعد ابي نصر بن ابي زيد عمّن يراعيها ويستقل
بأعباء الكفاية فيها فوكل الاختيار الى رأيه واظهر مظاهرة
من كان من وزرائه فاختير ابو المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي
لها وحبي بالخلعة والكرامة فيها فتكفل بالامر كفالة المذرب الحرب
وقام بالتدبير قيام المنجح المستدرب الى ان اختطف الرضي اجله
وعثر بحياته امله وعطف الامير سبكتكين بعد ذلك الى
بلخ وعاد سيف الدولة الى نيسابور وقد كان ابو الحسين بن
ابي علي بن سيمجور مقيما بقاين عند الوقعة بناحية طوس فلما
سمع بانكفاف عسكر ابيه ركب المسافة نحو الري فآواه فخر الدولة
واكرمه وخلع عليه فضل كرمه وامر له بخمسين الف درهم
مشاهرة تدر عليه عند ولاد كل شهر واضاف اليه من الحملان
والبغلات ووجوه الاجنبية والكرامات ما تميز به عن اشكاله
رعاية لحق ابيه فيه وتبجحا بحصول مثله في جملة اوليائه وحملة
اياديه فاغراه سوء القضاء وودك الشقاء بالهرب من مفترش

الراحة ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية ومرتفق السلامة
والعافية حتى زج بنفسه في قحمة الثبور من كوة نيسابور
مطاوعة لنوبة كان زعم بها وظن ان استتاره يطوي خبره
ويخفي عينه واثره الى ان يقضي من هواه وطره فلم يرعه الا
احاطة الطلب به من حوالي مستتره فاحترش كما يحترش الضب
من جحره وحملوا به الى الحبس من فوره وحمل بعد ذلك الى
معتقل ابيه الى ان نفذ بمحتوم القضاء فيه فيا لها من اسرة هذا اسرها
وختم بطالع الشقاء عمرها ورحم الله ام المؤمنين ام سلمة حيث
تقول

لو كان معتبها من ذنبه احد كانت لعاينة الزبي على الناس
قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتم الذي يقضي على الراس

وكان اميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الامير سيف الدولة
فلما عزم على عبور النهر لتدارك امر الترك رأى الاحتياط في الاستيثاق
منه فالحق بابي علي وذويه الى ان حاق بهم القضاء وحق عليهم
الانقضاء كذلك يفعل الله ما يشاء ولما استقر الامير

سبكتكين ببلخ منصرفه من طوس ورد الخبر بنفوذ قضاء الله
في ابي علي ومن كان معه في حلق الوثاق واستتبع خبره موت
الملوك والعظماء باطراف خراسان والعراق في مدة انسلكت
كعوب اياميها وتناسقت فرائد نظامها فكأنهم كانوا على ميعاد
وذلك انه تلا خبره خبر مأمون بن محمد والي الجرجانية في
فتك طائفة من اصحابه به في مأدبة صنعها صاحب جيشه له
واستحالت المأدبة مندبة والدعوة مناحة والغناء عويلا
والسرور حزنا طويلا وورد في خبر الرضي في مرضة لم يتند فيها
ايامه حتى الم به حمامه واستقل لاترابه بماء شبابه وكانت
وفاته يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع
وثمانين وثلثمائة ولقبه كتاب بابه بالرضي فرحمة الله عليه
رحمة تبرد ضريحه وتروح روحه فقد كان طود الملك فزال
بزواله وزل عن مراسيه بزلزاله وتتابعت المصائب على الامير
سبكتكين بعده بشقيقة له كانت اعز اهله عليه واولاد صغار
وغلمان ذراد وهلم جرا الى ان سقط على الفراش وايس من الانتعاش

فتاق الى غزنة اسرا واحا الى طيب هوائها واستشفاء بنسيم ارضها
ومائها فاخذ المقدور عليه بالمرصد واخترمته يد المنون
دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة ومن العجب العجاب اني
حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل في اقبالها وزوالها
فقال وهو يشير الى كاتبه ابي الفتح مثل ايها الشيخ في اختطاف
المنايا ارواحنا مثل القطيع يعمد الجزار الى الشاة منها فيطرحها
الى الارض ويوثق قوائمها بالجز فلا تزال تقلق بخلاف العادة
وتضطرب خوف الابادة الى ان يقضي الجزار منها وطره
فيحل وثاقها ويحسن اطلاقها فتراح لما يتاح لها من النجاة و
يعاد اليها من روح الحياة حتى اذا كانت من قابل عاد الجزار
لعادته فيها فطفقت لها بين امل وياس ونفرة واستيناس تظن
الامر كما عهدت نادرة وتخشى خلاف العادة اخرى الى ان تقع
الافراج عنها فتطير وتجي النجاة وتعود مرحية البنات فما هي
الا الثالثة حتى يسلمها الجزار الى الجزار فيمر الشفرة على ودجها
اوثق ما كانت بالعادة وابعدها من المخافة وآمنها من الآفة

لذلك نحن فيما تعاقب علينا من الامراض ويستمر بنا من الاوصاب
بينا نحن نحسن الظنّ بما يطرق منها اذ قامت الواعية وسارت
بها الناعية فكان بين هذا التمثيل وبين ان قضى نحبه قدر
عقاد النخل اياما سواء فقضينا العجب بعد مما املاه المقدور
فى شانه على لسانه وقد كان قبل وفاته استجدّ عمارة الدار
المعروفة بسهلاباذ وانفق عليها مالا عظيما فلم يتمتع بسكناها
حتى خذله الرجاء وحق له القضاء واعتنا ما ولده من بعده
فاهملوا امرها حتى تداعت بالخراب وسمعت بعض الافاضل
ينشد وقد اجتاز عليها بعده فى مدة يسيرة

عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لى شوقا قديما وما تدرى
عهدتك مذ شهر جديدا ولم اخل صروف الردى تبلى مغانيك فى شهر
فلحا الله دنيانا من مثبتة تاكل اولادها عقوقا وجافية لا ترعى
لاصفيائها ذمة وحقوقا والى الله المشتكى من صرف الزمان وريب
الحدثان ورثاه ابو الفتح البستى كاتبه بقوله

قلت اذ مات ناصر الدين والدولة حيّاه ربّه بالكرامة

وتداعت جموعه بافتراق هكذا هكذا تقوم القيامة

وقوله

توكّل على الله فى كل الحوادث واتّخذه وكيلا
ولا يخدعنك شرب صفا فانمى قليلا واروى غليلا
فانّ الزمان يذلّ العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا
الم تر ناصر دين الاله وكان المهيب العظيم الجليلا
اعدّ الفيول وقاد الخيول وصيّر كل عزيز ذليلا
وحفّ الملوك به خاضعين وزفّوا اليه رعيلا رعيلا
ولما تمكّن من امره وصار له الشرق الا قليلا
واوهمه العزّ انّ الزمان اذا رامه ارتدّ عنه كليلا
اتته المنية مغتاظة وسلّت عليه حساما صقيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد فيل عليه فتيلا
كذلك يفعل بالسابقين ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا

ولبعض كتاب اهل العصر

مضى الامير نصير الدين منتقما فى قبره بمساع اشبهت علما
قد كان مذ عاش مستعصما بالله والدين والاسلام منتقما

كالليث والغيث طبعا ان حمى وهمى والنجم والرجم شكلا ان سما ورمى
يا من اسال رقاب الكاشحين دما من فقده كالان انهما العيون دما
لئن اناخ صروف الدهر ساحته فانظر الى الملك والاسلام اجرما
فالدين منثلم والملك منهدم وطل جبل العلى والمجد منصرما

وردف الحادثة به النعى لفخر الدولة على بن بويه وكانت
وفاتهما فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب
انقراضه انّه فرغ القلعة التى استجدّها على جبل طبرك
متناجا للانس فاشتهى طوابخ من لحم البقر فنحرت بين
يديه واحدة وطفق اصحابه يشهّون له من اطايبها
هوينا منها واتبعها بعنا قيد كرم ودارت عليه الكؤوس
بينهما ملاء وولاء فلم يلبث ان لوى عليه جوفه واتصل على
الالم صوته الى ان ختم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوى

هى الدنيا تقول بمل ء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم حسن ابتسامى فقولى مضحك والفعل مبكى
بفخر الدولة اعتبروا فانّى اخذت الملك منه بسيف هلك

وقد كان استطال على البرايا ونظّم جمعهم فى سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتوّا افّ منك
ولو زهر النجوم ابت رضاه تابّى ان يقول رضيت عنك
فامسى بعدما فرع البرايا اسير القبر فى ضيق وضنك
اقدّر انّه لو عاد يوما الى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعى يا نفس ذكر بنى ملوك مضوا بل لانقراضك ويك فابكى
فلا يغنى هلاك الليث شيئا عن الظبى السليب قميص مسك
هى الدنيا اشبهها بشهد يسمّ وجيفة طليت بمسك
هى الدنيا كمثل الطفل يبنى ليهدمه اذ يبكى من بعد ضحك
الا يا قومنا انتبهوا فانّا نحاسب فى القيامة غير شك

واما مامون بن محمد والى خوارزم فانّ ابنه عليا ولى الامر من
بعده ولم يزع الناس الى بيعته وعاد الملك به الى نهايته ورونقه
واما الرضى فقد كان عهد بملكه الى ابنه الامير ابى الحارث
منصور بن نوح فلما استقر به ومضى لسبيله تناصر على بيعته
الاولياء والحشم وفرّق بقايا الاموال وخبايا الذخائر والاعلاق

في غطياتهم وتحقيق اطماعهم حتى استوسقت امور الجماعة
واتسقت الكلمة في الطاعة وبقي ابو المظفر محمد بن ابراهيم
البرغشي على الوزارة واما الامير ناصر الدين سبكتكين فقد
كان عهد الى ولده اسمعيل واستخلفه على عماله واوصى اليه
بامور اولاده وعياله وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته
ومبايعته والرضا بولايته وايالته فلما طرق الناعي به بادروا
الى عقد البيعة له وامضاء الوصية فيه واستقر اسمعيل
بعد قضاء المأتم على سرير الامارة وامر بفض الختوم عن
بدر الخزانة وصب الاموال حتى ارضى الرجال واما فخر
الدولة فان عسكر الديلم اجتمعوا على ولده الامير
مجد الدولة ابي طالب رستم بن ابي علي ففوضوا الامر
اليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبه السلطان بمجد
الدولة وكهف الملة وسياتي بيان حال كل واحد منهم
في موضعه على الاثر وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه
في عجائب هذه السنة وتبدل احوالها وتفاني امرائها قصيدة

الم تر مذ عامان املاك عصرنا يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى على حسرات ضمنتها الجوانح
ويا بوس منصور وفي يوم سرخس تمزق عنه ملكه وهو طامح
وفرق عنه الشمل بالسمل فاغتدى اسير ضرير انتحيه الجوارح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله وو الي الجبال قد علته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامه ترصده طرف من الحين طامح
تساقوا كوس الراح ثم تشاربوا كوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزم شاه شاه وجه نعيمه وعن له يوم من النحس كالح
وكان علا في الارض يخبطها ابو علي الى ان طوحته المطاوح
فعارضه ناب من الشر اعصل وعن له طير من الشوم بارح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي براثنه للمشرقين مفاتح
اناخ به من صدمة الدهر كلكل فلم يغن عنه والقضاء مسامح
خيول كامثال السيول سوابح وفيول كامثال الجبال سوارح
جيوش اذا ارست على عدد الحصى تغص بها قيعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه دوائر سوء بالنحوس لوافح

وقد جاز والي الجوزجان قناطر الحياة فوافته المنايا الطوائح
وفائق المجبوب قد حث عمره فقاظ ولم يندبه في الارض نائح
مضوا في مدى عامين واختطفتهم عقاب اذا طارت تخر الجوارح
وكان بنو سامان اطواد عزة فاضحت لصرف الدهر وهي اباطح
اما لكم فيهم عبرة مستفادة بلى ان نهج الاعتبار لواضح
تسل عن الدنيا ولا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونس الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح
ولما افضى امر الامارة الى الامير ابي الحارث منصور بن نوح وهو
في حدثة البلوغ وينع الشباب وعند مشتعل الحركة ومستبح
النجابة ومستوضح الاصالة والاصابة اقام ابا المظفر محمد بن
ابراهيم وزيرا وفوض الملك الى فائق كفالة وتدبيرا وكان
عبد الله بن عزيز التقي شوكة الامير سيف الدولة عند صدره

الى بخارا بالاصعاد الى الاعالي فلما انقرضت حيوة الرضي
اطمع ابا منصور محمد بن الحسين الاسبيجابي في صحابة
الجيش بخراسان وحمله على الانحدار به الى بخارا مستعينا
بايلك الخان على نيل الارب المنشود واصابة الغرض المقصود
فنهض ايلك بمصاحبتهما وسار الى باب سمرقند بهما حتى اذا
اناخ بمرج على ظاهرها اتاه ابو منصور في خف من غلمانه
زائرا فاحتبسه بعلة الطعام واصحابه بين التخييم والاستجمام
فامر به وبابن عزيز فشدا في حلق الوثاق وقرنا في قرن الاعتقال
وارسل الى فائق فلما اتاه اجله ورفع محله وخف عن مكانه
اجلالا وضم اليه ثلاثة الاف رجل وامره بالمسير الى بخارا
على مقدمته فسار على ما رسمه له فلما بلغ ابا الحارث خبر
اقدامه ارتج عليه وجه الصواب وضرع عليه دخل الغراب و
اعجلته وطاعة الخبر عن التدبير فبادر الى العبور بمن معه من
صغير وكبير ودخل فائق بخارا فبادر الى التراب ولثم خد
الارض وجلس مجلس الحجاب واظهر القلق والالتياع لاخلال

الى الجرث بدار عزه وشرفه ومقر الماضين من سلفه وجشم
مشايخ بخارا اليه في مسالته تقديم الاياب وتعجيل الانقلاب
فوثق اذ ذاك به وامر بالكتاب اليه في احماده على طاعته وتقريبه
وكان مفتتح ما خوطب به من جعل الخالصة وليك الله زماما
يمده والمناصحة اماما يهتدي به ويرشد فمسعود حيث وضعته
هذه ومحمود تصرفه حيث صرفته تلك وازاح ابو الحارث
للانصراف جبن ام من جانب الخلاف ومين قبل صريمة الراي
بكتوزون وهو الموسوم بالحجبة الكبرى على باب الرضا بعد على قياد
الجيوش ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عائدا وراءه فتلقاه
فايق متقبلا رسم العبودية ومؤديا فرض الطاعة المحمودة و
انكفأ به الى بخارا فاستقام له الامر وحمد ذلك الحجر وقد
كان بين فايق وبكتوزون سخيمة واحنة في صدر كل واحد
منهما قديمة فاستحلفه ابو الحارث على الاغماض لهما و
الاغضاء عنهما والعفو عما جرى في صدره منهما اثباتا لاقدامهما
في الطاعة واستجماعا لاهوائهما في المتابعة فاظهر الانقياد وحلف

واستقرت امور السامانية على بكتوزون في جبى اموال خراسان
لابي الحارث من غير منازع ولا مدافع الى ان طارت النعرة في
راسه فارتقى من قصد سلطانه وولي نعمته الى ما عرض به
الملك للهلك والدولة للعولة واوتخ الدهر بعار لا يرحض
عنه وضر ولا يدفع عن وجهه قتره

ذكر ما جرى بين الامير سيف الدولة والامير اسمعيل اخيه بعد انتصابه في الامارة منصب ابيه

لما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل طمح اهل
العسكر الى مال البيعة فامر فاطلق لهم استحقاقهم المعتمد استعدادا
لذات البين ثم احس القوم خورا في عوده ورخاوة في عنان
تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه ولاشفاقه على نفسه من
جانب اخيه وقصده وانتزاعه الامر من يده فاستوطأوا
مركب الطمع واستهلوا جانب التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات
على الراتب لهم حتى استغرق ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلت

الخزانة عما يسع الاستظهار به فاضطر اسمعيل الى ان يفزع
فيما ينوبه آنفا من مؤن اطماعهم الى العدة التي كانت
مذخورة له بغزنة فلو بقوا على جملتهم في التحدث عليه لاسرع
تمزق شمل الاموال وتفرق جمع الاولياء والرجال فلما ورد
على الامير سيف الدولة نعي ابيه وقضى ايام المصيبة فيه
بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في التعزية على عارض الرزية
واتبعه بابي الحسين الحموي في اذكاره بحق الكبر وما يجب له
بحكم الزعامة على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين
الباصرة او اعز واليد الباطشة او امر وانه سيبلغ في امره
كل ما يرضاه ويهواه ويتعلق به مناه وان الامير سبكتكين انما
افرده بالوصية لانجال المنية اياه عن وضعها منه موضع
الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف
الشقة وان الراي فيما يهتز له من توفيته حكم الرياسة ومشاطرة
الارث من ذخائر الامارة وافراده بغزنة التي هي وكر عشيرته
وجامعة ومعشش خاصته وعامته على ان يحفظ عليه مكانه

من بلخ وما يليها او ينقله الى خراسان على ما كان يدبره من اعمالها ونواحيها
فاستشعر اسمعيل ما كتب الله عليه من النكبة في ايامه حتى كانه يراه
رأي العين ويدرس عليه كتاب البرهان فلم يؤثر الا على الاباء
والالتواء وتعريض تلك الاحوال للالتواء وتوسط والي الجوزجان
ابو الحارث الفريغوني بينهما على ان يسكن نائرة الخلاف ويقف
بهما على نقطة العدل والانصاف واراد كلا منهما على التلاقي
قبله ليشافه كل منهما اخاه بما يقترحه من مراد ويستقدحه
من زناد اذ كانت لوجوه المشافهة حرمة يعز مثلها على ظهر
البعاد وفي حال التحيز والانفراد فاما الامير سيف الدولة
فانه راى ذلك صوابا واوجب من نفسه اسعافا واما اسمعيل
فانه ند عن الاجابة ولط الامر بعين الاستنابة وراى التمنح
بما يقترح عليه من مال الارث وان كان فادحا كله اهون
عليه من ذلك مراما وايسر احتمالا والتزاما ذعرا تمكن من
نفسه وذعافا سرى في صميم قلبه وخيفة سالت به في اودية
الظنون ونفرته عن ضم القوادم للسكون والتدته ذات

يوم ابيانا لسيف الدولة في اخيه ناصر الدولة الحمداني معرضا بالالفة
التي هي اوطانها بلادا و اخصبت مرتعا و مرادا وهي
رضيت لك العليا وقد كنت اهلها وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يك بي عنها نكول وانما تجافيت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من ان اكون مصليا اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق
ورجعت عن مقاصدها من ذرعه وطاشت بها دون الغرض
لها من سعيه وبعل الامير سيف الدولة بتدبير ما عراه لاستحبابه
الرفق على الخرق وايثاره الدنو على الحزن وميله للمداراة على الملاحاة
والمواتاة على المناواة واختياره البر على الجفاء وادخاره الكي لاخر
الدواء حتى اذا غار نجم المودة ودق جلباب الحشمة استعد لاتيان
الامر من بابه ورد المنتزع منه الى نصابه وخاطب الامير ابا الحارث
بما عن له من الهم الذي لا يسعه غير تلافيه وشن كتائب الوسع و
الطاقة فيه وسار في خواص غلمانه ورجاله وقواده المندوبين
لاتباع مثاله الى هراة واستانف بها اسمعيل بين وعد ووعيد
وتمنية وتهديد وترجيح بين الياس والامل وتنبيه على موقف

الندامة والخجل فلم يغن ذلك عنه فتيلا ولم ينقض من قوى عقده
سحيلا وتراجعت المكاتبات بينهما حتى جد مزاح الكلام واشتد
لفح الخصام واعيى فصل الامر الا بحد الحسام ودعا الامير
سيف الدولة عمه بغراجق الى مساعدته ومرافقته
واتباع مصلحة البيت بمتابعته فتسارع الى طاعته واقر
بالحق عليه في مشايعته واتباع رايته وخف معه الى بست
وبها الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين فصادف
الامير سيف الدولة منه وليا مطيعا وصفيا الى الانقياد
سريعا هوى منه لم يرض بزمام وخطام ومحبة لم
تذلل باسراج والجام فتبرع بالانقياد وتسرع الى المراد
وجرى في حلبة الطاعة طلق الجواد ولما سمع اسمعيل برحيل
الامير سيف الدولة على جانب غزنة سبقه اليها من جانب
بلخ متجردا للممانعة محتشدا للمقارعة والمدافعة وسار
الامير سيف الدولة في عمه واخيه وسائر اوليائه ومواليه
حتى اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه من قبل كتب الاعيان

من قواد اسمعيل في ممالاته عليه لما عرفوه من وهي امره في
الرياسة وضعف يده عن حق السياسة وتردد السفراء بينهما
في الاستصلاح وكف عادية الكفاح فابى الله الا ما كان
معقودا وجعل الحق مشهودا والحق منصورا وانتدب الامير
سيف الدولة للحرب يعبي المواكب ويرتب الجيوش كواكب
ودلف الى القتال في رجال كالرماح اوكالنبال القداح
يهشون للقراع هشاشة الاطفال للرضاع ويرتاحون
للكفاح ارتياح الهيم لماء القراح

سفع الدروب وجوههم فكانهم وابوهم سام ابو حام
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا سكانها الارواح والاجسام
اساد موت مخدرات مالها الا الصوارم والقنا اجام

وبرز اسمعيل فيمن شايعه من مواليه وتابعه من رجال ابيه وكثر
حشو الصفوف بفيلته العظام كانها اركان يذبل او هضاب شمام
ودنا الفريقان بعض من بعض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا
بالرماح الفواتك ونثرا للهام من تحت الترائك وظلت رحا الحرب

تفركهم بثفالها وتدور عليهم باثقالها الى ان رمت الشمس بجمرات
الظهيرة وقد لاذ بالامان من سبق وعده وطمع بالاقبال
سعده وعندها حمل الامير سيف الدولة بنفسه فتداعت
الزحوف وتخالطت الصفوف وخطبت على منابر الرقاب
السيوف وثارت عجاجة اخذت العيون عن الاشباح واذهلت
النفوس عن الارواح ونثرت الاعناق بايدي الصفاح
واقعصت الكماة من وقع السلاح وظلت سنابك الخيول تردي
على جثث القتلى وتلعب باكر الرؤوس

تجري الجياد من القتلى على جبل ومن دمائهم يخضن في وحل
ومن جماجمهم يصعدن في نشز ومن ذوائبهم يقمصن في شكل

ولم تنجل ان اسفرت عن ساقط ابدان تحت ابدان واجسام
فوق اجسام وهام الاخرون على وجوههم يمسحون طول الارض خوفا
من حر العقاب ومر الحساب وانحاز اسمعيل الى قلعة غزنة
متحصنا بها في العاجل من مس الطلب الى ان تلطف له الامير سيف
الدولة فاستنزله على امان وحسن ضمان وجاوزه بمعروف واحسان

ذكر ما جرى بين أبي القسم السيمجوري وبكتوزون بعد ذلك

وقد كان أبو القسم بن سيمجور انتقل إلى جرجان بعد انقراض
فخر الدولة على طاعة ولي مجد الدولة فضوى إليه من
شذّعته من عسكر أخيه وموالي أبيه واتصل به طوائف من
أبطال الأعراب والأكراد فاشتدت بهم مناكبه
واحتدت أنيابه ومخالبه وكانت الحسيكة التي ينطوي
عليها فايق لبكتوزون ترصده بالحبائل وترميه
بالغوائل فأرسل إلى أبي القسم يحرّشه عليه ويغريه به ويعده
ما يليه من قيادة الجيوش متى أجلاه عن مكانه وجلاه في معرض
العجز على سلطانه حتى أجهضه عن جرجان تاركا للعين بالعفاء
وعارضا للملك على خطر الفناء فكان مثله كما قيل

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

مفصّل عنها قاصدا نيسابور في جماهير أصحابه ممن ضرّستهم
وقائع الحروب وحنّكتهم قوارع الخطوب وكوتهم صروف الأيام
بمياسمها ودأستهم أحداث الليالي بمناسمها وأفرط أبا علي بن
أبي القسم المعروف بالفقيه على مقدمته إلى إسفراين وبها
بعض قواد بكتوزون فالتقيا هناك على حومة الحرب وتساقيا
كؤوس الطعن والضرب وتدارك الأمداد على أبي علي لقرب
المخلى بينه وبين ما حيه فجفل عنه أصحاب بكتوزون منهزمين
إلى نيسابور وقد اقتسموا بين جرح وكسر وقتل وأسر وسار
أبو القسم سير السحاب يحثّه ريح الجنوب حتى أناخ بظاهر
نيسابور مستطيلا بشوكة رجاله وشكة أبطاله فأرسل إليه
بكتوزون يعلمه أن الحروب سجال وحسن الظن بعواقبها ضلال
وأن من قرع باب البغي تعرّض للبلاء واستيذانا على سوء القضاء
وإنما يصرّ على الكفاح من لم يجد وجها على الصلح والصلاح فأما
من كان في فسحة من الرأي وندحة من الاختيار فإنه ينفس
بنفسه عن التغرير بها في مباشرة القتال ومساورة الأبطال

ومغامسة الأهوال وأن الرأي له أن يعدل إلى قهستان
ليستنجز له من الأمير أبي الحارث ولاية هراة مجازاة لحق
خدمته وقدمته وسابق حرمته وأذمته فضربه أبو القسم بأذن
مشكلة عن الانتصاح منسدّة عن الصلاح وحمله الإدلال
بحاله ورجاله على التحكم والتنجّب والتمنّع والتعقّب
وأهاب بعسكره إلى الحرب فاصطحبوا على مساقاة الطعان
والضراب ومعاناة الحرب بيض الصفاح وزرق الحراب
ذاهلين عن مصرع الغرور واثقين بمطلع النجح والظفر
وعبأ بكتوزون رجاله الفتاك وأشباله الأتراك في سائر
من أظلّتهم رايته من قواد الأمير أبي الحارث وأنصاره و
المعتصمين بذمة شعاره فالتقوا قبالة قرية تدعى لشجة
بظاهر نيسابور واجتلى أبو القسم منهم رجوما ونجوما ولاقت
بكماة الحقائق قروما واشتبكت الحرب بينهم نفحا بالمناصل
ونضحا بالمعابل ووخزا بأطراف العوامل واشتعل أصحاب
أبي القسم فيهم كالنار في دقاق العوسج أو يبيس العرفج ضرما

هبرا وطعنا نترا ورميا سعرا وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا
ودحرا وقهرا وقسرا حتى إذا ظنوا أن قوادم الهزيمة قد أفرجت
لهم عن خوافي الغنيمة صكّ بكتوزون قلب أبي القسم بحملة أزلقتهم
عن المقام وألجأتهم للانهزام فانصاعوا مخذولين مفلولين يقودهم
الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وقبض في منهزمهم على علي بن أبي
القسم الفقيه وهو أحد أركان أبي علي أيامه بمشهور رأيه
ودهائه ومذكور غنائه ومضائه وعلى عدة من قواده ووجوه
سواده وفرّ أبو القسم في شذاذ عسكره هائما على وجهه حتى
انتهى به الوجيف إلى قهستان وذلك في ربيع الآخر سنة ثمانين
وثلثمائة وكتب بكتوزون إلى بخارا بذكر الفتح وما يسّره الله من
تيسير النجح فسرّ الجمهور وانثلجت الصدور ما خلا فائقا فإنه اغتمّ
واهتمّ وكاد أن يعقد المأتم للمأتم وسار أبو القسم بعد إيابه
وانتعاشه إلى بوشنج متحكما في أعمالها وأموالها وناهضه بكتوزون
لانتزاعها من يده وتوسّط السفراء بينهم على وصلة انعقدت
بينهما ورهنه أبو القسم ابنه المعروف بابن سهل فارتفع من بينهما

الخلاف وحصل الائتلاف والايلاف وعاد ابو القسم الى
قهستان وكر بكتوزون الى نيسابور في رجب هذه السنة وجرت
بين فايق وابي المظفر محمد بن ابرهيم البرغشي ملاحاة في تدبير
الاعمال والاموال فادت بهما الى الشر وقصده بالمكروه
من اكثر الوجوه فلاذ بابي الحارث من قصده واستامنه على
نفسه فآواه داره وادر عليه مباره واتاه فايق يساله
تمكينه منه وايثاره عليه فجبهه بالرد واغلظ له في القول
فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع الى الترك
والاخلال بكفاية الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فقمئوا
فايقا عن رايه واستوهبوا الامير ابا الحارث حسن عفوه واغضائه
وسير ابو المظفر الى ناحية الجوزجان وسلم مكانه بابي القسم البرمكي وصدق
فيه فراسة المعروف بالمضراب البوشنجي حيث يقول

وكنا زمانا نذم الزمان ونزري الوزارة بالبلعمي
فاخرنا الدهر حتى انتهت من البلعمي الى البرغشي
وسوف تؤول على ما اراه منه قريبا الى البرمكي

وكان

وكان ابو القسم هذا موسوما بالفضل الا ان اغلب الصفات
عليه صفة البخل وحين ولي الوزارة ناقش اولياء ذلك الباب
في اعطياتهم الواجبة وجراياتهم الراتبة وعارض اطماعهم في فواضلهم
بزند شحاح ووجه على الرد وقاح فلم تعد الادبار ان ادركت
فيهم قذاله وترض عظامه واوصاله ولقد احسن من قال

يقول لدعبل في ثوبه خبل ولو نشر نيابي دعبلا خبلا
لا والذي سبك الصهباء من ذهب والكاس فوقه ما ساد من بخلا

واستنزل الامير سيف الدولة اخاه اسمعيل من قلعة غزنة
على امان بذله وضمان اجمله وتسلم منه مفاتيح الخزائن واحاط
بزوايا الاعلاق والدفائن وجبر له كسر حاله واعاد اليه رونق
ماله وجماله وشحن غزنة بثقاته والكفاة من حماته وانحدر
الى بلخ في عامة اوليائه وانصاره وقد انتظم له ما انتثر بعد ابيه و
استقر عليه ما سعى في تلافيه فغصت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات
رجاله وعلامات الاعلام من اقباله وكتب الى الامير ابي الحارث
بذكر اقباله وحذفه فضل الشغل كان باخيه عن باله وانه قائم

مقام ابيه في المحاماة على الدولة والنضال عن الحوزة والاقبال على حقوق
ما يعرفه من بركة اصطناع الرضي واصطفائه وتقديمه على عماد
جيشه واوليائه فارسل ابو الحسن العلوي الهمذاني في تهنئته
بمقدمه واظهار تيمنه بموطئ قدمه وعقد له على بلخ والترمذ
وما والاهما وديار بست وهراة وما تاخمها وداناها وتلطف في
الاعتذار اليه من امر نيسابور حرصا على ترضيته وكراهة لصرف
بكتوزون الا بعلة تقتضيه فعلم الامير سيف الدولة ان تلك
المنافثة صادرة عن تمويه الحساد وتلبيس الشانئين والاضداد
وان داء الحقد ليس له علاج وان مغلاق النجح بغير فاتحة الجد
خداج فارسل الى الامير ابي الحارث ثقته ابا الحسين الحموي بهدايا
تضن بمثلها شح النفوس وتضيق عن قدرها رحب الصدور
ورسم له ان يحجب سمعه عن تضريب المضربين وتريب المريبين
ويتلطف لاستخلاص سره له واستصفاء محله قبله ليرتفع الحشمة
ويتاكد العصمة ويستحكم الثقة ويعرفه بان تخصيصه بعرصات
خراسان انما هو من اجل موالاته وحراسة اقطار ولاياته فلما ورد

بخارا اعرض عما وجه فيه وعرضت الوزارة عليه لموافقة مورده
خلو صدرها عمن يستقل بامرها فكان مثله كما قيل

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

فاشتغل بالوزارة عن السفارة واقبل على الامر بوجه الجد المشيد
بيد سكر ما اتفق عليه الدهر وكنا نمانم عليه الجهد
ولن يصلح العطار ما افسد الدهر وانشد المضراب لنفسه فيه

وكنا نذم الدهر من غير حنكة بيوسفه والبلعمي وغيره
الى ان رمانا بالعفاري بعدهم وعاندنا في عدله وهجيره
وما قد دهانا بابن عيسى وجوره وفي ابن ابي زيد السفيه وسيره
فلم يرض المقدور فيهم فامتنا بكل كسير في الورى وعويره

فلما احس الامير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الاراء وتخاذل
التدابير والاهواء واشراف الملك على الضياع بمداهنة النصحاء
واغتنامهم صلاح انفسهم في وجوه المعاصد والانحاء عدل الى نيسابور
على ما كان بها من جماهير اوليائه ومواليه وحين سمع بكتوزون
باقباله تزحزح عن نيسابور قصيا ابقاء على عدته وعتاده واشفاقا

على مدد رجاله وأجناده وكتب إلى الأمير أبي الحارث بفصوله عن مكانه
أخذاً بالوثيقة ومحاماة على الحقيقة واحترازاً من غرة اللقاء قبل
اختبار العزيمة والرأي بجملته سكرة الحداثة ونزقة الصبى و
الغرارة وقلة النظر في العواقب وعدم الحظ من التجارب على الأجناد
إلى خراسان فمن أتم نهضة الإمكان بالمساعدة من وجوه خاصته
وسائر حاشيته وسار إلى سرخس كالسهم مارقاً عن وتره والسيل
سائلاً إلى منحدره فعلم الأمير سيف الدولة أن قصده إياه من
نتائج التغرير وفائل الرأي والتدبير ومهانة الناصح والمشير
إذ لم يكن في منة القوم مقاواته على شدة بأسه وملاقاته على
قوة مراسه إذ لو قذفهم ببعض نجومه لغادرهم رماداً تذروه
العواصف وتقتسمه الشمائل والجنائب لكنه رأى أن يغض جفن
الاحترام ويحمي حريم الاحتشام ويرعى سابق الحقوق الذمام فخالف
طريقه إلى مرو الروذ منفرجاً عن نيسابور إلى أن يتمكن من اختلاج
بينة يشركه معرفتها القاصية والدانية وحجة على مناويه و
مخالفيه يتصورها الحاضرة والبادية وعطف إلى قطرة أغول

فخيم

فخيم بها مراعياً ما يسفر عنه التدبير وينكشف عن حقيقته الضمير
وبادر بكتوزون إلى مناخ الأمير أبي الحارث وهناك فائق في قضه
وقضيضه ولفه ولفيفه فلما وصل إليه أكرم محله لديه لتقصيره
في حق مقدمه فجاه عليه وشكا إلى فائق ما أنكره فشكا هو إليه
فوق ما ذكره وتداولا بينهما ذكر معايبه وتقاولا خشونة جانبه
وحزونة أخلاقه وضرائبه وأغريا أهل العسكر بخلعه والتمرس (?)
المداجة في الاستبدال به فانجروا معهما في جرير المساعدة
حرصاً على لذة الاستطراف واغتناماً لنزهة الاستضعاف
فاستحضره بكتوزون بعلة اجتماع العسكر لمهم احتيج إلى نظره
فيه وإشارته بوجه الصواب في تلافيه حتى إذا حضره حصره
ووكل به من سمل بصره غدراً ولخفته بطليعته (?) حياته أحسن
ما كان رداء جمال وعمود اعتدال وطلعة هلال ودوحة عز (?)
وجلال ولقد أخبرني (?) إليه عند الاحتلام فجاح ثلاث حقاف (?)
المؤنة عليه منها صيانة من قامت عنه عن فضل المناظرة على مال
المصادرة فكابد خلاف حاجته ونقيض مسألته إلها بالنار لجشع

في مدده ومضاعفة لثقل المحنة على ظهره فقتل المؤثر بما لا
شوى له ولا بقيا معه وعمد هو وفائق إلى أخيه عبد الملك
بن نوح وهو أصغر منه سناً وأضعف ركناً فأقاماه مقامه وسدا
به مكانه وماج الناس بعضهم في بعض بفتنة الشاجرة والأحوال
المنافرة ونذر الناس الأمير سيف الدولة أنه مخيم بقنطرة
زاغول فكروا على أدراجهم كاليعافير الراعية راعتها الفوارس
وأحاطت بها الكلاب النواهس حتى أخذوا قرارهم بمرو وأرسل
الأمير سيف الدولة إلى الكافلين لتدبير نقض إليهما ما ارتكباه
في ولي النعمة من إذالة الحشمة وإضاعة الحق والحرمة غير
ناظرين للدين ولا متحرجين للإسلام والمسلمين ولا متهيبين
للأحدوثة الشنعاء على ألسنة الذاكرين مدى دهر الداهرين
وامتدت المراجعة بينهم في الحادث الكارث وهما يختلانه عن
انتهاز الفرصة فيها واهتبال الغرة منها تطميعاً له عن صاحبها
في تجديد الرعاية ومزيد الولاية وكلاهم بالإحجام على وجه
الاحترام طالبته سعادة الجد بالإقدام وحرضته على

الانتقام للدين والإسلام ثم رأى أن يزحف عن مناخه إلى ظاهر
مرو ليكون لطافة الملح وحاطاً أو سفاهة السيف شفاها ولما
تسامع القوم بإقباله دب الفشل في تضاعيف أحشائهم وسرى
الوهل في تفاريق أعضائهم واستطار الخوف في رياح دمائهم
ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فأبى الله إلا أن ينتقم
منهم بسيف سيف الدولة جزاء عن فعلهم الفظيع وخطبهم
الشنيع وسعيهم المذموم عند الجميع فصبه عليهم صب
عزالى الغيث بنوء المرزمين غير أنه غيث قطره عيث وغيم
جثوه ضيم وسحاب حمله عذاب وكذلك أخذ ربك إذا
أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وبرز فائق
وبكتوزون وأبو القسم بن سيمجور بعلو أحمر (?) عبد الملك بن
نوح وسائر أهل العسكر إلى ظاهر مرو مقابلين لعسكر الأمير
سيف الدولة يعلنان جلالة وينشران بلاله (?) ويقدمان (?)
ظاهر العيون ويجحمان خيفة لحرب الزبون قد ضاقت عليهم

الأرض بما رحبت فجيوب الأقطار عليهم مزرورة وذيول الخذلان
عليهم مجرورة وبوارح الإدبار وجوارح الدمار من كل أوب
إليهم محشورة وظل القوم على علم بأنهم يدمرون على الدمار
وبها فيتهافتون تهافت الفراش في النار ويقتلون الأنصار
بسيوف الأنصار كما قال الله تعالى يخربون بيوتهم بأيديهم
وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتردد السفراء
بينهم وبين الأمير سيف الدولة في مواضعته على سلم يسلمون
معها في العاجل من شدة بأسه ويفتدون بها من مرارة كأسه
فأحسن الأمير سيف الدولة إجابتهم إلى مواضعتهم على علمه
باستبطانهما الختل والحيلة واستشعارهما الغدر والخديعة
إلزاما للحجة وطمسا على الشبهة وإعذارا إلى الكافة وبراءة
من خطة البغي في دفع المكافأة فكان الآن قوضت للرحيل
خيامه ونشرت للقفول أعلامه حتى ثار أوباش القوم على أثره
لانتهاب عسكره يظنون بأنفسهم الظنون وإنما يتعجلون
المنون ويدوسون أذناب الأراقم لو كانوا يشعرون

ولما رأى الأمير سيف الدولة ركوبهم مقطعة الضلالة واقتحامهم
مسبعة الآجال معلقين خيوط الرقاب بالحرص الغالب والطمع
الكاذب لا ينهيهم حلماؤهم عن التسفه والتخبط ولا يجبههم
كبراؤهم عن التهور والتورط علم أن ذلك أمر يراد وداء أخلطه
البغي والعناد وأيقن أن سرهم بالفساد مغمورة وأن السفيه
إذ لم ينه مأمور وأمر بالنائرين فجاش إليهم من حواشي
الجيوش من طبقوهم بالهبر والدق وأضجعوهم الأمن شاء
الله على صعيد من الأرض واستجار الله وحده في الكر على
بغاة السوء مجاليا إياهم في البيض القواطع ومدليا بينات
الرماح الشوارع ومستجلا على الانتصاف منهم بنات ذات
الشنور والخوانع وأقبل قرب الجيوش قلبا كثهلان وميمنة
كرضوى وميسرة كأبان وحصن المصاف بزها ما بين من
فيلته كرعن الجبال أو دكن السحاب الثقال مغشاة بتجافيف
لم يبد منها غير حلق النواظر وجلابيب الأنياب الفواقر
تهول ساستها عليها بمرهفات كالبروق الخواطف وصفائح

كالرعود القواصف وقد نشرت عليها التماثيل السود كأنها
الأساود والأسود تخيل اضطراب الرياح فيها أنها تزحف
للالتهام أو تنقض للاختطاف للهام وتعالت عليها أطراف
العوامل فكأنها آجام السواحل وبها شياطين الإنس فرسانا
وعفاريت الترك والهند مردا وشبانا تبرق عليهم سابغات
داود كصفائح الماء يجلوها الشمس سافرة وتزهاها الشمال
سائرة قد جعلوا الدروع وقاية للأجسام فظاهروا عليها
بالقلوب حرصا على الانتقام فهم يأنسون بمباشرة القتال
ومناوبة الأمثال واستثارة المنايا عن مرابض الآجال أنس
العيون بأناسيها الباصرة والقلوب بأمانيها الحاضرة ووقف
الأمير سيف الدولة في القلب بنفسه وأخويه نصر وإسمعيل
ابني ناصر الدين سبكتكين وعمه بغراجق فكأنما عناه أبو فراس

علونا جوشنا بأشد منه وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح
وألسنة من العذبات حمر تخاطبنا بأفواه الرياح

وأروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود من صباح
صفوح عند قدرته ولكن قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على تعبئة وافرة وهيبة حاضرة فكادت
الأرض تمور والجبال تثور والنهار الباهر يحول والفلك الدائر يزول
أو يدول وبدر القوم بإقدامه وإقبال ألويته وأعلامه فقامت
عليهم القيامة واستقامت فيهم الحسرة والندامة وأقبل بعضهم
على بعض يتلاومون علما بما ارتكبوه من الأمر الإمر واختلبوه
من السلم الإد وحفزهم حافز الضرورة عن المشورة ففزعوا
إلى الاحتشاد وبعثوا بالركوب إلى القواد والأفراد وبرزوا من
جدران المدينة في ألوف أصباح يوم الزينة وهم الذين
كانوا قط في معركة لحشرهم من أطراف خراسان وما وراء النهر
كل فارس وراجل وحامل عضب أو عاسل سوى من استتبعتهم
تلك الدولة من كل فحل بازل وبطل باسل وشجاع مقاتل و
أقاموا الصفوف على الموازاة قلبا لمجتمع الفيل وميمنة لمندفع

السيل وميسرة مشحونة بأشاهب الخيل وماج الفريقان بعضهم
في بعض كالجراد المنتشر تمايز الرؤوس عن العواتق وتبين الزنود
عن المرافق وطعنا يهتك ودائع الصدور ويرد مسارح الهموم
والسرور وتقاتيب مشاكل الأبصار ويطلب وراء الفقار
مضجع القرار واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتغضنت
الجباه وتقطعت الأنفاس وتحيرت الفرسان والأفراس
واغبرت الآفاق واحمرت الجماليق والأحداق وخاض
الأمير سيف الدولة غمرة الحرب يجتذب بالأوهاق طوالع
الأعناق ويختطف بالأرماح ودائع الأرواح ويفض بالأسياف
مجامع الأكتاف حتى رويت الأرض من زلال الحلوق وغرقت
الجواهر في نواهر العروق ودامت على حالها في الاحتدام والاضطرام
والافتراس بأنياب الحمام من حين استقلت الشمس كحيلا
على الجبل إلى أن نفضت ورسا على الأصل فاضطرب القوم ضجة
من حز المناصل وضيقا بوخز العوالي والعوامل وتداعوا
الجملة تكشف عنهم غمة القتال بفيصل الإدبار والإقبال

فطرحوا

فطرحوا الميمنة على الميسرة وهم يظنون وراء ذلك ظنونا ويخطبون
من بنات الأماني أبكارا وعونا وأبى الله إلا أن يعكس عليهم ما ظنوه
ويحيق بهم وبال ما سنوه حين دبوا من ولي النعمة ما ركبوه
إخفار الذمته وإنكار الحرمته وإذالة الحشمته وإضاعة حق
نعمته وألهم الأمير سيف الدولة أن يزحف إليهم بسواد
موقفه فلم يكن إلا صدمة واحدة حتى زلت الأقدام عن مقارها
وتهاوت الرقاب عن مزادها وجعلت تساقط أشخاص الألوية
والمطارد وتشرد النفوس عن ضرب السيوف البوارد واستمرت
الهزيمة بالظلمة عند اعتكار الظلام فطاروا بين الأقطار
كل مطار وسفت بهم سافية الدمار والإدبار فلم يلتق منهم
بعدها اثنان عند تنازل الأقران وتناوب الضراب والطعان
ذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين وجفل عبد
الملك بن نوح إلى بخارا ومعه فايق في أتباعه وانتبذ بكتوزون
إلى نيسابور في أشياعه وأبو القسم بن سيمجور إلى قهستان وقد
صاروا أخزاق مزق وعادوا أشذاذ بذر وأصبح سيف

الدولة قد أنجز الله له وعده ونصر جنده وأسعد على رغم الأعادي
جده وأعلى يده وأورى زنده وساق إليه هدي الملك على غير
مهر سوى الشكر ولا صداق سوى الاستحقاق وورث دولة
آل سامان وملك ديار خراسان سنة تسع وثمانين وثلثماية ورأى
أن يعجل بكتوزون وأبا القسم السيمجوري عن التجمع ثانيا والتحدث
بالالتقاء آنفا فانحدر إلى طوس في البحر الأخضر من رجاله
وأفياله وطار بكتوزون بجناح الهرب إلى حدود جرجان
وقفى سيف الدولة أثره بأرسلان الجاذب فجعل يطرده طرد
الشهب أشخاص العفاريت حتى نفاه من تخوم جرجان وولى السلطان
سيف الدولة ناحية طوس ورتبه فيمن ضمه إليه من قواده وسار
إلى هراة مطالعا لأعمالها ومجددا للعهد بأحوالها فلم ينشب بكتوزون
حين سمع بانثناء عنانه إليها أن كر إلى نيسابور فملكها ثانيا بزعمه
بنائل عن دولة تدرجت حيامها وانقضت أيامها وناحت عليها أصداؤها
وهامها فلم يزد إلى أن جشم السلطان كلفة الكر عليه قبل أن اطمأنت
به قعدته أو جفت على طرفه لبدته فجفل بكتوزون عن نيسابور على

سمت أبيورد وشد السلطان عليه الطلب فركب المفازة إلى مرو متنقبا
بالوجاة على الجبوة ومستنظها بالنجاة على النجاة وخلص إلى مرو
فيمن أعانتهم فراهة المراكب وقوة الصبر على وعثاء تلك المهارب
ورام أن يتملكها ويتحصن بها فمانعه أهلها موالاة للسلطان وشكرا
لما وسعهم من العدل والإحسان فشن عليهم غارة شعواء وخبطهم
بالسيوف خبط عشواء وركب مفازة آموية حتى عبر النهر إلى
بخارا ولما خلت خراسان من بكتوزون وأصحابه سرب السلطان
أرسلان الجاذب والي طوس إلى قهستان لنفيها عن أبي القسم
بن سيمجور إذ كان يظن الظنون في تدبيره ويطمع في الانتياش
عن تخشيره فواقعه بها وطرده إلى نواحي طبس عنها وولى السلطان
أخاه الأمير نصر بن ناصر الدين سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان
ورتبه بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على قديم الزمان وانقلب
إلى بلخ مستقر أبيه ناصر الدين فاتخذها حضرة الملك ودار
السلام ولما انتهى السلطان إلى بعض حدود مرو الروذ عند
منصرفه إليها ركب على رسم التصيد في خف من الحدد ومعه

أخوه اسمعيل بن ناصر الدين وقائد من قواد أبيه يعرف
بنوشتكين كاج وقد وتره إحباسه ما آل أمره عليه
لا غير إذ كان كأحد رفقائه في الإخبات والإطلاق و
الإحسان والإرفاق فبينا السلطان في هزة الاقتناص إذ
جاءت منه التفاتة فإذا به قابضا على قبيعة سيفه يروم
انتضاءه وقد رمى وجه أخيه اسمعيل بطرفه يطلب إيماءه
ولاح للسلطان إنكار اسمعيل عليه بدلائل زجره وإيماضه
وشواهد ارتياعه وامتعاضه أن استثارته إياه فيما جاه
قد فرشت له بساط التهمة وجرحت منه جارحة الثقة وبادر
السلطان إلى مضربه وقد أمر بالاحتياط عليه في وقته وحكم
فيه خواص غلمانه فأخذته السيوف حتى تطايرت أعضاؤه و
تناثرت عليه أوصاله وأجزاؤه ثم دعا باسمعيل فأدلى بعذره
وجحد العلم بما أبداه الخائن الجاني من خيانة سره وغدره
وجرت مفاوضات ومراسلات اقتضاه آخرها أن يستوثق
منه لنفسه وملكه إذ كان لا يلتقي سيفان في غمد ولا يجتمع فحلان

في شول

في شول وبلغني أن السلطان بعد استنزاله إياه من القلعة
لعزيمة بسط منه في بعض مجالس أنسه وباحثه بلسان
الاستدراج عند حث السقاة عما كان وراء عزمه من
مغالبته إياه أن لو ملك من أمره ما ملكه هو منه فحملته
سلامة صدره ونشوة خمره على أن قال كان رأيي فيك أن
أوعز بك إلى بعض القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من دار
وغلمة وجواد ورزق على قدر الكفاية ذا رفهات إذا بالطاف
عند الكادثة به عاملة بعض ما نواه وقابله بجنس ما أبداه
واستودعه والي الجوزجان أبا الحارث ممكنا مما يشتهيه
ممتعا بمثل ما كان ينويه فيه فلله هذا الفعال الذي طرز
ديباجة الكرم وغبر في وجه مساعي ملوك الأمم وقد
يستغرب هذا الانجاح من وجه وإن كان لا يستبدع
من آخر لأن هناك عاطفة القربى والرحم ولكن الشأن
في الأجانب الذين تعلق بقائمهم الأجرام الفادحة و
الجنايات الفاحشة كيف يسلط فيهم رأيه على هواه ويستبقي

الجاني بما جناه فلم يسمع بأعف منه في الجنايات سيفا
ولا أحسن على عثرة الزلات صبرا وأجمع لهذه الخصلة
الفاضلة بأن الملك الحازم من يسلب الجاني في حال السخط
ما يمكنه الوفاء بعينه أو بمثله عند رضاه وجرح المال يوسى
بالتعويض والإخلاف فأما النفوس فليس لإبلائها من تلاف

ذكر الخلع التي أفاضها القادر بالله أمير المؤمنين على السلطان

أوجب القادر بالله أمير المؤمنين خلعا لم يسمع بمثلها محمولة
من دار الخلافة ولقبه في كتابه يمين الدولة وأمين الملة
ولي أمير المؤمنين لقبا كان مصونا في صدف الشرف لم يتلقه
قط أيدي القانصة على كثرة الطلاب وتنافس الملوك في
الألقاب فتبوأ سرير الملك واحتاب خلعة المجد وأذاع
شعار الطاعة لأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين
وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة
وملتزمين حكم الهيبة وأجلسهم بعد الإذن العام على مجلس

الأنس وأمر لكل منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه
وحاشيته سحابة يومه من روائع الخلع والصلات ونفائس
الأحبية والكرامات بما لم يسمع بمثله ملك ملك ولم يف
بعضه ضمير أمير واستجابت خراسان لأمره وفرعت
منابرها بذكره واتسقت الأمور عن آخرها في كنف إيالته
واستوسقت الأعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه
في كل عام غزوة بالهند ينصر بها الدين ويقمع أعداء الله
الملحدين فكتب الله له أجره وأحسن نصره لذلك قال الله تعالى
في محكم كتابه يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و
يثبت أقدامكم

ذكر انصراف عبد الملك بن نوح إلى بخارا

ولما وصل عبد الملك بن نوح إلى بخارا في الفل ومعه فائق و[illegible]
بكتوزون في أصحابه وأولياء عبد الملك في مضامنته طمعوا [illegible]
في الاستقلال وتكهنوا لأنفسهم بطالع الإقبال وتحدثوا
بالاحتشاد لاستئناف القتال واخترم من بينهم فائق في شعبان

سنة تسع وثمانين وثلثمائة وهو وجه الترجمة وطراز الجملة
وعمدة الجملة والملقب بعميد الدولة فتمكن الانخزال
في صدورهم وسرى الانحلال في امورهم وانحدر ايلك
الخان الى باب بخارا يظهر لعبد الملك وسائر اجناده والخاصة
من الاولياء الانخداع والاحتيال والموالاة استدراجا واغتيالا وهم
يظنون استظهارا به على اعدائهم واحتياطا لما يستدعيهم
مغرورين عن واجب الاستظهار والاحتراس عن حبائل
الاوتار حتى انسهم بلطائف بره واقباله واطمعهم بزخارف
اقواله وافعاله وركب اليه بكتوزون وابن التكين الفايق وسائر
قواد عبد الملك صباح يوم فلما اطمأن بهم المجلس امر باعتقالهم
والقبض على اصحابهم ودوابهم واستلاب اسلحتهم واسبابهم
فلم ينج منهم الا الفارد الشارد والنادر البادر وبلغ الخبر عبد
الملك فوجد عدته قليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير الاستخفاء
حيلة ودخل ايلك بخارا يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة سنة
تسع وثمانين وثلثمائة ونزل دار الامارة وبث عليه عيون الطلب

وطلائع الرغب والرهب حتى ظفر به فحمله الى اوزكند
فمات بها وطفئت بقية الشعلة من دولة آل سامان بما وراء
النهر واطراف خراسان فصارت كأن لم تغن بالامس كدأب
الدول الماضية في القرون الخالية ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون

ذكر خروج ابي ابراهيم اسمعيل بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين ايلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش الاعزي المظفر نصر بن ناصر الدين بخراسان

كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك الخان من بخارا قبض على ابي
الحارث المكحول وعبد الملك وابي ابراهيم المنتصر وابي يعقوب
بني نوح بن منصور الرضي وعلى اعمامهم ابي زكرياء وابي سليمان
وابي صالح الغازي وغيرهم من الارومة السامانية وامر باعتقالهم
ورسم افراد الاخوة منهم في حجرة على حدة احتياطا لنفسه

متفرق ذات بينهم عن تخليتهم من اقتضاب الحيل واختلاق
الاراجيف وارتقاب الفرص واحتال المنتصر ابو ابراهيم
للتملص من معتقله في زي جارية كانت تتعاهده لمطالعة احواله
ومراعاة اوقات اقواته فكانت حاله في الخلاص من موافقة
حال الكميت حين استشعر ثياب طلة وانسل من غمد
الاعتقال بمهجته ثم انشأ يقول

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والمشلي
على ثياب الغانيات وتحتها صريمة ذي اشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا الى ان
يئس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب بل
الشهاب الثاقب منجردا للانتصار مستعينا بالله تعالى
على درك الثار وتلاحق به من ند وغار وانجد وغار من بقايا
القواد السامانية واجنادها في اطراف خراسان حتى اجتمع
شمله وكثف خيله ورجله وانفذ ارسلان بالو الحاجب
الى بخارا فبيت الخانية بها تحت الملاحف والنمارق وشغلهم

بحقائق السيوف البوارق عن مجاز الاحلام الطوارق وقبض
على جعفر تكين وعلى سبعة عشر نفسا من اعيان القواد الخانية
وحملهم في وثاق الاسر الى الجرجانية وافلت الباقون بجريعة
الاذقان نحو ايلك الخان فركب ارسلان بالو اكتافهم يحثهم
حث الشمال قزع الخريف وطردهم الى سمرقند وما يليها
مقتفيا آثارهم وكاسعا ادبارهم ووافقه [illegible]
تكين خان في عسكر جرار نائبا عن ايلك الخان في حراسة
سمرقند وما يليها فانتدب لمناجزته واستعان بالفل
وسائر اصحابه على منازلته فنصب ارسلان له وجها وقفا
واضرم عليه الارض كفافا فولاه ظهر الادبار واتقاه
بعوذة الفرار وغنم ارسلان ومن معه اموالهم ودوابهم
بتلك الانفال احوالهم وعاد ابو ابراهيم المنتصر عند ذلك
الى بخارا فاستبشر اهلها بمعاده على مراده وبلغ ايلك
خبره فجمع احابيش الترك وصمد صمده في العدد الدثر
فكر ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه الاحتياط

عند ذلك العبود الى ابل الشط نواحيها وجباها فضاقت بجيشه
وعسكره فركب المفازة على سمت ابيورد فملكها وسار عنها
قاصدا فقصد نيسابور وبها صاحب الجيش نصر بن ناصر الدين
والتقيا على فضاء بين نغاجى ونشجه قريتين على اربع فراسخ
من نيسابور وذلك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع
الاول سنة احدى وتسعين وثلثمائة ودارت عليهم رحا الحرب
يفصلون بالبيض البوارق ما بين الطلى والعواتق ويضربون
مفارق الهام ضرب القداد نقيجة القدام ولما اشتدت
وطاة الحرب على مجنها ومرت كاسها على شربها وتكاثفت
جموع ابى ابرهيم المنتصر على اصحاب صاحب الجيش ابى المظفر
اقتضاهم الاحتياط ان تحيزوا الى جانب هراة انتظارا
للمدد واستشعارا لما مول صنع الله فى الغد فحثوا ظهور
الخيل بين ذيول الليل حتى شاءت عليهم لمته بين حدود
الجوزجان وتمكن المنتصر من نيسابور وانضم اليه من
شذاذ العسكر الجمع الكثير والجم الغفير وبلغ السلطان

يمين الدولة وامين الملة خبره فاستركب خيله من غزنان
يتربص بنهاره ليله وسار سير الخبب يطوي الارض كطي السجل
للكتب حتى انقض على نيسابور انقضاض بنى الهواء على بنات الماء
ولما تسامع المنتصر باقباله انحدر الى اسفراين فى عامة رجاله
وبث اصحابه فى الرساتيق بجباية اموالها وازاحة اطماع
حشمه بها فانجعه الطلب للحاق بشمس المعالى قابوس بن
وشمكير مستصرخا اياه ومؤملا غوثه وجدواه فتلقاه
بكل ما تمناه ومهد له ذراه واعطاه حتى ارضاه وكان مما
امر بحمله اليه صفقة واحدة عشر دواب بمراكب الذهب
وثلثون بمراكب الفضة وثلثون من العتاق الجياد بالبراقع
والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة وثلثون
اخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة احمالا واثقالا من البسط
النادرة والفرش الفاخرة ومن حصر طبرستان وسائر
الطرائف المجموعة فى الخزائن واضيف الى ذلك الف الف
درهم وثلثون الف دينار ومائة وخمسون تختا من الديباج

التسترية والسقلاطونيات العضدية والحلل الفخرية
والخزوز الطاقية وسائر الثياب المصرية وامر لاهل عسكره
بعشرينيات معونة لهم على عوارض حاجاتهم واشار على المنتصر
بقصد الري اذ كانت معرضة لقصادها تخاذل اعوانها
وتواكل اوليائها واشتجار الفتن والاحن بين الايدي عن
فنائها على ان يمده بولديه دارا ومنوجهر فى جيوش
الجيل والديلم ووجوه الاكراد والعرب ليستظهر باستخلاص
تلك الولاية وليكون ما ينوبه من معاودة خراسان عن ظهر
الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة وسار حتى خيم
بظاهر الري فاجتمع اهلها منه بامر الديلم على اريق وقامت
الري افلاذ كبدها فانا خوا بمنالة المنتصر ودس الكفلاء بتلك
الدولة الى ارسلان بالو وابى القسم بن سيمجور وغيرهما من
اولياء المنتصر من اطمعهم فى مال يحمل اليهم سرا على ان يثنوا
عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطائف والحيل فانخدعوا
لتسويلهم وطمعوا فى اميلهم وشجعوا المنتصر بان قدم منك

يمن يحله ملوك الشرق على جلالة اقدارهم ونفاسة

طلب النفس العز لها والعيش في النس يطيب

فى جباية الاموال ومطالبة من ظفر من العمال واستمد صاحب
الجيش السلطان يمين الدولة وامين الملة فرسم للحاجب الكبير
التونتاش الى هراة البدار اليه فى معظم الجنود من نجعائه

السبرية والسقلاطونيات العضدية والحلل الفخرية

أولياء المنتصر من أطمعهم في مال يحمل إليهم سرا على أن يثنوا
عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطائف والحيل فانخدعوا
لتسويلهم وطمعوا في أباطيلهم وشحنوا للمنتصر بأن قد دنا ملك

عمن

بمن يحله من ملوك الشرق على جلالة أقدارهم ونفاسة
أخطارهم ليجل عن مساواة قوم يدعون هناك قرابة ويفترضون
لك طاعة ومهابة وموالاة لمن يجر النار إلى قرصه بالتعويل عليك
ومغناه أن يحرش الأفعى بيديك فلله الغنم إن قدرت وعليك
الغرم إن عجزت فلفتوا المنتصر عن رأيه وزينوا له الملك
بخراسان من ورائه فارتحل عن باب الري يريد دامغان وانفرد
ولدا شمس المعالي عنه عائدين إلى جرجان فحسن نجم ذلك التدبير
وانحل عقد ذلك التدبير وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا
مرد له وما لهم من دونه من وال وانتبذ المنتصر طليقا إلى
نيسابور وبها صاحب الجيش أبو المظفر فاشفق من زلة القدم
كالتي حدثت قبل فاحتاط بالانحياز إلى بوزجان ودخل المنتصر
نيسابور في أواخر شوال سنة إحدى وتسعين وثلثمائة وتشاغل
بجباية الأموال ومطالبة من ظفر من العمال واستمد صاحب
الجيش السلطان يمين الدولة وأمين الملة فرسم للحاجب الكبير
التونتاش إلى هراة البدار إليه في معظم الجنود من شجعان

التُرك وسَرعان الهنود حتى إذا استظهر بذوي الغناء في
حومة الهيجاء كرّ عائداً إلى نيسابور وتلقاهم المنتصر بأرسلان
بالو وأبي نصر بن محمود وأبي القسم بن سيمجور فالتقوا
على جرف تحطّمت فيها الصفاح المشهورة وتقصّدت الرماح
المطرورة وخرّت عندها الكواكب المستورة ثم شاعت الهزيمة
في السامانية فولّوا على أدبارهم نفوراً وكان أمر الله قدراً
مقدوراً ودخل صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين نيسابور
وقد زُيّنت له كالهدي على زوجها الكفي وأقيمت له النثارات
كأنها أوى النجوم الثائرة وتهادي الثلوج المتطايرة وركب
المنتصر سمت أبيورد والطلب على أثره حتى وصل إلى جرجان
وتمنّى الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير بمكانه
ورماه بزهاء ألفين من أنجاد الأكراد فألجأوه إلى الإنجال
وآيسوه من طلب المحال فكرّ على أدراجه تائهاً في الغيّ وإنما
ترك الرأي بظاهر الري وقد كان المنتصر يحقد على أرسلان
بالو لتشحّبه عليه واشتطاطه في المطالب بين يديه ومنازعته

الرائي

الرائي في ما يجوّزه ومراجعته القول في كلّ ما يفوه به فوه و
وانضاف إلى ذلك اتهامه إياه بالتخاذل في الحرب التي انهزم
فيها عن وجه صاحب الجيش أبي المظفر لمناسبته على أبي القسم
السيمجوري مكانه من اختصاصه وإيثاره وغيرته على
الشركة الواقعة به في محلّه ومقداره فحمله ما اجتناه من
الكرم على التشفّي بإراقة دمه والاستراح إلى إنهائه كوجه
ففتك به فتكة أنست فتكات الإسلام وسفكت نفسه من
الذراء العقام وتجمّع أهل عسكره لإنكار ما فعل وأنّى لهم وقد
سبق السيف العذل وفاء أبو القسم بن سيمجور مضايقاً
لهم عن المنتصر لسان المنتقد حتى حمد انتهابهم وسكن
هيجهم واضطرابهم وتواطؤوا بينهم على قصد سرخس للاستظهار
بزعيم أهلها المعروف كان أبو بالفقيه إذ كان قد رغب
المنتصر في إرفاده وإنجاده وإيثاره بعدّته وعتاده فركبوا
المسافة إليها على طريق أبيورد حتى وردوها وجبوا أموالها
وارتاشوا بما سمح لهم الزعيم بها وحين علم صاحب الجيش نصر

باجتماعهم على مصنع الأباطيل منهم زلف إليهم في سراة الكماة
لطردهم عن شريعة الطمع وإزعاجهم عن حفافة الأمل
وواصل السير بالسرى حتى أشرف على سرخس في الهيئة
المنشورة والهيبة الموفورة وبرز المنتصر إلى ظاهرها
فخيّم بإزائه واستعدّ للقائه وتجاثيا للقتال فاستكّ
سمع الهواء من قرع الحديد بالحديد ورويت صدور
المواضي من موارد الوريد وبلغ كلّ من الفريقين غاية
الإمكان في منازلة الأقران ومناوشة الضراب والطعان
مجاحشة عن خيوط الرقاب ونفاداً بأس نسوء الذكر على
تتابع الأحقاب غير أنّ قضاء الله أغلب وأمره أنفذ وله
الحكم في تبديل الأبدال وتصريف الأحوال ونقل الأملاك
من دال إلى دال وهبّت لصاحب الجيش أبي المظفر قبول الإقبال
فتمزّق مصف المنتصر عن هزيمة عوابس الوجوه وحرجى
بأنياب المكروه ولم يلبث صاحب الجيش أن أتاه بعض العرب
بأبي القسم علي بن محمد سيمجوري فلاذ من الوهق على تقية من

الرمي

الرمي وأردف بتوزتاش الحاجب وكان بإزاء المنتصر حلّة ما
بين العين والحاجب وانضمّت حبالة الأسر على معظم ذلك العسكر
فحملوا إلى غزنة في الأصفاد مقرّنين وسار المنتصر سمت المفطر
لا يدري وزراً غير اعتساف المسالك وارتكاب المهالك على جملة
لا يتميّز فيها المملوك من المالك وقفل صاحب الجيش أبو المظفر
وقد أعلى الله كعبه ودفع قدره وأطعمه نصره وأعاد بين الخافقين
ذكره وأنشدني أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
لنفسه فيه يذكر ما أتيح له في هذا الفتح الرائع منظره الشائع
في الآفاق خبره

تجلّت الأيام عن غرّة الدهر وحلّت بأهل البغي قاصمة الظهر
وولّوا الأدبار أدبارهم وقد تحكّم فيهم صاحب الجيش بالقهر
وقد جاء نصر الله والفتح مقبلاً إلى الملك المنصور سيف أبي نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره ومن هو بالعلياء أولى من أولى
فيا لك من فتح غدا زينة العلى وواسطة الدنيا وفائدة العصر
أبى الله إلا أن نصراً ورفعه على قمة العيوق أو هامة النسر

وملكه هذا السرير كأنه لنا فلك الخير او ضده بحري
وخوّله دون الملوك محاسنا تبرّ على الشمس المنيرة والقطر
اذا ذكرت فلح الندي بذكرها كما فاح اذكى الند في وهج الجمر
فتى السن كهل الحلم والرأي والحجى يعمّ بني الآمال بالنائل الغمر
له همة لما تحسّنت علوها حسبت الثريا في الثرى ابدا تسري
هداه اعيا للمسلمين وناصرا له الله راع قد تكفل بالنصر
الا أيها الملك الذي ترك العدى عباديد بين القتل والكسر والاسر
قدمت قدوم الغيث ايمن مقدم فجليت وجه الدهر بالحسن
الست ترى كتب الربيع ورسله يقولون هذاك الربيع على الاثر
نسيم تثيب الحياة بلطفه تجرّ فويق الارض اردية العطر
وتربة بانفاس الربيع معنبر فيالك من طيب ويالك من نشر
وغيم يحاكي راحتيك كانه على المسك والكافور يهطل بالخمر
فروّح بشرب الراح روحك انها لفي تعب من وقعة البيض والسمر
ودم لاقتناء الملك في اكمل المنى وفي ارفع العليا وفي اطول العمر
وانشدني ابو سعيد بن دوست لنفسه فيه

للامير

للامير المظفر العالم العادل فينا ابي المظفر نصر
كرم في شجاعة وسخاء في وفاء ودولة مع نصر
ومعال لو ان امها بختنصر يوما لخر ادنيت على الخنصر
فيه نقطع الخطوب ونفري وبه ندفع الكروب ونفري
وانحاز الركض بالمنتصر الى محال الاتراك الغزية وهم صغو الى
الدولة السامانية فاخذتهم الحمية من خذلانه وحركتهم
الحمية لعونه على شأنه وتذاكروا بينهم شرف آل سامان وما
يعرفونه قديما من بركات ذلك البيت القديم والكرم العميم
وسار منصعدا اجتمع لهم بالملك الخان وذلك في شوال سنة ثلاث
وتسعين وثلاث مائة وعند جاد ايلك للانتصار من المنتصر
في جيوش الترك يستعر في طلب الثار استعار النار حتى اناخ
بحدود سمرقند وتبادر الغزية باقدامه وتوامروا بينهم
على بياته فتجمعوا للركض عليه يخبّوا الخيل تحت الليل حتى
كاد لا ينقش الارض بموطئ اقدامها ولا تشعر النجوم بانتعال
اذنابها واعلامها حتى اوقعوا به واستهبوا اجل سواده وقبضوا

على جلة قواده وانقلبوا بما غنموه الى اوطانهم عند حصول البغية
فاستأثروا على المنتصر بالاسرى طمعا في الفدية ثم بلغ المنتصر
تنازعهم الامر بينهم في موالاتهم ايلك عليه واقراجهم عن الاسرى
تقربا اليه فرابه ذلك من امرهم وريبة لم تأخذ الارض معها
بقرار ولم تكتحل عينه بغرار فاختار من جريدته قرابة سبع
مائة رجل ركبانا ورجالا خفافا وثقالا وطاف على المعابر
فاذا النهر جامد وامن الشط في البعد امد فعبروا النهر
بأثبان الارز حتى امكنهم العبور وتبعه الطلب فسعهم خطر
المعبر من قصد المنتصر وارسل هو عند مرّان بآمل رسولا
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة يذكره بحقوق سلفه
عليه واشتداد الامر في اقبال العداة اليه وانه لم يحيث
بنيته فيه طاعة له واخلاصا في هواه واظهار الانقطاع الى
كنف قبوله واشباله والانقياد الى معونته بماله ورجاله
واستدّ من آمل الشط الى سواد مرو واجتر اسا من معرة الترك
في العبور على الاطراف والفلك وارسل الى ابي جعفر المعروف

بخواهر

بخواهرزادة وكان ابوه رجلا من جملة الرعاع رفعه الزمان في
دولة آل سامان يستميحه المعونة بما يفضل عن سعة يد ومن
مال وسلاح فرد الرسول على غير وجه الحرية والارتياح بحكم
الانسانية ولم يرض بالرد حتى خرج اليه مقاتلا وبالجفاء مقابلا
فحمل اصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه جملة وتبدّى بمسافة
ابيورد حتى اقاما في شهور سنة اربع وتسعين وثلاثمائة واوجب
السلطان اكرام رسوله وتحقيق مأموله ووصله بصدر من المال
يجبر خلته وخاطب ابن خواهرزادة بخدمته وتقمّص مرضاته وترك
الانحراف عن مراده فاضطره الامر الى طاعته حين شاعت سبته
البخل عليه واستطارت شادخة اللوم بخذلانه وقد كان ابو نصر
نصر بن احمد الحاجب لما شاع بقدوم راية المنتصر مال اليه على صاحبه
واظهر الانقطاع الى جانبه واقام له الخطبة بنسا مظهرا الطاعة و
مستنفدا في نصرته جهده واستطاعته ولما احس اهل نسا برأي
ابي نصر في اتباع راية الخلاف اشفقوا على انفسهم من عاقبة الاقدام
بسوء الادب والاستهتار بايجاباته فكاتبوا خوارزمشاه مستنجدين عليه

فأنهض أبو الفضل الحاجب أحد أعيان ذلك الباب الرفيع لإزالة
شره وكفاية أمره ومال ابن محمود إلى المنتصر فتقاربت العدة
وتوافرت العدة وقصد إلى خبوشان من رستاق أستوا وناهضهم
أبو الفضل في رجال خوارزمشاه فالتقى الفئتان وأمر في الحرب ليلاً بمرأى
من النجوم الشوابك حيث لا يدري الضارب مضروبه ولا يتميز الراكب
من ركوبه والتحف الفارس بالراجل والدارس بالنابل وتصادموا ما بين
التوى والمقاتل وتطاعنوا سلكى ومخلوجة كرّك لأمين على نابل
وتصدع شمل الفريقين قبل أن يصافح الليل صباحه ونفض النجم على الغرب
وشاحه فلم يشعر أحد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام
حتى استفاض ضوء النهار فإذا ابن محمود قتيل وابن حسام الدولة أبي
العباس تاش إلى جنبه صريع وتفرق الباقون عباديد بين أقطار
البادية والبيد ووقع المنتصر إلى أسفرائن فمانعه أهلها حذار
المحنة وخيفة الهرج والفتنة فألقى على أدراجه في شرذمة من
أصحابه يقطع الأرض طولاً وعرضاً حتى انتهى إلى بعض حدود سرخس
فأقام هناك ريثما تلاحق به الفل وعاد حتى عبر النهر من ساحل قطنان

وبرز

وبرز نحو بخارا في طلبه وسدوا عليه وجوه مهربه فركب غرة الرجال
في ثياب القوم وشبت بعضهم للبعض جلاداً بالدبابيس والحراب والعمد
والسيوف في قراب الرقاب فجد المنتصر في الأمر واشتد ونجا برأسه
ولم يكد وصار القوم إلى دبوسية من السغد مستنجدين من بها من
الغزاة وتفاريق الرجال ووقع المنتصر إلى الغز التود من بخارا وركض عليهم
منها ركضة افتضهم بين اجتياح واجتياك واصطلام واجتثاث
ومالأه المعروف بابن علمدار رئيس الفتيان بسمرقند فأتاه في
ثلاثة آلاف رجل وتقرب إليه مشايخ أهلها بثلاثمائة غلام على
سبيل بر وخدمة ووصلوها بكرامات تفاريقها ونثارات تدل على
إخلاصهم فيها وتوافى إليه الغزية فاستغلظت جذوته وتراجعت
قوته ولما سمع إيلك الخان احتداد شوكته واشتداد وطأته زحف
إليه في أطلال المذكور من ديارات الترك واشتبكت الحرب بينهم
بقرية بوزمند من حدود سمرقند حتى نفدت النبال وتكسرت
النصال وتحطمت السمر الطوال وخان الخان مقامه وانفض عنه
أقوامه فاستفقاه الغزية في طلاب الأسلاب حتى وردت أيديهم بالسبايا

والنهاب والغنائم الرغاب وذلك في شعبان سنة أربع وتسعين وثلثمائة
وعاود الخان أرض الترك فضم النشر ونادى بحشر ثم كر على أثره وبث
على المنتصر شر ذنابه ووافق إقباله تراجع الغزية إلى أوطانهم بما نهبوه
على عادتهم في كل ما غنموه واستأنف الحرب على فضاء بين قرية دزك
وخاوس من نواحي أشروسنة فاستأمن المعروف بابن الحسن بن طاق إلى
الخانية في زهاء خمسة آلاف رجل من رفقائه عند اتقاد جمرة المصاع
واشتداد ذراب القراع فاضطر المنتصر إلى الانهزام وحكم الخان
في أهل عسكره سيوف الانتقام حتى رويت الأرض من دمائهم وشبعت
النسور من أشلائهم وسار المنتصر إلى شط جيحون فعبر على الجمد لعدم
السفائن وخلو المعابر ومضى إلى أندخود من أرض الجوزجان متحيراً بها
من ركضة الخان وأمر باستياق الدواب الراعية بها واقتسامها
بين أهل جملته وركب المفازة إلى قنطرة راغول ولما بلغ السلطان
يمين الدولة وأمين الملة خبره أسرع الانحدار إلى بلخ لإحكام عزيمة
أمره واستنجاله وأتبعه بفريغون بن محمد في أربعين قائداً من
قواده لطرد سواده وحصد فساده فأعجزهم المنتصر وسار إلى

الجنابذ

الجنابذ من قهستان مرورة إذ كانت جيوب الآفاق عليه مزرورة
فحيث أم شهرت عليه السيوف وأنى أم أحدقت به الحتوف وزلف
إليه صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين فعاج وإلى سرخس
وأرسلان الجاذب وإلى طوس مجدّون الظهور في الطلب ويسيرون
علاتها بين الركض والخبب فقادتهم إلى جومند ومنها إلى بسطام وبها
شمس المعالي قابوس بن وشمكير رجالة ألفين من الأكراد الشاهجانية
فأزعجوه منها إلى بياز راجعاً بالقوم على من لقيه الإنجاد ولما
ضاقت عليه المذاهب وأحاطت به المعاطب عاد إلى كورة نسا
بداد من لا يمسك بداد ولا يوطئ الأرض جنب قرار وتلقاه ابن
سرخك الساماني بكتاب يزين له الانفتال إليه لمضافته على
إكليل الخان موازنته وموالاته ومطابقة الخان عليه ومولاته فأرعته
نفسه تقديم إجابته طمعاً في وفائه وتأميلاً لعونه على ما به
فركب الخطار وسار حتى إذا بلغ بيار جماد من مفازة أمل سبقه خيله
إلى الشط فوافق ذلك جنود جيحون فاغتنموا مفارقته خلاصاً مما
منوا به من مكابدة الأسفار وعدم الاستقرار وومثل بهم

الليل بدأب النهار وتشاوروا في العبور إلى سيلمان الحاجب وصافي حاجبي ايلك الخان فعبروا إليهما وعرّفوهما أن السامانيّ بالقرب وأن الجيش قد طحطحته الحوادث قد طحنته فهو خلسة الطامع ونهزة الطالب وطعمة الانياب والمخالب فلم يشعر ابو ابراهيم المنتصر إلا بالخيل مطلة عليهم فطاردهم ساعة ثم ولاهم ظهر الفرار وقبض على اخويه وخاصّتهما بو باطرتسري وحملوا إلى اوزكند اسرى واحل المنتصر حرمه حلة ابن بهيج الاعرابي من جملة العرب السيّارة في تلك المفازة ليقضي الله امراً كان مفعولا وكان المعروف بابي عبد الله ماه رويي شحنة من جهة السلطان يمين الدولة وامين الملة فيهم وقد اوصاهم بالقعود له بكل منهل واذكاء العيون عليه عند كل مورد فما لبث الليل حلة العبش وعرض على النجوم جيش الجيش وثب اهل تلك الحلة على المنتصر جهلاً وغباوة وشقاوة وسفاوة فاخفروا احق مقدمه واحلوا الارض جرام دمه فكانما عناه ابو تمام حبيب بن اوس الطائي بقوله حيث يقول

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلّت عليه القنا السمر

فاثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا واكفانه الاجر

مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتهت انها قبر

عليك سلام الله وقفا فانني رايت الكريم الحر ليس له عمر

ثم نقل تابوته إلى قرية مايمرغ من روذبار زم ودفن بها في شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره فامر بالقبض على البنداد واراقة دم الاشكار وشن الغارة على حلة ابن بهيج الاعرابي خاصة وعلى العرب السيّارة عامة فصارت جموع السامانية رماداً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا

ذكر الامراء السامانية ومقادير ايامهم حسب دولتهم إلى ان زوتها للسلطان يمين الدولة وامين الملة

كان ملك آل سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان بما ينضاف اليها في الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان وطبرستان والري إلى حدود اصبهان مائة سنة وستين وستة اشهر وعشرة ايام فاولهم ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث بناحية بلخ يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين وولي خراسان ثمان سنة خمس وتسعين ومائتين منعوتا بالعدل والرافة موسوما بطاعة الخلافة وقام بعده ابو نصر احمد بن اسمعيل فملك ست سنين وثلثة اشهر وفتك به نفر من غلمانه بفربر ليلة الخميس لسبع بقين من جمادي الآخرة وكان مقتديا بابيه في ايثار النصفة واختيار الاحدوثة الحسنة اقتداء الابناء بالآباء في اختيار افضل السنن واتباع احمد السير الى ان طوت الدنيا صحائف ايامهم كعادتها في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وسد مسده الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلثين سنة وربع النهار قوي العماد وري الزناد زكي المراد وتلاه في وراثة الملك نوح بن نصر وهو الحميد فملك اثنتي عشرة سنة وثلاثة اشهر وسبعة ايام وتوفي ببخارا يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه عبد الملك بن نوح فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت به دابته فسقط إلى الارض سقطة حمل منها ميتا وذلك عشاء يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وولي امره نوح بن منصور احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر وتوفي يوم الجمعة ببخارا لثلث عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة وملك بعده ابو الحارث منصور بن نوح سنة وتسعة اشهر فاعتقله بكتوزون بسرخس يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع اخوه عبد الملك بن نوح فما استقرت قدمه في الولاية حتى خرجت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة دعائم وثالث لعامته فطار إلى بخارا وقبض ايلك الخان عليه وانتزع ولاية من يديه فكانت مدة امره ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما ثم اخوه المنتصر ابو ابراهيم اسمعيل بن نوح وذلك حين تاني ما ولي السلطان

و خراسان وأقبل بعد ذلك جدّه يزداد في أسباب العلاء
جدّة وجدّه تتضاعف في رقاب الأعداء جدّة فما يفترّ له
شبه الأعز ثغر مفتوح ومنع ممنوح وذكر على هامات الأعواد
مرفوع وباب إلى فضاء المنى والآمال مشروع

ذكر الأحوال التي جمعت الأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان من خلاف فترة ووفاق أخرى وما جرى بعد ذلك من الطوائل التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وأمين الملة وعطفت به إلى انتزاع الملك من يديه وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتبّ له ما أراد في أمره بعون الله ونصره

قد سبق في أول هذا الكتاب ذكر الأمير خلف بن أحمد فيما أراده
السديد منصور بن نوح من ذوده إلى بيته وإظهاره على خصمه
إلى أن تهاوت نجوم الفتن بخراسان فقرعته اشتغال ولاتها
بما دهاهم منها للاستجمام والاجتماع والاستظهار بالتخرجه له
أرض سجستان من صنوف الارتفاع حتى اتسع نطاق همته

لطلب الفضول والزيادات ومنازعة القروم والسادات
ولما تصدى ناصر الدين لمواقعة ملك الهند حين تورّد حدود
الإسلام على ما نطق بشرحه صدر هذا الكتاب اغتنم خلف
اشتغاله بيّت عن الحفظة وخلوّها عن الشحنة فاسرى إليها من
أمّا من سبتها واقتضّ عذرتها وحرف كلمة الدعوة عنها أو
غمس يده في أموالها فجباها وجمعها فأوعاها فلما أفلج الله
سبكتكين على الكافر اللعين عطف العنان إلى بست متعصبا من
غدره محتفظا من سوء حفاظه فاتقاه أصحاب خلف بن أحمد
بظهور الفرار وأعقاب الأدبار والصغار وهمّ سبكتكين
لمناهضته واستخار الله في مناجزته فأرسل إليه خلف من
يتأول عليه في ذلك العبث بمحافظته محلّ حكم الموالاة في حفظ
ولايته ويضمن تصحيح ما صار في جبايته ويبذل زيادة
تقوم مقام الأرش عن جنايته تفاديا عن ثقل وطأته على
أعماله وتصونا عن عورة الافتضاح في قتاله فتغابى ناصر
الدين عن سوء غدره لفائدة الاقتداء والتغابي منه ببذل

الاعتذار فكان مثله في ذلك كما قال أبو تمام ليس الغبيّ بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي ثم طالبه بتصحيح المال حتى أداه وانزوى
به بعض مداه وكانت الحال بينهما من بعد قائمة على جملة المسالمة
إلى أن حدث من أمر أبي علي بن سيمجور في الجولة التي اتفقت له
بباب نيسابور ما سبق شرحه فأظهر تقربا إلى ناصر الدين بمساعدته
على خصمه ومرافدته بنفسه وسائر أهل جملته أسنانا عليه بطانة
المظاهرة وإنما أراد التشفّي من أبي علي بمعونته الحاضرة ووقيعته
الباهرة إذ كان أبو علي قد ورع بقصد حصاره وغزوه في عقر
داره واقتياده بتنوف أنصاره وصحبه إلى بوشنج في جمهور
أشياعه وأتباعه ثم خلفه بها سبكتكين صيانة له عن كلفة
السفر وإبقاء عليه من خطة الخطر وسار إلى طوس لمواقفة أبي
علي وطلب الثار المنيم عنده حتى إذا طرده ونفض عن شغل تلك
الحرب يده رد إلى خلف بن أحمد أصحابه مثقلين بالنعم الباهرة
موشحين بالخلع الفاخرة تقدمهم المراكب والجنائب وتردفهم
النجائب والرغائب فعادوا وأثنوا بالذي كان أهله

ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب فصفت لذلك شريعة الحال بينهما
عن قذى الموالاة وتجلت عن عوارض المداجاة والملاحاة إلى أن عبر سبكتكين
النهر إلى ما وراءه لمدافعته ايلك الخان عن ولاية الرضي بمحض المناصحة
أو حرق الكافية ثم اقتضته صورة الحال مسامحته ببعض تلك
البلاد على أن يسلم له سائرها ويأمن من خبث العيث بادها
وحاضرها وترامت إليه أثناء ذلك مكاتبة خلف بن أحمد إيلك
الخان مستعطفا من غربه ومغريا إياه بحربه طمعا في بست ونواحيها
وغزنة وما يليها وانتصات إليه بلاغات وقوارض برقت له
من جانبه في أمر أبي علي وإظهار الندامة على ما سبق من معونته
عليه والإفصاح على رؤس الأشهاد معرضا بأن اجتياح الملوك
شؤم واستباحة البيوتات لؤم وضعف في الرأي معلوم
فطار الغضب بناصر الدين كل مطار وحدته نخوة الأقدار
بالبدار إلى سجستان لإطفاء الغليل وشفاء الداء الدخيل
فثناه كاتبه أبو الفتح البستي عما نواه بالقول الرفيق والرأي المؤيد
بالتوفيق ودلّ على التلطف على ذلك الحريق وأداه أن بعض

البلاغات زور وأن القائل كالقابل مأخوذ وموزور وأن قلوب
الرجال وحوش نافرة وطيور في جو الجو سابحة فلا يستمكن منها
إلا بإعمال الحيل في نصب الحبائل وتمكين الجوارح ودس البنادق
وبث الحبوب والمطاعم ثم لا شيء أيسر من إفلاتها من حبالة
القانص وإرسالها من شرك الصائد كذلك القلوب لا تنصاد
إلا بأشراك الصنائع والعواطف ولا تنقاد إلا بأزمة الأيادي
والعوارف ولا تستفاد إلا بابتذال التوالد والطوارف ثم الكلمة
الجافية تهيج وادعها وتطير واقعها وتكد عليها مشاردها وتلا عليه
قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم فسرها
له حتى نزل عن ظهر مركب التعجيل إلى أرض التمهيل وأنشدني أبو الفتح
في شرح ما دار بينه وبين سبكتكين لنفسه

إذا شئت أن تصطاد حبة أخي لب ... وتملك منه حوزة القلب والخلب
فأشركه في الخير الذي قد رزقته ... وأدخله بالإحسان في شرك الحب
ألم تر طير الجو تهوي مسفة ... لحب كقطر من ذرى الجو منصب
كذلك لا يصطاد ذو الرأي والحجى ... حبات حبات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن أحمد بعد ذلك مستقيلا عما غرني إليه ومتبريا مما
لقيه منه فعفا ناصر الدين عما جنته يده من أمره وأغمض
له عما استباحه من تقليب قلبه وتغدير غدره وتمشى في عمره
على مداراته وملاطفته إلى أن أتاه اليقين من ربه فانتقل
إلى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة
خلة جنوح الزمانة بإظهار الشماتة فاستنشد قول القائل

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

ثم أسرها في نفسه مترقبا ميقات الفرصة في الإيقاع
به والانتقام منه إلى أن ورث ملك خراسان نقي الأطراف
عن عثرات الخلاف سليم الآفاق عن غمرات الشقاق وقد
كان خلف بن أحمد عند قيام السلطان باستصفاء المملكة
قد بعث ابنه طاهرا إلى قهستان فملكها ثم عن منها إلى بوشنج
فاستولى عليها وكانت هراة وبوشنج برسم بغراجق أخي سبكتكين
فلما وضع الله عن السلطان أوزار تلك الملاحم أتاه عمه يستأذنه

في طرد المتغلب عن ولايته وقل ما أخذ من حد نكايته فأذن له
فيه وسار حتى إذا شارف بوشنج تلقاه طاهر بن خلف بمن
والاه من العديد تحت الحديد فتناوشا الحرب قد الهام من
خطوط المفارق وقطا للأجسام من خصور المناطق واستقاء
للأرواح بأرشية الرماح واختلاء للرؤوس بسيوف كشنوف
الدروس ثم حمل بعضهم على بعض فذهبت الميامن بالمياسر
والمياسر بالميامن وانفل طاهر من بين يديه هزيما وأتبعه
بغراجق يحث منه طلبا وقد كان قبل أن يتمر للحرب أصاب
كؤوسا يستيقظ بها أعين الطعن والضرب فعاورته نال
من كاس وتابع حتى غفل بها عن وثيقة التحزم وذهل معها
عن بصيرة التحفظ والتحرز فغرر بنفسه في اتباع خصمه
أغبرا أو بحبال سكره فلم يشعر إلا بابن خلف قد كر عليه بصرا
أقعصه قتيلا وحز للوقت الية من قطف هلاك لخدعته
واقتسمت الهزيمة كلا الفريقين فلم يعرف الغالب من المغلوب
ولا السالب من المسلوب خلا ابن خلف فإنه قفى آثار قلة

من ذكرهم إلى محله وورد الناعي على السلطان فناله من الغم بفقد
العم مثل ما نال الوالد لعدم واحده والولد لافتقاد صنو والده و
استبد بما اتفق لابن خلف على إحداق الشقاء به وبأبيه و
إطباق البلاء عليه وعلى من يليه وجدت أن البقرة تبحث عن المدية
بروقيها والنملة تقضي عليها جنات جناحيها ولو عقل الفراش ناعيا
ما عاش إلى ضوء نار ولا تهافت في مصرع بوار

أسارت القرن في أخبارها مثلا ... وللأعاجم في أيامها مثل
قالوا إذا جمل حانت منيته ... أطاف بالبئر حتى يهلك الجمل

وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلاثمائة إلى خلف بن أحمد
وهو متحصن بحصار أصبهبذ قلعة بينها وبين مجرى النجوم قاب
قوسين بل قيد سهمين تحور عن مراياها الأبصار وتحار دون
أسنامها الأطيار فحاصره بها ممنوعا عن فسحة الاختيار مسيو
بشدة الاضطرار مفجوعا براحة القرار ولذة الغرار حتى نحب
الروع روعه ووضع الروح روحه فاستشعر الخنوع والطاعة
وأظهر الخشوع والضراعة وسأل سؤال المستكين أن ينفس من

خناقه ويمهل من حبل إرهاقه على أن يفتدي بمائة ألف دينار
وما يليق بها من خدمة ونثار وتحف ومبار فأجابه السلطان
إلى ما استدعاه ووكل به من اقتضاه المال حتى استوفاه وغادره
كما هو في إسار الصغار وخناق الوثاق وفي نفسه قصد سجستان
لكنه أحب أن يجعل غزوة في الهند مقدمة لما توخاه وصدقة
بين يدي نجواه تبركا بما يجري على يده من إدالة دولة الدين
والتباع ساحة اليقين وإعلاء كلمة الصدق وإعلاء فوق الحق
فتوغل بلاد الهند متوكلا على الله الذي هداه بنوره وقضى له
بالعز في مقدوره وبالنجح في تصاريف أموره حتى انتهى إلى مدينة
برشور فخيم بظاهرها وبلغه اجتراء عدو الله جيبال ملك الهند
على لقائه واستعجاله القضاء بمجاوزة فنائه فاستعرض الخيول
من أبناء جريدته وسائر الغزاة والمطوعة في جملته واختار
للجهاد خمسة عشر ألف عنان من فحول الرجال وفرسان
الأبطال وحظر أن يختلط بهم من ردة الأجناد وهزيجة
الأوغاد حتى إذا اختلطت عددهم على الإعجاب واحتلامهم

بجنان الضراغم أو أسود الغاب دلف بهم إلى قتال الهجين
اللعين بقلوب كالهضاب ثابتة وفروع صبر على دوح الإخلاص
نابتة وأقبل الكافر الفاجر في اثني عشر ألف فارس وثلاثين
ألف راجل وثلاثمائة فيل تئن الأرض من وطء أطرافها وتجف
من ثقل أخفافها حتى أناخ قبالة السلطان مستطيلا بعدده ومطاولا
بقوة باعه ويده ويظن كثرة الجموع تطوي كتاب الله طيا
أو تغني من أمر الله شيئا ولو درس الجاهل كتاب الله تعالى لعرفا
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وأرجأ الكافر بمكانه
جانحا إلى المطاولة ومتحرزا بالمدافعة والمراوغة انتظارا لمن
وراءه من أوشاب الجيوش وأوباش القبائل والشعوب
فأعجله السلطان عما حاكم به من تقديم المطاولة وتأخير المقاتلة
وبسط عليه أيدي أولياء الله فأوسعوهم جرحا ونهبا وشقا
ورشقا وحزا ووخزا وحثا وسحبا حتى انتصف النهار الأفلج وصلي
نار القراع فاصطفت عند ذلك الخيول وخفقت الطبول
ورجفت الفيول وأقبل البعض على بعض بصول وتراشق

النبال على الخصل وتراشق الأماثل بالخصل وتلألأت
متون القواضب كما تلألأ أزرق الغيم جنح الغياهب وفارت
ينابيع الدماء كما فاضت مجاديح الأنواء وتكاثرت أولياء الله
على جماهير المداير يأخذونهم أخذا ويحثونهم ركضا ووخزا
فلم ينتصف النهار إلا انتصاف المسلمين من أعداء الله المشركين
وحكموا السيوف في دماء خمسة آلاف رجل فبسطوهم على
العراء وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهواء ووجد أعلى
معبد المعترك خمسة عشر فيلا مغرورات الغراقيب
بأطراف النشاشيب مجزوزات الخراطيم بأسياف اللهاميم
وأحيط بعدو الله جيبال وبنيه وحفدته وبني إخوته وذوي
العيث من رهطه وذويه فسيقوا بحزائم الأسر والقسر
إلى موقف السلطان كما يساق المجرمون إلى النار إذ وجوه
عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوف على
الظهر قسرا ومسحوب على الخد جرا ومضروب على الوريد
صبرا وحل من عنق جيبال عقد نظيم مرصع بفرائد الدر والجواهر

الزاهر واليواقيت الحمر قوم مائتي ألف دينار وأصيب
أضعافه في أعناق المقتسمين من قرابته بين قتل وأسير
والمطعمين شدق ضبع ونسر ونفل الله أولياء السلطان
ما فات حد الإحصاء وجاز جهد الحصر والاستقصاء وأغنمهم
خمسمائة ألف رأس من ذوقة العبيد والإماء وآب السلطان
بمن معه من الأولياء إلى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين
ظافرين شاكرين لله رب العالمين وفتح الله على السلطان
من ديار الهند أرضا تتضاءل بلاد خراسان في جنبها طولا
وعرضا ووافقت هذه الوقعة الباهر أثرها السائر في
الآفاق خبرها يوم الخميس الثامن من المحرم سنة اثنتين
وتسعين وثلثمائة ولما وضعت الحرب أوزارها وحطت عن
الظهور أثقالها أحب السلطان أن يصرف الجنث وراءه ليراه
منوعا وذووه في شعار العار وإسار الخسار ويستطير هيبة
الإسلام في ديار الكفار فوافقه على خمسين رأسا من
خفاف الأفيال وارتهن ابنا وحافدا له على الوفاء بها على الكمال

وعاد الكافر وراءه حتى إذا استقر مكانه كاتب ابنه
أندبال وشاهيته وراء سيحون يشكو إليه ما عراه
من الفاقرة الكبرى والداهية العظمى ويسأله سؤال
ملهيف تحلّف أن يؤدي عنه الضمان بأعزّ وهان فساق
إليه تلك الفيول وصدف الرسول وسيقت جملتها
إلى السلطان فأمر بالإفراج عن أولئك الرهائن وكسع
أدبارهم نحو تلك المدائن وحدّث نفسه أندبال أن
أباه قد لبس بردة الخرف وعضّ على جرّة الهرم وقد طلع
عليه نسر الأسر ودبران الإدبار وعوّته عوّاء الامتحان
وشالت به شولة الخذلان فقد حان أن يلقى حينه و
يتقاضى عليه الزمان دينه ومن سنتهم المطاعة فيهم أن
من حصل منهم في أيدي الثابتة وهم المسلمون أسيراً لم
ينعقد له من بعد رياسة ولم يتسنّم له زعامة وسياسة
ولما رأى جيبال حصوله بين قيد الهرم وقدّ المذلة آثر
النار على العار والمنية على الدنية فدا شعره فحلق ثم

تحامل على النار حتى احترق ولما استتبّ للسلطان ما أراد
وانقاد له ما اقتاد ارتاح لغزوة أخرى يطرّز بها ديباجة
مقامه ويعلم بجمالها عذبات أعلامه فأمّ نحو ويهند فضرب
عليها بكلكل الاقتدار حتى افتتحها صغراً واعتاض منها
بعد العسر يسراً وبلغه إذ ذاك طوائف من الهنود بشعاب
تلك الآكام واستنادهم بخمر الغياض والآجام متحدّين
بالتحزّب للفساد والتألّب على العناد فأغرى بهم جيشاً يدوّخ
مجاثمهم ويفرّق قبل الوصال أوصالهم فولغت فيهم السيوف
حتى رويت من رشاش دمائهم وصديت من مخالطة أحشائهم
وتهارب من سلم من ظباتها كالأوعال في ريود تلك الجبال
يرون الكواكب ظهراً والمنايا سوداً وحمراً وذاقوا وبال
أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً وانقلبت رايات السلطان
إلى غزنة خافقة بالفتح الرائع والنجح الشائع والحول المتين
والنصر المستبين وقد أشرق وجه الإسلام وابتسم ثغر
الإيمان وانشرح صدر الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة

وقد كان خلف بن أحمد عند انصراف راية السلطان
عن وجهه عهد إلى ولده طاهر في أعمال سجستان وأسند
أمرها إليه إيثاراً له على نفسه وأهدى كريمة الملك إليه
قبل وقته تثبيتاً لها في ملكه قبل استحقاقه إياها بإرثه تورية
للسلطان باستعفائه عن الملك وإقباله على النسك واعتياضه
بتواضع العبادة عن ترفّع السيادة ليقطع بخروج الأمر
عن يده طمعه عن قصده وحصده فلما تنفست المدة
على ما ولاه نطقت شواهد الجحود في اختياره وبدت نواجذ
العقوق من ثني آثاره فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى أعماه
عما نواه فيه ثم تمارض في الحصار المذكور واستدعى ابنه
لقبول الوصية وتسلّم الودائع الخفية فغفل عن سرّ
التدبير وتدبّر العقاب والنكير وأقبل إقبال طرفة
بن العبد على خصلتي الضبع من ضرب الجيد أو جزّ الوريد
وقد كان خلف بن أحمد قد كمن له مقانب من جيشه
فأحاطوا به إحاطة حبل الشباك بجذبة الوشاح إلى أن حصل

في معتقله وحبس في مكمن أجله وبقي في السجن على حاله إلى
أن أخرجت جنازته بحال الأهلية في قتل نفسه والجناية
على روحه ودمه ولما سمع طاهر بن زيد صاحب جيشه
وسائر القواد بسجستان ما جرى في أمر طاهر دخلت في
طاعته ضمائرهم وتعلّقت في موالاته سرائرهم وانتقضت
خوف الإسوة فيه مرائرهم وضبطوا تلك المدينة على
طاعة السلطان ومتابعته وأرسلوا إليه بما أوجبوه من
التمسك بحبل الطاعة والتنسك بدين الجماعة وسألوا إنهاض
من يتولى تسلّم الناحية منهم ليبتدروا إلى بابه ويتعطّروا
بلثم ترابه ففعل السلطان ما سألوه وجزاهم الخير على ما فعلوه
وأقيمت الدعوة فيها للسلطان في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة
ولما فتح الله ديارها ويسّر له انفراجها عزم على قصد خلف
وحسم دائه وكفاية الخاصة والعامة عوادي مكره ودهائه
وهو يومئذ في حصار الطاق ومن صفته أنه ذو سبعة
أسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان وثيقة الأركان يحيط

بها خندق بعيد القعر فسيح العرض منيع المخاض لا يعبر إلا
من طريق ضيق على جسر يطرح عند الحاجة ويرفع وقت
الاستغناء عنه فعسكر السلطان حواليه يحيط به من جوانبه
إحاطة المحيط بنقطة المركز وجعل يستقري بالرأي وجه
الحيلة في طم ذلك الخندق وكبسه ليستذق على الفارس والراجل
خوضه وعبوره وكانت حوالي معسكره غابات أثل وطرفاء ذوات
اختفاف والتفاف ففرض على أهل عسكره خاصهم وعامهم راجلهم
وفارسهم عضد ما يمكنهم عضده منها أضغاثا وحزما تلقم عرض
الخندق ليستتب ظهر المجال والمخترق وبادر الناس إليه
فلم يشرف شمس النهار على التكبيد حتى أعرض عرض الخاصة
من جانب باب الحصار للركوب وثار إليه عند ذلك الخيول وتبعتها
الفيول ومانع أصحاب خلف بن أحمد من شرفات الحصار بقذفات
الأحجار واشتعلت الحرب بينهم ترمي بشرر كالقصر ونحي على
القصرات بالقرص والقسر وزحف الفيل العظيم إلى باب
الحصار فاقتلعه بنابيه وزج به في الهواء وانحط إلى الأرض

من حالق وقتل من أصحاب الخلف الجم الغفير ولجأ الباقون على
التحاجز إلى السور الداخل ودمر عسكر السلطان على الحصار وأهلك
أصحاب خلف فوق شرفات السور الآخر مناضلين عنها بالحجارة
المجانيق وأطراف الحراب والمزاريق واطلع خلف بن أحمد
عند اشتداد الخطب على ملتقى الفريقين فرأى هول المطلع
من تموج الفضاء بعفاريت الأنجاد على شياطين الجياد وتطاير
النبال كرجل الجراد وتراءى الحراب كعزالي السحاب وفتح
الدماء كسيح الماء وعاين الفيل قد أهوى إلى بعض أصحابه بخرطومه
فرمى به في الهواء قاب رمحين ثم تلقاه بنابيه وأقبل على آخرين
يدوسهم بمنسميه ثم أنحى على الباب بمنكبيه فزعزعه بعضاديتيه
واقتلعه بضبات الحديد عليه فاستطار عند ذلك قلبه وجاشت
جأشه وارتاع ذوعه واضطره هول المقام وفرط الاصطلام
إلى طلب الأمان واستغاثة السلطان فلفت عنه يد الاجتياح ورفع
عنه سوط الانتقام كرما غذاه الله بدره وأطره بشنوحه
وأقبل خلف بن أحمد على بذله الجانب حتى استؤذن له على السلطان

فدخل وأهوى إلى الأرض بشيبته البيضاء متعززا بذل الخدمة
وغشى البساط من نسج الجواهر والفرائد ما كسف النهار وخطف
الأبصار نثارا ينوب عنه في شكر ما أذاقه من برد العفو والنجية
وحياه من حريم الروح والمهجة فتكرم السلطان بالرفع من قدره
وضم يده عند التقريب إلى صدره تناسيا لما سبق من هناته
وتغابيا عما قدم من زجوله ونزواته وحكمه في احتمال ما أحب من
ذخائر يساره وذخائر حصاره وخيره في المقام حيث شاء من بلاد
ممالكه وأمصاره فاختار أرض الجوزجان استمراء لنسيم هوائها
واستعذابا لنمير مائها واتساعا في مراتع الصيود حول أرجائها
وأمر السلطان بتسييره إليها في عصبة ذوي الهيبة معانق لباس
الصيانة عن عورة المهانة فأقام بها قرابة أربع سنين في ظل
الترفه وساعدته القناعة بما هو فيه ثم أنهي إلى السلطان مراطنة
بينه وبين ايلك الخان بملطفات سيرها إليه ومراسلات أغراه بها
عليه فاقتضاه الاحتياط نقله إلى جرديز إبقاء عليه من تحصيص
ما أضيف إليه واستيفاء للصنيعة لديه وأجرى أسبابا ما يحتاج إليه

من إبطال ذلك الإفضال وتكدير ذلك الغدير فبقي هناك على
جملته إلى أن حقت عليه القضية واخترمته المنية وذلك
في رجب سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وأمر السلطان بحفظ جميع
ما تخلف عنه على ولده أبي حفص وتقريبه في يديه وتمكينه
من خدمته وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه فيه حين
وهى أمره وصفرت عن الملك يده

من ذا الذي لا يذل الدهر صعبته ولا تبيد الأيام صعدته
أما ترى خلفا شيخ الملوك غدا مملوك من فتح الحدباء بلدته
وكان بالأمس ملكا لا نظير له فاليوم في الأسر لا تنتاش أسرته

وكان خلف بن أحمد مغشي الجناب من أطراف البلاد لسماحة
كفه وغزارة سيبه وإفضاله على أهل العلم وحزبه وقد ملئ
على ألسنة الشعراء والعلماء بما هو سائر وذكره في الآفاق
طائر وكان قد جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب
الله تعالى لم يغادر فيه حرفا من أقاويل المفسرين وتأويل المتأولين
ونكت المذكرين وأتبع ذلك بوجوه القراءات وعلل النحو

والتحريف وعلامات التأنيث ووشّحها بما رواه الثقات الأثبات
من الحديث وبلغني أنه أنفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته على جمعه
وتصنيفه عشرين ألف دينار ونسختها بنيسابور موجودة
في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد
صبر الناسخ إلا أن تتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة و
أخبرني أبو الفتح البستي رحمه الله قال قد كنت عملت
فيه ثلاثة أبيات من غير قصد لتبليغها إياه لكنها سارت
على ألسنة الرواة إليه فلم أشعر إلا بصرة فيها ثلاثمائة دينار
أتحفني بها على يد بعض ثقاته صلة لي على ما قلته والأبيات هذه

خلف بن أحمد أحمد الأخلاف أربى بسودده على الأسلاف
خلف أحمد في الحقيقة واحد لكنه مربٍ على الآلاف
أضحى لآل الليث أعلام الورى مثل النبي لآل عبد مناف

فصل في قريب من هذه الصورة حديث إبراهيم بن هلال الصابي
وذلك أن رسولا لسيف الدولة كان قدم مدينة السلام فطلب
شيئا من شعره عن لسان صاحبه فدافعه إلى أن أزف ارتحاله

وأتاه عند الوداع ملحّا عليه في تنجزه فأعطاه عجالة الوقت قوله

إن كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو أني حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة حمل إليه صرة فيها ثلاثمائة دينار موسومة
باسمه وللشيخ أبي الفتح البستي فيه أيضا يمدحه

من كان يبغي علو الذكر والشرفا ويرتجي عطف دهر قد نبا وجفا
أو كان يأمل عند الله منزلة تنيله قرب الأبرار والزلفا
أو كان يطلب دينا يستقيم به ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا
أو كان ينشد ما فاته خلفا فليخدم الملك العدل الرضي خلفا
الوارث العدل والعلياء من سلف حثوا لعلياهم في وجه من سلفا
المؤثر القصد في إنجاء سودده فإن أراد عطاء آثر السرفا
إذا التوى عنق وألوى حكومته سيفا إذا ما امتضى حقا له انتصفا
والسيف أبلغ للأعناق موعظة كم من صليف حماه حده الصلفا
وإن بدا الكلف في وجه مرتبة حلى بالأكلف عن وجهه الكلفا

دماه يصرف عنه بشجيته صرف الزمان إذا ما نابه صرفا
إذا اقشعر زمان من جدوبته أغنى الورى وكفى جوده له وكفا
يسطو فيدع الأفلاك خائفة والشمس حائرة والبدر منكسفا
يرى التوقف في بؤسى ونعمى وندمى ومنّا فإن عن رأي مشكل وقفا
لله نصل صقيل في أنامله أعاد حظي سمينا بعد ما عجفا
يهين أمواله كي يستفيد بها عزا يؤثله في أعقابه الشرفا
والمرء للوم في أحواله هدف إن لم يكن ماله من دونه هدفا
لا يلحق الواصف المطري معانيه وإن يكن سابقا في كل ما وصفا

وأنشدني أبو الفضل الهمذاني قصيدته التي يمدح بها خلف
بن أحمد أولها

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل أصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل
لك الله من قفر أجوب جيوبه كأني في أجفان عين الردى كحل

وفيها يذكر إباه بهمذان واستفادة الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن

يذكرني قرب العراق وذكرى مدى الله لا يسليه مال ولا أهل
إذا ورد الحجاج لاقى رفاقهم بعوذ أرى دمع همّا النجل والسحل
جنته النوى عني وأضنته غيبتي وجهدي به كالليث جوّزه غيل
ليعلم كيف ابنه أن داره إلى ما انتهى لم يعد هل له شغل
أما آن قد حان أطالت له يد أخرى نقص أقدمه فضل
يقولون وافى حضرة الملك الذي له الكنف المأمول والنائل الجزل
وفاضت عليه فطرة خلقية بها الفؤاد غير ولاتها عزل
فقيد له طرف وجلّت له حبى وخير له قصر ودرّة له نزل
يذكرهم بالله الأحد فهم لدي أجد ما تقولون أم هزل
طوينا الفيافي للملوك وإنما يمسكك عن أمثالهم أبدا أنسل
ولما بلونا كم بلونا مديحكم فيا طيب ما نبلو ويا صدق ما نتلو
ويا ملكا أدنى مناقبه العلى وأيسر ما فيه السماحة والبذل
هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما ترى وإن جحدتها ما دفع العقل
فقولا لأبو تام المكارم باسمه يهنيك أن لم تنو ملامة عقل
فذا الملك من أبناء دهرك من غدا ولا قوله علم ولا فعله عدل
وجار إلى أفراد الملوك الذي وجفا العدى أعجزتهم ومثلك الخصل

سماك بن عمرو ويعقوب محتد لذا الاصل منحوداته ولذا النسل
وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي بيتين ذكر انهما مكتوبان
على باب داره بسجستان

من سره ان يرى الفردوس عالية فلينظر اليوم الى ابوانكيوان
او سره ان يرى الرضوان عن كثب بيل عينيه فلينظر الى البان

ونعم ومنعت سجستان للسلطان فهدأت عيون الفتن وسقطت نجوم
الاجن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن التعصب والتحزب
وانخفضت ابصارهم دون التوثب والتغلب ورجع السلطان الى
غزنة باهر الامر عالي الظفر والنصر قد صنع الله له فيها وامه
وسدد نحو المراد سهامه وشهر بافتراع المدينة العذراء وامتهنه
المملكة الغراء وانطلاع ذروة الرجاء وادراع لامة العز والعلاء
وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه قصيدة في فتح سجستان

سعدت بغرة وجهك الايام وتزينت بلقائك الاعوام
وتشرفت بك في المعالي همة تعيى بها الافهام والاوهام
ولقد هششت بها دعذلك فاغتدت تتوارد الاسآد والآرام
وافتض سيفك كل مدينة بكر عليها للاباس ختام
هذي ذرنج استغلقت وتمنعت فكانها الاعلاك جرام
فضحتها وابحتها ومنحتها نفرام لفضائل الخدام
وقدمت والايام تنشد في الورى بعثا تجدد نشره الا يام
قد جاء نصر الله والفتح الذي ترعى بكتبه وصفها الاقلام
اجل الجوال وايمن مقدم وانم اقباله ريه دوام

وزحم الله البديع ابا الفضل الهمذاني حيث يقول في السلطان

تعالى الله ما شاء وزاد الله ايماني افريدون في التاج ام الاسكندر الثاني
ام الرجعة قد عادت الينا بسليمان اظلت شمس محمود على انجم ساماني
وامسى آل بهرام عبيد الابن خاقان اذا ما ركب الفيل لحرب او لميدان
رأت عيناك سلطانا على منكب شيطان فمن واسطة الهند الى ساحة جرجان
ومن قاصية السند الى اقصى خراسان على مقتبل العمر وفي مقتبح الشان
فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان فيا يعرب بالمغرب عن طاعته الثاني
لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان اياو الى بغداد ويا صاحب غمدان
تأمل هاتي فيل على سبعة اركان يقلبن اساطين ويلعبن ثعبان

عليهن نجا فيف يشبهن بالوان ويا جوج وماجوج من الجند بموجان
واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجي الحاجب احد المختصين
من قواد سبكتكين بحسن في السياسة سيرته واشتهرت في الرفق بالبرايا
والعنف على المريب بصيرته ثم ان طوائف من نجوم الفتنة ورجوم
الشر والعصبية ابطرتهم رفاهة العيش ودفاعة الامن وفسحة
الحال وسعة المجال فحدثوا انفسهم بتقديم من يضمهم على العصيان
ويؤمهم في الخروج على السلطان تعرضا للبلاء وتحككا بالشقاء
واجترآء على سوء القضاء فابدوا صفحة الخلاف واخذ طوائف
الشر من العلاف فلما رأى السلطان انتقاض سجستان على خلفائه
وانتهائه بادر اليها في عشرة الاف رجل من نخب العسكر ومعه اخوه
صاحب الجيش نصر والتونتاش الحاجب وابو عبد الله محمد بن
ابرهيم الطائي زعيم العرب وحصر المردة العتاة في حصار
ارك ووكل جنود عسكره بجوانب الاسوار واقتسم جنهم مجال
ذلك الحصار ونشبت الحرب بعد العصر يوم الجمعة للنصف من
ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلثماية وخاض السجزية غمرتها

ساعة متوازرين على المدافعة ومتظافرين على الممانعة والمقارعة
حتى اذا اوهنهم السلاح واثخنتهم الجراح لاذوا بالانحجار والاعتصام
بسور الحصار وظهر اولياء السلطان على بعض جوانب السور في
ظلمة الديجور فنادوا بشعار الملك المنصور فانهزم الفجار
وملك عليهم الحصار وبسطت ايدي القتل والضرب على من
تضمنتهم الدور ولفظتهم المساكن والقصور فمن رؤس منبوذة
واعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة ودماء على الارض مصبوبة وهام
الآخرون على وجوههم يتساقطون من كسع الادبار في الابار
ويلوذون من ضرب الاخادع بالمخادع ويفزعون من حتف
الغارات الى المغارات والطلب يقطع دابرهم ويلحق بالاول آخرهم
حتى خلت سجستان من عيث شرارهم وسلمت من بث شرارهم
وفتح الله بكر المملكة على السلطان فتحا ثانيا وملكا ثانيا فلم يسمع بمثله
على الايام فتحا في غلق الظلام واستفاضت هيبة السلطان
في اهل سجستان حتى نامت لياليهم عن دبيب العقارب وصريرا
الجنادب ولتقر اهل العصر على تقنية النصر

يا أيها الملك الذي بذّ المعالي تقتدح
لا زال الفرح باسما من أجل نصر تفتتح
وأنشدني أبو منصور الثعالبي له في هذا الفتح الشهير والنجح الكبير يمدح السلطان يمين الدولة وأمين الملة

يا خاتم الملك ويا قاهر الأملاك بين الأخذ والصفح
عليك من الله من فاتح للأرض مستولي على النجح
رايات تنطق بالنصر بل تكاد تملى آية الفتح
كم أثر في الدين أثرته يقصر عنه أثر الصبح
وكم بنى ملكك شيدتها تثني عليها ألسن المدح
فاسعد بأيامك واستغرق الأعداء بالكبح وبالذبح
ودم رفيعا عالي القدح تشفع الملك على القدح

ثم جعل السلطان سجستان طعمة لأخيه نصر مضافة إلى نيسابور وما يليها من ولايته في بلاد المشرق فنصب لخلافته عليها أبا منصور نصر بن إسحق وزيره ووكل بها ذريعته ورمى لها بقدبيته وناخيته فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية وإتقان السياسة وإنعام الحراسة فنام من عدله الزمان بمقافه ودبت الكمال بأوصافه وعاد السلطان إلى بلخ على استيناف

الجد في غزو الهند على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله وحده

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانتقاله إلى مملكته بعد طول التقلب في التغرب

قد كان شمس المعالي أقام بخراسان ثمان عشرة سنة مصابرا للدهر على وقعاته وتصرف حالاته لم تغمز يد الحادثات قناته ولم يفرع صرف النائبات صفاته ولم تنقض دوائر الأيام مروته ولم تنقض على اختلاف أحوالها حبوته ولم يبق من أصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم يغرف له بنيهم من نوافله ولم يرجع إلى أحيط من عطاياه وفواضله ولم يخدمه أحد من ذوي الجنة بسلام إلا حظي منه بإنعام وإحسان وأجنبة ألوان وأفراس مطهمة حسان تعلى الأكتاف خلعه ولباسه وتحت الأفخاذ مراكبه وأفراسه وحشو البيوت بدره وأكياسه وقد كان آل سامان يسمون رده إلى مملكته جبانة لقصبة السبق في إدالته على خصمه وانتاشه مملكه إليه فيقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم عن إصابة أغراضهم في أمره والمحنة بصيرة التجارب مذكاة المحنة حتى تنقى دنانها وتنقي

بجماة السرف وزماة الجد وسن كتائب الأتراك الخانية فأرسل حاجبه الكبير التون تاش إلى ملك الخان بنجزه حكم الحال التي اتفقا عليه بما وراء النهر من الاتحاد في الوداد والاشتراك في الأملاك بإمداده بعشرة آلاف رجل من نخب رجاله وشهب أبطاله وصرف شمس المعالي ووراءه على ميعاد معاده ورجع سبكتكين إلى بلخ مستعدا للأمر ومنتظرا لوصول العدد الدثر فاستأثر الله تعالى به قبل أن عاد الرسول وتحقق المسؤول لحيط عليه ما صنع وصوح دونه نبت ما ذرع وتوسط وجوه الناس بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين قابوس في إسعاده ورده إلى معاده على مال يقضي به حق عنايته ويتعاطى به حسن بلائه في تحقيق رجائه وتخييب مكايد أعدائه فأظهر الوفاء به لعابة شهرين من قراره بجرجان إذ كان يجمل بجل ما يلتزمه على ما يدرله من أحلافها ويحقل من أخلائها وأنه يحاشي بذا انتقال الملك إليه حط رعيته بالحيف والعسف والإنحاء عليهم بمبرد الحرق والنتف فأجمل السلطان ما أضمه من إرث

على الإقبال بجرأتها إذ كان الاضطراب في الجبن كالاضطراب في حبل الخناق ما ازداد صاحبه على نفسه حركة إلا ازداد اختناقا وهلكة وما تناهى إلى نظره قوله في إقبال بخته

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عاند الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر يطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ومسنا من تواني بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ولما وطئ سبكتكين حريم خراسان ومكنه الظفر بأبي علي بن سيمجور من كورها البلج للقائه وبالتجنيه من نصره وإعلائه ثم أتفق له من الانقلاب إلى بلخ ما حال بينه وبين مراده فعقد منه على حملته إلى أن انقرض أمر أبي علي وخوى نجم الشغل به وانحدر إلى طوس لطلب أخيه أبي القسم السيمجوري فجدد عند ذلك قابوس عهده ولاطف كل منهما صاحبه بما لا يفي به بيان ولا يتسع له حساب وحسبان وجرى ذكر فخر الدولة صاحب الري واستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب الأكراد والفوارس والأنجاد فأراد سبكتكين أن يستظهره عليهم

أبيه وشغل الخاطر بأخيه عن تقديم إظهاره وتعجيل الرد إلى داره
فاستمهله ريثما يكفي ما أمامه ويقضي الشغل بما وراءه وسار إلى
جرجان حتى يسر الله له افتتاحها وداوى على يده جراحها وكان
أبو القسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما عنى فخر الدولة بسبيله
انحاز إلى جرجان متغلبا عليها وكاتب شمس المعالي قابوس في الابتداء
إليها ليقوم بتسليمها إليه وتقريرها في يديه فسار على سمت الروعد
حتى وافى جرجان وأبو القسم بن سيمجور بإستراباذ وقد جهز من
الري أبو العباس فيروزان بن الحسن في جماهير المشاهير من
قواد الديلم والأكراد وكان قد أطمع أبو القسم من بخارا في
ولاية قهستان وهراة وأمر بمعاودة خراسان للاعتضاد
به والاستظهار بعدته وعديده فجدد عزمه للانصراف
وضرب بتلك المواعيد بالإخلاف غير حافل بما يلحقه من
المذمة بخذلان من جشمه لنصرته واستقدمه على ما تجشمه
وقد ذنبه وسار نحو إسفراين فانقلب شمس المعالي إلى نيسابور
على حرف النهل استيناء بالوقت إلى منقطف الثمار ومخترف

الأكل وتربصا بما تحوته رحم الليالي من جنين المقدور في أدراج
المستور على المستور ولما رأى أمور السامانية مختلفة النظام
مختلة العرى والأوذام ولا تزداد على الرقع إلا خرقا ولا على
الرتق إلا فتقا محض الرأي فيما يقيم له ما بدا من أمره ويحوش عليه
أبد ملكه فكانت زبدة مخضه أن سرب الإصبهبذ شهريار بن
شروين إلى الجبل شهرياذ لاستصفائه فسار نحوه بمن تحت
لوائه وعلى الجبل يومئذ رستم بن المرزبان خال الأمير مجد
الدولة أبي طالب رستم بن فخر الدولة صاحب الري فتناهدا
للقتال على رسمهم في الاختراس بالتراس وادراع لباس
الباس وشد الإصبهبذ عليهم شدة شردتهم بين المهامه و
الدكادك وألجأتهم لهوات المعاطب والمهالك وأمات منهم
نفيسة جسيمة بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة وأقام الخطبة
بالجبل على قابوس وكان باي بن سعيد أحد أعيان الجبل
وشجعانهم مقيما عند الأستندارية في طوائف من أضرابه
مشايعا لهم في ظاهر الأمر وناظرا إلى موالاة قابوس من نقاب

السر واتفق أن نصر بن الحسن بن فيروزان لفظته الإضافة بناحية
الديلم إلى حدود الأستندارية فطمع في مغالبتهم عليها ومزاحمتهم فيها
فقذفت من جرات أنيابها بمن طرده عنها وقبض على خاله أبي الفضل
إصبهبذ كلار فحبس حتى دفن ومال بعد ذلك باي بن سعيد نصرا
عنها عدا على قصد آمل وبها أبو العباس الحاجب في زهاء ألفين من
عسكر الري فأجلاه عنها طائرا بأقفية الصفاح وهشيما تذروه
الرياح وطير باي بن سعيد عند ذلك كتبه إلى قابوس بذكر الفتح
الذي أتيح له على شعار موالاته واستشعار طاعته وموالاته وإظهار
التبجح باستطلاع راياته فتفصل عن نيسابور سائرا نحو جرجان
وتحيز باي بن سعيد عن مضامة نصر إلى إستراباذ مجاهرا
بشعار صاحبه وتجمع إليه من أبناء الجيل من كان يسلك شعب
هواه ويتسلم ذكر طاعته ورضاه وكتب قابوس إلى الإصبهبذ
بالانضمام إلى باي بن سعيد وجمع اليد إلى يده فيما قدم وأخر
والشد على عضده فيما أورد وأصدر ففعل ما أمر وتسامع أبو
العباس بن فيروزان بن الحسن بنبأها وهو بجرجان فنهد لكفايته

جرها واختطاف ما انتهب من جمرها فوافقاه بباب إستراباذ وقعة
ثبت فيها جدود القواطع من جديد المدارع ومزارق القنوات من
مفارق الهامات وكادت الهزيمة تستمر بأصحاب باي لولا انقلاب
الأكراد والحرب في عسكر الديلم عليهم بحيص النظمى وذرق العوالي
منادين بشعار شمس المعالي فانهزم أبو العباس فيروزان بن
الحسن فيمن معه وركب الطلب أكتافهم فأسر هو وزهاء عشرين
نفرا من وجوه القواد في جملته وأسرى بقية الفل نحو جرجان
وقد قدم إليها قابوس سالار بن خركاش أحد أقاربه فوافق انهزامهم
إليها الملاذة عليها وتسامع الفل به فضجوا رنة وعويلا وضلوا
فلا يستطيعون سبيلا واضطروا إلى استيناف الهزيمة قدما على
فرج وملحا فوق حرج وخوطب قابوس بخبر الفتح وما هيأه
الله له من عظيم النجح فسار إلى جرجان وقد شرح الله صدره وجلى
عن المكسوف بدره وفتح باليسر عسره وزاد على القدر قدره
ودخلها في شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ولبعض كتاب أهل
العصر فيه عند زفاف الملك إليه فصول أولها

للذم ما يعنه الحر عذار والحمد ما بزنه الصبر حواد
للكريم اذا الايام ذل به عن المنى خبات النفس اعداد
كم ناصل وحنون المخنون له حيفا على جنبك اللاواء جرار
ولم جريح قريح القلب ذي عبر ولم قتيل وما بالسيف آثار
ولم فقير بلا جرم وخاينة ولم غني وللايتام اذواد
سير سريع ودود غير منصرم نقب العيون ودون الغيب استار
من كان يخبر حال الدهر دابه لم يثنه عن عيان الحال اخبار
وانما حاصل الايام مختبر اجذ اصم عن التحقيق فترار
يحي الامان على من لا اصطبار له ورقة للذي في الصبر صبار
فاصبر هديت فان الصبر منجحة ومن وراء ظلام الليل اسفار
والدهر ذو غير احواله نوب عسر ويسر واحلاء وامرار
والبدر يدركه التمحيق منتقصا وبعده بضياء التم نوار
والنار في خلل العيدان كامنة وسقطها باقتداح الزند سعار
والحذيطبع كالصمصام ثم له من صيقل الدهر جلاء وشهار
هذاك شمس المعالي في سيادته له مع الفلك الدوار اخطار

اعطاه من غرر الامال ما قصرت عن نيل امثالها في الدهر اعمار
ملكا وعزا وعيشا دائما وعلى ودولة ضمنها نصر واظهار
لما كساه دروع الحزم ضافية ولم يجد منه غير الشكر يختار
الذي تنبوا عليه كي يجربه بالصبر والصبر للاحرار مسبار
حتى اذا ما قضى من شانه وطرا وللامور نهايات واطوار
امسى يعاود ما ارضاه من خطر وخذه بدم الشوبر فوار
فالدهر خادمه والعز مازمه والرأي رايته والخلق انصار
قرم يفي حيوة العالمين به كانه الشمس والاقمار اقمار
داح الكرام الى اوكار نائله كانه النيل والاحرار اطيار
له المعالي سماء والندى شهب والمجد سارية والجود امطار
علاء كالليل والمصباح همته ونقله الجود والامال سمار
تراه تشتبه الاحوال حوزته مثل الهزام الجدي عنه اذا ثاروا
وجد الدهر قاهر لحشمته فالجود بار له والسيف جرار
حبانه بوقاح السيف ممتزج وعدله في حزون الناس سيار
الذي يديه الى الفردوس منتسب ووقع سطوته في جمرة النار

يوم الهياج صفاح البيض حليته والجو من لهب الطعنات مهار
بقامس الحرب والارواح راقية الى التراقي وطرف الموت نظار
يرقش من دفع الاعناق قسطلها اذ نقعها بجوانبي الخيل ثوار
تنادرت انجم الافلاك سطوته اذا الرماح من الارواح تمار
هن في ذمة الاضواء آنسة وهن من طحنة الظلماء نفار
للمشتري منها في الحضر منقصة سعي رضاه وللمريخ زنار
لفنه روعته آمرا مصلحة فمايد وادعى المحفوظ ديار
وقد اقام على الظلماء صيبته فابصرت جذار الناس صبار
ان السلامة ان لو الهمت نطقت يا رب انك لي من سيفه جار
يا ايها الملك الميمون طائره ومن نداه بفيض البحر زخار
ان عروس ما لها ابدا سوى خصالك مشاط وعطار
البخل عندكنه وجه الذي كلف نعم وفي غرة الاقبال ادبار
ترمي العدي من نبات الكبد مائية وان دموا جانب المرتقي اوتار
لا زال في نعم تفضي الى نعم
كان ما قد رموا من لعن فالية وما رميت به وحي واقدار

تحمي وتلهب الاوتار راميه كانما احبت الاوتار اوتار
لا زال في نعم تفضي الى نعم ما طاف حول فناء البيت عمار
متقابس ورغير منقرض حتى يفوق بجود الارض اقوار
وللخوارزمي يمدحه مقامه خيسابور
قامت تودعني بالادمع السجم والصمت بين يديها وبين فم
البين اخرسها والبين انطقها وهذه حالة في الناس كلهم
وطالما اعرضت عنا الشيوف فلا جاريها بجيش الورد والعنم
وقد خلعت لجام الاتباع فلا نلقى سوالفنا في ذمة اللجم
لم يبق في الارض من شيء اهاب له فهل اهاب انكار الحقد ذي الشيم
استغفر الله من قولي فلطت لي اهاب شمس المعالي امة الامم
كان لحافك من سيف الامير ومن حتم القضاء ومن عزي ومن كلمي
قال الامير لاخلاق الكرام فقي بحيث انت فما زادت على نعم
وقال للعلم والاداب لا برحا الاعلى فما فيما بلا ولم
القائل القول لو فاه الزمان به صارت لياليه ايا ما بلا ظلم
والفاعل الفعلة الغراء لو مزجت بالنار لم تك بالنيران من حمم

لا تحفلن بمغصوب المال في يده ... فقد يجف ضروع العارض الثجم

قد يجزر البحر بعد المد يغرقه ... ويترك الجدب وكر الأجدل القطم

ولا يغرنك أن الدهر جارته ... قد يغدر السيف يوم الروع بالبهم

الآن إذ غدت الدنيا بحمته ... وقابلته مباهاة أوجه النعم

تهادت إليه فتخفي شخص منقبض ... لراحتيه وتغضي طرف محتشم

إذا دعت نحوه ساقاهت قدما ... والعجز يذهب بين الساق والقدم

جبري تقلبها حال وتبعدها ... كذا يكون رجوع الآبق الندم

وله فيه قصيدة يقول في نسيبها

شموس لهن الخدر والبيت مغرب ... فطالعها البين والهجر غارب

ولكنها شمس المعالي خلافها ... مشارقه ليست لهن مغارب

وما لقبوك الشمس إلا وقد دأوا ... بأنك شمس والملوك كواكب

أقول لزوار الأمير ترحلوا ... فمن زاره من راجل فهو راكب

وإن زاره الفرسان كنت كفيلهم ... بأن يرجعوا والخيل فيهم جنائب

ألا أبلغا عني الأمير رسالة ... تدل على سني على الدهر عاتب

إلى كم يحل المرء شكوى بلاده ... بها سنه فيه لغيرك خاطب

عليك هذا السيف فاقض ديونه ... فللسيف دين عند كفك واجب

ولا تقعدن تغضي الجفون على القذى ... وفي الأرض مركوب ورمح وصاحب

غريمك هذا الدهر فالزمه يعترم ... فلن يوقظ الغرام إلا المطالب

وأنت ابن عم السيف بل أنت عمه ... وكيف يخاف الأقربين الأقارب

أليس أبوكم وشمكير وجده ... زيار ومرداويج عم مناسب

بجرجان إما لواء ومنبر ... وإما حسام كالعقيقة قاضب

وللقاضي أبي الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه

أسري خيال الهاجر المتجنب ... ومجري دموع الزائر المتطرب

سألتك بالدهر الذي مرت بعده ... قذى ناظري من بعد أن كنت ملعبي

أعني على من إذا ما وعدتها ... بقربك قالت للدموع تأهبي

ولما تداعت للغروب شموسهم ... وقمنا لتوديع الفريق المغرب

تلقين أطراف السجوف بمشرق ... لهن وأعطاف الخدور بمغرب

فما سر أن الآتين دمع مضيع ... ولا لأن الأفوق قلب معذب

كأن فؤادي قرن قابوس راعه ... ملاعبة بالفيلق المتأشب

همام يراه المال أسرع حادث ... إلى حتفه والقرن أخوف مطلب

يفض العدى اطرافه قبل عزمه ويطرقهم رعبا ولم يتأهب

وفيها يصف الزانات

وزرق على سمر تطل اذا هوت تلاحظ اعقاب الشهاب المذنب
ترفعن عن طيش الرماح وذلة السهام وتقصير الحسام المجرب
تجزن ثبات البيض ثم وصلنها الى الهام من سمر الرماح باكعب
ينلن منال السهم من متبعد وتمن مقام السيف من متقرب
فتى ما تلاقت همتان بصدره ولا اتهد الخلق برأي مشعب
له الهمة العلياء والمنصب الذي يجمعه الجوزاء الحاظ متعب
اذا بعض اطراف الرجال تقاصرت عن المجد الفوه كريم التقلب
نزاجهم من وشمكير بمنكب ومن سلف الاصبهبذين بموكب
ويذهب من مجد وعز ومفخر بآثار مرداويج في كل مذهب
وما خلصت للمرء مسعاة والدا اذا لم يقابلها بنجل مهذب
كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئا اذا رامه من كل حر منجب
يحوز معالي اردشير بخاله ويعلو الورى عن شاو سابور بالاب

ولما انتهت الهزيمة بالقوم الى الري على جملة الاكتئاب وذلة الانقلاب
وسمة القتل والاسار قطع عليهم سياط العذل والتعنيف وملئت
عيونهم من نغثات التعيير والتثريب وكان ابو علي الحسن بن
احمد بن حموية على الوزارة فاختار عشرة آلاف رجل من
بهم الديلم وفتاك الاتراك ونجب العرب وافراد الاكراد و
سار بهم في منوجهر بن قابوس وبيستون بن تجاسب وليان
بن فيروزان وزشاموج بن اخت عظيم الديلم وموسى الحاجب
وشابور بن كردوية وابي العباس بن جاي وعبد الملك
بن ماكان وهولاء رؤوس الجيل والديلم حتى اظل جبل شهر
يار وبلغ شمس المعالي قابوس اقباله فاستقدم اطرافه واستظهر
بشهريار بن شروين استعدادا للمواقفة وتنجزا لوعد الله في
نصرته وتثبيت وطأته واستتمام ما اعاده الله اليه من نعمته
وحاذر ابو علي بن حموية ممالاة نصر بن الحسن بن فيروزان شمس
المعالي وانعطافه الى جانبه فواصله كتبه نافثا في عقدته فاتلا
في ذروته ناحيا بسحره في نحره وملقيا اليه ان القرابة الوشيجة
بين ابي طالب بن فخر الدولة وبينه لو صادفت منه حكمها في الاشفاق

على دولته والانتداب لنصرته لكان احق الناس بسياسة
اجناده وزعامة ممالكه وبلاده وانه الآن متى سلك طريق
الخدمة وجانب جانب التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم
يعدم ما يهواه من ترتيب وترحيب وتنويل وتخويل وتفخيم
وتقديم واذن له في الانتقال الى قومس الى ان يدبر امره
بمقتضاه فانزاح نصر لما شامه من تلك العقيقة ووثق على
الحقيقة وسار نحو سارية ثم قرض المحاذة ذات الشمال وركب
ذات اليمين مما يلي طرابشك وآباذان حتى اذا جاز رقعة
قومس اذاع في اصحابه رأيه في طاعة ابي طالب وانه ما عاش
رهين خدمته ونصير دعوته فاختلفت عليه كلمتهم حين افصح
بنذيره وباح بسر ضميره فمن فريق رجع الى الاستندارية
وفريق الى جرجان في طلب الامان ودخل نصر في الباقين حتى اناخ
بقومس وسال ابا علي بن حمويه تمكينه من بعض القلاع ليحصن
فيه عياله واثقاله فمكنه من حصار جوسند فاستوطنه و
اودعه ماله ومن معه ولما امن ابو علي شره وعاديته توجه

نحو سارية على قصد جرجان فلما اطمأن بها اسرى منوجهر بن
شمس المعالي قابوس الى ابيه عائذا بالله من عقوقه وكفران ما فرض
الله من حقوقه فانزاح ابو علي من بيستون بن بحاسب لاشتراكهما
في نسبة الجيل واذومة ذلك القبيل واشفق من صغوه القديم
في خدمة شمس المعالي وحثه اياه على معاودة سدته واهتبال الفرصة
في مراجعة جملته فاخذ بالحيطة في الاعتقال ورده الى الري
في وثاقه واستقر الى ظاهر جرجان مما يلي قبر الداعي فعسكر به وتوافى
اهل الحفاظ والحمية والانفة الابية من اصحاب شمس المعالي
بالترابد في الطالد والتسابق على التعاضد والتمالك عند
التعارك وسدوا اجيازهم للقراع وقرعوا ظنابيبهم للمصالح
وناصبوهم الحرب طرفي الصباح والرواح لا يسأمون وقع
الصفاح ولا يألمون لذع الجراح حتى غبر شهران كيوم واحد
في مغاسة الكريهة بين تكلف وبديهة ومن عسكر جرجان
ضيقة لانقطاع الميرة والمواد عنهم فاستعصموا بالنفوس
الشريفة وتعنوا طول تلك المدة بالبلغ الخفيفة مؤثرين الشرف

والامن من حذره والربح من يده والروض من خلقه الحلق يبتسم
لله جاذك يا من جاز حضرته يلقى السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا وعاشر الفتح منشورا له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به امسى واصبح بالاحسان يعتصم
ابل الجديدين بالعمر الجديد ودم للملك يخدمك التوفيق والقسم
وانشدني الامير ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي

في ذلك لنفسه

لا تعصين شمس المعالي قابوسا فمن عصى قابوس لاقى بؤسا

ثم ولما بلغ ابو علي بن حمويه قومس منهزما عن تلك المعركة ارسل
الى نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به ليتعاضدا
على لم شعث الهزيمة وسد ما جاش من تجرأ للكشفة الذميمة
ثم اعجله الطلب عن التوقف والتلوم فاوجف نحو الري
واتاه نصر فلم يلحقه فاستوطن بسمنان وتابع كتبه الى ابي
طالب مجد الدولة رستم بن فخر الدولة مستنجدا وشارحا لما في
الخلل مجدا فتراخت المدة على استيناف امداده واقباله

معونته وانجاده ثم امده بابن بكتكين الحاجب في زهاء ستمائة
من شجعان الغلمان فقوي بهم وتكثر بمكانهم ورماه شمس المعالي
ببابي بن سعيد في رجال من الجيل وكتب الى الاصبهبذ شهريار بن
رستم لمعونته وازاحة علته فصمد صمد نصر مرخيا عنان
التحفظ ومغمضا جفون التيقظ وقد كان نصر سد الطرق
على انبائها ستر الخبر ويجالذين الكتمان على اثره فانقضت
اناقة ابي بن سعيد عليه على حين تقطع من رجاله وتفرق
من اكثر اصحابه فثنا وسنا الحرب ساعة ونصر مستعد وامره
في القراع جد ثم اضطر بابي الى الانقلاب على بارح الخيبة وقتب
الهزيمة فيمن تلاحق به وتراخى عنه من ذنابى عسكره وجرى
عليهم من القتل والاسر ما اعتد به نصر في مساعيه عند
ابي طالب فغسل به وجه حاله وجلا عليه صفحة اقباله وانهض
عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة ابي طالب في
ثلاثة آلاف رجل مددا لنصر وعقدت له الاصبهبذية على
جبل شهريار فتلقاه نصر الى دنباوند وساعده على صعوده

المقام على شبع الطعام وردّ الشجاعة على سدّ المجاعة واصاب
الآخرين تلك الضيقة فانتقلوا من الفضاء بقبر الداعي الى
جانب محمد آباد ارتفاعا فى العلوفات من جهة جناشك
فقد ادكت عليهم الامطار حتى اعوزهم الامتيار وماجت
عليهم الارض بالطوفان فتساقطت الخيام وساخت القوائم
والاقدام وعندها برز انصار شمس المعالى اهل الحقائق
من وراء الخنادق واججوا نار الوغى كضارية القشاعم
وداهية الاداقم وثبت بعضهم للبعض جلادا من مطلع الفلق
الى مسقط الشفق محكمين متون الصوارم فى شؤون الجماجم
وذوابل الصعاد فى مناحل الاكباد وزرق الذابات فى
سود المحاب حتى اذا دلت قدم العصر اتى امر الله بالنصر
فحمل الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب ثار ولا نافخ نار
واسر من عظمائهم اسفهسالار بن كودرنكج وزرهوا وحسان
بن انكلي واخو جيد بن سالار ومحمد بن وهسوذان واشتملت
المعركة على الف وثمانية رجل ممن افجعتهم الحتوف وسلختهم

على الار

على الارض السيوف وافاء الله على الجيل غنائم لا يستوعبها
بيان ولا يستبينها بنان ثم رأى قابوس ان يوعز بمدّ اواة
الجرحى والفك عن الاسرى وصرفهم ورآهم بالخلع والكرامات
والاحبية والصلات شكرا لنعمة الله فيما اولاه وابلاه
لقدرته فى تحقيق ما رجاه وانشدني ابو منصور الثعالبي
ابياتا له فى ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله فى سلك ايامه
والحق الذي اقرّه منه فى نصابه

الفتح منتظم والدهر مبتسم وملك شمس المعالى كله نعم
والعدل منبسط والحق مرتجح والشعب ملتئم والجور منعطم
الفتت مقاليدها الدنيا الى ملك ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالى وغيث المشرقين ومن به يجيء العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو البدر التمام هو الصمصام والقلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه قهرا ويرجو نداه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره كأن علياه من دنياه تنتظم
والماء من جوده المأمول منسكب والنار من باسه المرهوب تضطرم

وامتلاك حدوده ولجأ الاصبهبذ شهريار الى سارية وهلم
منوجهر بن شمس المعالي معتصرا بعقوته ومعتصما بعروته
فاصاب اهل قريتهم غلاء عم بلاؤه وشمل الكافة داؤه ووباؤه
بسط الايدي بالغارات وانتهاب ما اوعته الرعايا للازمات
من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف عن رستم بن المرزبان
لقحط الشامل والبلاء النازل فلم ينهنه الاصبهبذ عند
انقلابه ان ركض على رستم فاجلاه عنها الى الحد الذي
منحو مثلوبا ومخذولا مغلولا فصفت له ناحيته
وانحسمت عنه مذاة نصر وعاديته وكان ابو نصر
احمد بن محمود الحاجب قد الجاه بعض المحن التي دهته
الى خدمة شمس المعالي فمهد له كنفه وحكم في اصطناعه
شرفه ووالى الرغائب والصنائع اليه وملا من الاموال
يديه ونهى ركوب المطالب عليه ثم رماه في وجه نصر بن
الحسن مزاح العلة بقدر الكفاية من ذوي البسالة والنكاية
فخف اليه بجاش ثبت ووجه على الحادثات صلت واجر [illegible]

الارض جريا بكرا على يديه وعوانا على ايدي اعوانه ومدده ثم
حمل على جموعه حملة شردتهم كل مشرد وطردتهم بين اعين
البيد كل مطرد وعلقت حبالة الاسر جستان بن الراعي
وابن هندو وغيرهما من اعيان القواد واصطف على
جدالة الحرب من القتلى ما شبعت به الضباع بل سمنت
عليه الوحوش الجياع وانهزم نصر من بين يديه الى
بسنان وكان نصر على جلالة بيته وفخامة عشيرته
ورهطه مغرما بالحيف والغشم وواصفت ولايته
مدرجة الحجيج وزوار البيت العظيم وزمزم والحطيم
فشملهم غشمه في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة
والمعاملات المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة
وحبط عليه جمال تلك الجملة الموروثة ولعل عثار
الزمان به عدوى بحجيج الحجيج عنه بالاستغاثة في
حالتي الوقوف والافاضة وواصل نصر الري لمكنته
في الاستنفار والاستنهاض من صرعة العثار فمد له في

طول التطويل بانواع التعليل والتاميل
مواعيد كما لاح سراب المهمه القفر فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر
وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة اباطالب وشمس المعالي قد
تمالا على احتيال تحصيله والظفر به فساء ظنا وضاق بالامر
ذرعا ونمي اليه ان بعض قواد السلطان يمين الدولة وامين
الملة وكان يعرف بارسلان هندو بجه والي بسنان قد اوقع
بابي القسم السيمجوري واجلاه عنها الى الجنابذ فاغذ السير
اليه على مظاهرته والتحصن بمرافقته ومضافرته و
جعل يحطب في حبله ويفتل في ذروته بحيله وختله
ويزين له قصد الري معه لامتلاكها على ابي طالب ايهاما
لنقل البياتية طاعته ودخل الاهواء في متابعته
فاغتر ابو القسم بتغريره وانجر في جريره وسار الى جوار
الري فتلقاه من سرعان الكتائب من حصرهم لهوات تلك
المخارم والمسارب ولما راى ابو القسم ان الامر جد
والطريق منسد خنس وراءه عاطفا على البنان منخزلا

الى عارض الجرمان وبلغ شمس المعالي انصرافه مع نصر من وجه
الري فعد قسما بعفاريت الاكراد من كل جانب ودحرجهم
عن حدود مملكته بعذاب واصب ولما رايا ان الارض تلفظهم
يمينا وشمالا وتنفيهم جنوبا وشمالا تواترا على قصد السلطان
يمين الدولة وامين الملة مستامنين اليه ومستعديين على
الزمان بالمثول بين يديه فمثلا بحضرته وتوشحا بجمال
خدمته فاما ابو القسم فهرب على ما سبق ذكره الى ان اودعه
الحبس اسره واما نصر فاقام على الخدمة مدة الى ان امر السلطان
باقطاعه بياروجو مند طعمة له فنهض اليها وابت عليه همة القناعة
بها فلم يزل يضطرب في حبالته الى ان خدع من الري وحمل منها الى
قلعة استوناوند فحبست عليه حصيرا وساء ذلك مصيرا ووكل
شمس المعالي بعد ذلك بجوا الى القلاع فيما بين جرجان واستراباذ وما
وراءها من احاطهم احاطة الخلخال بحرمة البعد حتى افتتحها
عنوة وتمكنا ومراعاة لحقوق الاستسلام والتسليم وكيده فصفت
له مملكة الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها بما اعد

من زيد الأحقاب فيها واتفق بعد ذلك إخلاد الأصبهبذ بجبل
شهرياز إلى جانب المجانبة في طاعة شمس المعالي وادعاؤه الأمر
لنفسه اغترارا بما اجتمع له من الوفر والتف عليه من العدد
الدثر والعسكر المجر فرمي من جانب الري بأبي علي رستم بن المرزبان
خال أبي طالب في صناديد الديلم وفيهم بيستون بن تيجاسب المفوض
عليه من قبل في التظني بموالاة صاحبه قابوس فنصب له الحرب
قراعا ومصاعا وثقافا ونقافا وكان عاقبة أمره أن كسر فأسر
ونادى أبو علي رستم بن إصبهبذ بمكانه بشعار شمس المعالي لوحشة
كان استشعرها من أهل الري وأقام الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر
طاعته وشرح ما فتح الله له على يده وهاجر أبو حرب بيستون
بن تيجاسب إلى أرضه المقدسة من فناء صاحبه وولي نعمته
فانشرح صدره وقرت بالإياب عينه وطاب بالإيناس و
الإحسان عيشه ولم يتحلحل عن الحيوة حتى ملك الجبل بأسرها
إلى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالي منوجهر ابنه
فحمى من لو عاش إلى زمانه لرد عليه عواري مفاخره ورجع إليه

جلي آثاره ومآثره وانفتحت بعد ما عليه الزوبان وقابوس
بما وراها من الحدود الاستندارية فصارت ولايته نشرت
بنود العدل والإحسان وتبسم عن ثغور الأمن والأمان
وواصل شمس المعالي السلطان يمين الدولة وأمين الملة بكتبه
ورسله في عقد وثيقة يحصن بها من صروف النوائب و
يستظهر بها على وجوه المطالب وقدم بين يدي نجواه من الولايع
ما خرج من الحد والمقدار حتى تأكدت العصمة وتأربت
العقدة واشتبكت الألفة واستحكمت الثقة وصارت
جرجان وطبرستان إلى سواحل البحر وديار الديلم
والجبل بحكم الحال المتسحة كإحدى ممالكه التي يحتكم عليها آمرا
وناهيا وينبسط فيها حاضرا وباديا فلله شمس المعالي في
همة له بين المجرة مجراها وفي بحار الكرم مجراها ومرساها
فلم يسمع في شيوخ الملوك بأشرف منه همة وأوطف ديمة
وأكرم شيمة وأصدق بارقة مشيمة وأوفر عقلا وتحصيلا
وأظهر جملة وتفصيلا وأغذى للنفس بعفاف الحكمة

وأجرى للبدن بكفاف الطعمة قد فطم النفس عن ملح
الملاهي فلم يعرف اللهو ما هو ولا البطالة ما هي علما منه
بأن الملك واللهو ضدان وأن ليس لالتقائهما تدان ولقد
أحسن أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب في نصرة هذا الرأي بقوله
إذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا برج نجم اللهو والطرب
نعم ولا أحرص على إنصاف أصناف الرعية وأخذ
بأطراف العدل النصفية وأبرع في الآداب والحكم
وأجمع بين ذؤابة السيف وذلاقة القلم ورسائله موجودة
في البلاد عند الأفراد لكني أكتفي منها بلمعة من بوارق
بيانه وزهرة من حدائق إحسانه إذ كان في تصفحها ما
يغني عن التكثر في هذا المكان بها فمنها رسالة أنشأها في الترجيح
بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بعقب رسالته
القديمة وقرائنه اليتيمة وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن أصعب الأمور وأشرفها بين الجمهور هو الخروج
بالنبوة والاستعلاء على الخلق بهذه القوة لأنه تقليب
الوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعناق في قلادة
غير معهودة ومخاطبة الخلق عن الخالق خالق لا تدركه
أبصار الخلائق وقد اعتلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ذروة هذا الشرف وصار لمن سلف من الأنبياء خير
الخلف وفاز بمزية هذا الذكر العظيم وأذاق العرب لذة
النعيم ونقلهم إلى الثروة والغنى من الفقر والفاقة وأراحهم
من رعاية الجمل والناقة وليس وراء ابتغاء العلى أمد فيما
فوق السماء للسمو مصعد ثم ضبط الأمر بعد نعيه على نظامه
وإقامته في قوامه وهذا ما تولاه أبو بكر رضي الله عنه حين
ودع عمره من غير أن سلم إلى أحد أمره فقام به قيام
ثابت القلب مستقل بمقاومة الخطب غير مفكر في رد

رادٍ ولا مبالٍ بمعاداة معادٍ حتى حمى حريم الدين وجمع شمل
المسلمين ولم يرض بأن يهدم بنية الشريعة ثلم ولا أن يتغير
من أحكامها حكم فلقب خليفة رسول الله بابتدائه لحياطة دين
الله ثم تحصين حوزة الإسلام من عوارض الفساد وعادية
الأعداء والأضداد والمجاهدة في استضافة ديار المخالفين
إلى جانب الإسلام ومجامع المسلمين وهو ما أتاه عمر رضي الله
عنه لما آل إليه الأمر فإنه صرف جهده إلى الجهاد
وقصر وكده وكدّه على افتتاح البلاد حتى اتسع نطاق
هذه الملة وخضعت الرقاب لأهل هذه القبلة فلقب
أمير المؤمنين إذ كان نعم العون لرسول رب العالمين
وقد فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الأمر الأعظم
والشأن الأفخم والطفاء لهيب كل ملتهب على أعظم من أبي
لهب والثالث يسعى الشيخين شعب الأمرين الآخرين وبلغ
من الإحكام مبلغا ليس فيه مسناد ولا يبين بياض غرة
سواد ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين ممهد ومراعاة

بناء مشيد فلم يقدروا على القيام به واحتجبوا وراء الحجاب
ولما أفضت الخلافة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه كان منه ما كان
من تبديل زي النسك بزينة الملك وتغيير سيرة الأئمة من
التوسع في النعم حتى اجتنى ثمرة ما جنى وثنى به سوء ما أتى ولما عادت
إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه هاجت الرياح من كل باب
وظهرت معاداة أعداء الدين وعميت عيون أهل اليقين
وندت الأوابد وتبدلت العقائد وتحول أمر الدين تملك
المغالبة ودول القتال والمجاذبة ووقعت الخلافة في
الخلاف وبرز الشر من الغلاف وبقي علي رضي الله عنه
على اضطراب لا يهدأ وفي مداواة داء لا يبرأ مع شجاعته
المشهورة ومآثره المأثورة وانتهى آخره إلى ما انتهى حتى جرى
عليه وعلى عقبه ما جرى فلينظر إذا كان الأمر كذلك
أهؤلاء أحق بالقدح أم أولئك وقد مضى القوم وآثارهم
في الإسلام كالشمس في الاشتهار والهباء في الانتشار
وصنيعهم صائح بحي على الفلاح وليس بأيدي الخصماء

سوى الشناعة والصياح وقرأت توقيعاً له إلى بعض الأفاضل
يستقيد منه حضرته ليتوخى مسرته بحال من سمت به همته
إلى قصد من يعلو عنده قيمته أن يكون على غيره غرته ولبث
من هواه زيارته ونجحته فأما خطه فخطة الحاسن فيه إن
شئت وشيا محوكا أو تبرا مسبوكا أو درا مفصلا أو سحرا
محصلا وكان إسمعيل بن عباد إذا قرأ خطه يقول أهذا
خط قابوس أم جناح طاووس فهو كما قال المتنبي
في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء
ولكل عين قرة في قربه حتى كأن مغيبه الأقذاء

ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان والملك الخان في التواصل والتصاهر والتعاقد على التعاون والتظاهر إلى أن خلعت بهجة البشر وكثرت لعصل الشر

قد كان الملك الخان لما ملك السلطان خراسان على القدرة بالهامان
أغنتهم تطهير وراء النهر عن كل منتسب إلى تلك الأرومة ومنتسب

بشغب تلك الجرثومة فلم يدع هناك ذا ظفر إلا قلمه ولا ذا حد
إلا اجتاحه واصطلمه ثم كاتب السلطان مهنئا له بما ذخر الله
له من خالصة الملك وصافية الملك وظاهره إليه من طاهرة العز
وباطنة الصنع ومعتدا لنفسه بما قطفه من عنقود رجائه
ملاوة على صفقة إقباله وعلاوة على جماله وجلاله وتردد
السفراء بينهما في وصلة تبل رحم الحال وتؤكد أسباب المودة
والوصال وتحمي حريم الثقة في الجانبين وترفع ستر الحشمة في
ذات البين وتؤدي ذنبة الاختلاط إلى الامتزاج وقربة
الاشتباك إلى الإنتاج فتميز النفوس وإحلة والسواعد على
جموع مصالحها متساعدة وأنهض السلطان عند المامه كان
نيسابور في طلب أبي إبرهيم المنتصر أبا الطيب سهل بن محمد بن
سليمان الصعلوكي إمام أهل الحديث بها رسولا إلى الملك الخان
وضم إليه طغانجق والي سرخس في خطبة كريمته عليه ونقلها
في صحبته إليه وأصحبه ما غمد العقد والجد من سبائك العقيان
ويواقيت البهرمان وعقائل الدر والمرجان ونخوب الوشي

والجبرِ ونوادرِ الندِّ والجُخْرِ وصواني الذهب مملوّةً من نصاب
العنبرِ وأواني الفضة منضودةً بشامات الكافور وغير
ذلك من شاذات الهنود وقطاع العود وذكور الفحول
وإناث الفيول تحت حدوج مغشاة بذوات التعاريج من
ألوان الديابيج منطقة بعصابات تخطف العيون بريقها
وتضطجع على الأقتاب معالقها وعتاق صوامر كالقداح
بجدود كمتون الصفاح في مراكب كأنما حلي بعضها من قطع
عقيق أو شعل حريق وحلي سائرها نجوم الثريا والنثرة
وبنات نعش من وراء المجرة وقرن ذلك كله بأموال على
سبيل الألطاف تفرد وإتب الأوصاف فسار الإمام أبو
الطيب إلى ايلك الخان كريما يثقل لديه ويحمل من بحر الترك
إلى إيران دُرّة يتيمة فطلع على ايلك وأهل بيته طلوع النجم
غاب إيابه بعد أن طال اغترابه والحبيب لطف إعتابه
بعد أن قدم هجره واجتنابه إعظاما منهم لقدره ووفادته
عن باب السلطان في ذلك المهم من الشأن ثم لفضله في

نفسه

نفسه فهو الإمام المقدم والصدر المحتشم ومن لا يقرن إلى
ربابته ضربت له في أبواب الفضائل وخصوصا في خلال
المسائل وأقام بأوزجند إلى أن فرغ من أمر الزفاف وأزعجت
علته في الانصراف فعاد على جناح النجاح مصحوبا بمجلوبات
الترك من نفائس المعادن ونوافج المسك وفود المراكب وعبيد
الركائب وورود الوصفاء والوصائف وبيض البزاة وسود
الأوبار ونصب الخنو وإنجاز اليشب وطرائف الصين وتجدد
الحال بين السلطان وبين ايلك الخان اتحادا اشتركت فيه الذرائع
والنعم واستهم فيه الصنائع والخدم وبقيت على جملتها في التأكيد
والتأكد إلى أن نزغ الشيطان بينهما فتقلبت الظهار وانحلت القوى
والمرائر وتولى السيف تدبير ذلك الوصال فحل معقوده وفصل
مسروده وسيأتي الشرح على الوقائع التي جرت بينهما في موضعها
على الأثر فأما الآن فإني أشير إلى نبذ من محاسن هذا الشيخ
السفير والكافل في الأمر في التدبير وأتبعه بذكر رجال خراسان
من أعيان رعايا السلطان الذين لم ينتظم أضرابهم زمان واحد

في سلك فمن منثور كلامه قوله من تعذر حِلّه وانه فقد
تعذرى لهوانه يشير إلى قول منصور الفقيه الكلب أعلى همة
وهو النهاية في الخساسة ممن ينافس في الرياسة قبل أوقات
الرياسة وقوله العقل أطيب عيش والعدل أغلب جيش وقوله
إذا كان رضى الخلق معسورا لا يدرك فإن ميسوره لا يترك
وقوله إنما يحتاج إلى إخوان العشرة لمكان العسرة وقوله
من تغافل عنك مع علمه بحاجتك إلى عونه وتوفيره طلب عليك
علة إذا عاتبته على تقصيره كأنه ألم فيه بقول القائل
توقَّ الناس يابن أبي وأمي فهم تبع المخافة والرجاء
ألم تر مظهرين علي عتبا وكانوا أمس إخوان الصفاء
جنيت فقد داروا على أشد أسباب البلاء
أبت أقدارهم أن ينصروني بمال أو بجاه أو ثراء
وخافوا أن يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفاء   ولبعض أهل العصر فيه
كلام الإمام إمام الكلام وقوم يفوه بحر النظام
مزاج معانيه في نظمها مزاج المدام بماء الغمام   وله فيه

ألا أيها الشيخ الإمام ومن به تبلج أفق الدهر عن فلق البشر
لئن كنت في الدنيا وأنت وشاحها عيانا فإن الدر في صدف البحر
وإن يحوك الدنيا لا يكن دونها ولكن لنا التي يحص بالعشر
وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما صين نور العين بالجفن والشفر
ومن أعيان رعايا السلطان بنيسابور أبو نصر أحمد بن علي بن
إسماعيل الميكالي وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال
جملته فضلا موفورا وأدبا مشهورا وعزا معقودا ومالا
ممدودا وآراء كالأري مشارا وحزما كالجمر استعارا ودهاء
يسلخ الليل البهيم نهارا ونظرا يستشف أستار المضمار ويستكشف
أسرار الضمائر وشعرا يقيد البيض والجواهر ذوي المثل والعبر
رضي الموارد والمصادر فمنه قوله
بأبي العلى والمجد والإحسان والفضل والمعروف والكرم بان
ليس البناء مشيدا لك شيده مثل البناء يشاد بالإحسان
البر أكرم ما حوته حقيبة والشكر أكرم ما حوته يدان
وإذا الكريم مضى وولى عمره كفل الثناء له بعمر ثان

فأما كتابته فالبحر الجلال والعذب الزلال فهي تحكي بما تحويه
من لطف العبارة وحسن الاستعارة ومقبول الإشارة والشارة
ريا من شيئاته إلى قرانه ومن منثور كلامه رسائل منها ما كتب
به إلى شمس المعالي قابوس بن وشمكير أقرانه كتابه

بسم الله الرحمن الرحيم كتب العبد وحاله

فيما يديمه مولاه من شرف إقباله ورعاه وليفيضه عليه من ملابس
فضله ونعماه حال من يقبل عليه دنياه ويسعد في ظل دولته بأولاه
وأخراه والحمد لله رب العالمين وصل كتاب الأمير موشحا ببدائع
خطابه وغرر إيجابه وبدائع بره وإفضاله وروائع إنعامه وإشباله
فيما أكرمني به من عز السيادة والتسنية من حلل الفوز والسعادة
وشرفني به من التهنية عن العافية المستفادة فأوصل عز أبقى على
الأيام أثره ولا يخلو من الزمان ذكره ومفخره وفهمه العبد فهم
من آنس منه رشدا واقتبس من أثنائه قوة وأيدا وحمد الله شكرا
على ما أفاضه عليه من سجال السلامة ومد عليه من ظلال الفضل والكرامة
ورغب إليه في إسباغ العوارف عليه وصرف المحاذير عنه فأما ما

اهل

أهل الأمير العبد له من شريف كتابه ولطيف خطابه ورقاه
إليه من درجة السيادة أولا ومنزلة التهنية ثانيا والقاصد
القاصد ثالثا فإن ذلك من نتائج همته العالية ودواعي شيمته
الزاكية التي تحنو على أوليائه وخدمه وتعطفه على أغذياء نعمه
فليس له في مقابلة ما أولاه ومعارضة ما كافاه إلا الشكر يديمه
والنشر يقيمه والرغبة إلى الله تعالى يخلصها في إطالة بقائه وإدامة
عزه وعلائه وإنهاضه بموجب خدمته ومعرفة قدر نعمته
بمنه ورحمته هذا ولو ملك العبد في مقابلة هذه النعمة على
جلالة قدرها ونباهة خطرها وذكرها غير بذل المهجة والقربة
في الطاعة واستنفاد الوسع والطاقة غاية لبلغها تقربا إلى حقوقه
بما يقتضيها ويؤدي شرط العبودية فيها وحكم على نفسه بالعجز و
التقصير معها وإذ قد حرم المراد فما يتمسك إلا بالرغبة إلى
الله في أن يتولى من مكافاته ما لا يسمح به الأيدي ولا يفي به
الأنجد فهذا هو الكلام الذي ليس به عنا قد ولي الفضل
تحبيره وملك العقل رسمه وتصويره والقليل منه يدل على الكثير

دليل وكلام الجليل كقدره جليل كما قيل
قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل
وقد أكثر الشعراء في مدحه لكني أثبت أبياتا لأبي بكر الخوارزمي فيه من قصيدة أولها
زف المنام إلي طيف خياله لو أن طيفا كان من أبداله
ولو أن هذا الدهر يشكر لم يدع شكر الأمير وقد غدا من آله
لا ينتف الإلحاح نائله ولا سؤلا يهيبها عن إرساله
الوفر عند نواله والنيل عند سؤاله والموت عند صياله
والخلق من سؤاله والجود من عذاله والدهر من عماله
وفعاله كمقاله وشماله كيمينه ويمينه كشماله
يتجمع الآمال في أمواله فيفرق الأموال في آماله
لا عم الأعز في عزه لا حتف الآجال من حاله
وله علوم لو قيس على الورى ما زاد عاقله على جهاله
وخلائق لو أنهن كواكب أضحى الشمس في الضوء مثل هلاله
وفصول لفظ ليس أعذب منبعا من راحة المشغول من أشغاله
سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكأنما ألفاظه من ماله

وكانما

وكأنما عزماته وسيوفه في جد من خالفن من إقباله
متبسم في الخطب تحسب أنه من حسنه متلثم بفعاله
هبني وفيت بحمده عن فضله من ذا يفي بالشكر عن أفضاله
وله أيضا من قصيدة أولها
تلك الديار برامة الأحقاب صنعت بعيني صنع ساكنها بي
وإلى الأمير ابن الأمير تواهقت بزجي الركاب بزاجي الركاب
لبس الدجى لبس الغراب لريشه وغدو الحاجهم غدو غراب
والفجر يطرف في الظلام كأنه فضلات عتب في خلال عتاب
طلبوا امرأ أفعاله محبوبة ونواله فوضى بغير حجاب
عذبت المدائح وهي أسماء له ولغيره أضحت كالألقاب
والمكرمات كثيرة الخطاب إلا أنها تأبى بعل الخطاب
متبسم الحجاب مكبت العدى مثوى النديم مجانب الجناب
شيم أرق من الهوى وألذ من خطأ العدو رددته بصواب
وعزائم لو كن يوما أسهما لنفذن في الأيام غير نوابي
ما بينه الحركات إلا أنها نادية الأقدام والألباب

يخطر ان بين سياسة ورياسة ويمن بين مثوبة وعقاب
قد أصبحت ألفاظه صور النهى وقوالب الأسماع والألباب
وإذا أحللت لمحنا ناوا حد أجل المؤمل منك الأحباب

وما آل ميكال إلا كما قاله العجمان القيني

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منا سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منا حيث كان مسود يسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومما يعد من مفاخره نجيبان له أبو الفضل وأبو إبراهيم عبيد الله وإسماعيل ابنا أحمد كل منهما بدر في سمائه وعلائه وبحر في تياره ونمائه غير أن أبا الفضل أبرع في لطائف الأدب وأنظم لقلائد العرب وقد سار له من النظم والنثر ما يزري بحبر بوشي صنعاء وزهر بروض ميثاء فمن فصول كلامه قوله وصل كتاب الشيخ فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف واختلفت الألسنة في وصفه ببدائع

الأوصاف

الأوصاف فمن مدح أنه رقية الوصل وريقة النحل ومستجلى عقد النحر وعقد السحر وسمط الدر وقائل هو سلاف العنقود ونظم العقود فأما أنا فتركت التمثيل وسلكت التحصيل وقلت هو سماء فضل جادت بصوب الحكم ووشي طبع حاكه حسن القلم ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم وإيضاح وصل كتابك فكان أحسن من روض الربيع وريط الوشي الصنيع فلقيته بحلية الإحسان والإبداع وحلية النواظر والأسماع ومسن الخواطر والطباع وصيقل الأفكار والألباب وعيار المعارف والآداب واجتليت منه نمرة فضل ونتيجة مجد وثمرة عقد ولطيمة خلق وغنيمة بر يجلو صفحة العهد ويجيل قدح الأنس ويجل عن قدر الشكر كلام أعذب من فرات المطر وأعبق من فتات المسك والعنبر يزري بنور الخمائل وقد عطرتها أنفاس الشمائل ومن منثور ألفاظه أخلاقك قد أخذت من الورد عرفه ومن الند عبقه أخلاق هي المسك لولا فأرته والورد لولا مائنه والماء لولا إسراعه إلى الكدر والروض لولا حاجته إلى

المطر ووجه البدر لولا محاقه والمشتري لولا احتراقه وهو عار من العوار آمن من العثار وله الشرف اليفاع والأمر المطاع والعرض المصون والمال المضيع وله النوال السكب والرأي العضب وفيه الإباء المر والكرم العذب وهو واحد المتبرزين في المعرفة ثاني الشمس والقمر لحقني على وهن الحداثة إذ غصن شبابي غض وريق ونقل شرابي غض وريق النعمة عروس مهرها الشكر وثوب سواه النشر النعمة عندي تكتسي أطمارا وتشكي غربة وإبعادا ولي المغرور يوسف من الرغب في خلق وتجري مع الريح في طلق دارت رحى الحرب بين أعاد تباح ودماء تستباح وأجسام تطاح وأرواح تسقى بها الرماح فالسيوف للهامات دامغة والرماح في الأكباد والغة ومن نظمه قوله

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكل أجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدي صبرا على ما كواك به وقوله
ضاق ذرعي في هوى قمر ثمر القلب وما شعرا
ت أجفاني به سهدت مثرى الحسن الذي هجرا وقوله

تفرق

تفرق قلبي في هواه فعنده فريق وعندي شعبة وفريق
إذا طمعت نفسي أقول لها اصبري فإن لم يكن راح لذلك فريق وقوله
ألذ من أدمعي تجري سوابقها على جفوني هل إلى سواك بها وقوله
إن لنا في الهوى لسانا كتوما وفؤادا يخفي حريق جواه
غير أني أخاف دمعي عليه ستراه نفسي الذي ستراه وقوله
لنا صديق إن رأى مهفهفا لاطفه فإن يكن في دهرنا ذوابة لاذ به
وقوله لا تبهجن بالحياة ذائقة فكل نفس بالموت ذائقة وقوله
وكل غنى يته به غني فمرتجع بموت أو زوال
ت خلق أوى إلى الأرض طرا ليس للموت بزوي ما زوي لي

ومن أعيان رعايا السلطان بناحية طوس وإن كانت حسابا بنوداد قراره ومعتقد ضياعه وعقاره أبو جعفر محمد بن موسى بن أبي القسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا وقد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم وكتابهم والتقط محاسنهم وآدابهم فألفاظه ينابيع العلوم وأقواله طرائف

ومجالسه حدائق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم تبق
بنية خطاب ولا كرية صواب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة
ولا طرفة حكاية ولا نقرة رواية الا وهي عرضة خاطره ونهزة
ناجحه ونصب تذكره ومثال تدبره وتصوره لا تصدأ صفيحة
فكره ولا تندرس صحيفة ذكره ولا تخسف بدر معارفه ولا
ينزف بحر لطائفه ثم هو واحد خراسان من بني الاشراف
العلوية في قوة الحال وسعة المجال واتساع رقعة الصلاح
وارتفاع قدر الارتفاع واشتداد باع العز وامتداد شعاع
الجاه والقدر وقد كتبت عنه من نوادر الاخبار والاشعار
ما حكيت بعضه في كتابي الموسوم بلطائف الآداب وما اورد
الآن الا ما قاله وقيل فيه ابانة عن غرر محاسنه فمن شعره قوله
وشادن وجهه بالحسن مخطوط وخده بمداد الخال منقوط
تراه قد جمع الضدين في قرن فالخصر مختصر والردف مبسوط
لو كان ادركه لوط النبي لما نهى لنا ابدا عن مثله لوط وقوله
قد ضر غزالي هو مثلي حقيقة بلده حتى اذا بان هيم

جميل محياه وكالدعص ردفه لطيف سجاياه وليس له خصم
وقد اكثر الشعراء والادباء فيه فمن ذلك قول المتنبي
انا للسيد الشريف غلام حيث ما كان فليبلغ سلامي
واذا كنت للشريف غلاما فانا الحر والزمان غلامي وللفاضل
الهمذاني المعروف بالبديع فيه انا في اعتقادي للتشيع افصح ولكني
وان اشتغلت بهؤلاء فلست اغفل عن اوليك
يا عقد منتظم النبوة حيث تختلف الملائك
يا ابن العواطم والعواتك والترائكة الارائك
انا حائك ان لم اكن عبد العبد لوارثيك ولبعض اهل العصر
عبد البرية عبد المهرجان الى اهلا بعيد الى عيد احبيه
العيد لا لأولي يبقى الى الابد وعيدنا دائم الله لا باقيه
لا زال سيدنا في ظل دولته وظله دانيا يمشي نواليه
محكما في رقاب الانس تدركه يجني له ثمر الاقبال جانيه
ابشاره المجد والبشرى علانيه خراجه الدهر والدنيا جوابيه
ومن شعراء نيسابور الذين ذكرهم بعض اهل الفضل في ذكر آبائها ووصف

شرفها وسناها فمن ذلك قول البديع الهمذاني
دار قسمت حرامها على الاباطح والرصافة
بين المروة والنبوة والخلافة والضيافة
فيها المصاحف والمعازف والسوالف والسلافة
لا زلت يا دار الكرام مصونة عن كل آفة ولابي عبد الله الغواص
يا دار سعد قد علت شرفا فابنيت شبيهة قبله للناس
لو زود وفد او لكشف ملمة او بذل مال او اداره كاس
ومن افاضل العلوية ابو البركات علي بن الحسين بن علي بن جعفر بن
محمد وهو الملقب بمحوز بن الحسين بن علي وهو الملقب بالدباج
المدفون بجرجان ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين
العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب امير المؤمنين رضوان
الله عليهم اجمعين شعر نسب توارث كابرا عن كابر كالرمح
انبوبا على انبوب وقد جمع الله له بين ديباجتي النظم والنثر فنثره
منثور الياسمين جادتها السحائب ونظمه منظوم العقود زانتها
النحور والترائب فمن نثره فصل له احب ان تكون مكاتبتي للامير

ابقاه لم ترتج ويكرام نفترح وسانية لا ترتب ولا تجلب فلا اسومها
بادب ولا انسب اليها بسبب فعل من لا يبتدي ولا له طمع ولا يثوب
دعواه عنت ولا طمع على ان الاضطرار يعبر في وجه الاختيار
والعذر فيه مقبول عند ذوي الاخطار والاحرار ولا نهي
بحق الجوار ولقد نشر جرائد شكره واظهر محاسن النشر حيا ابن
فلا الارض ثناء والسماء دعاء وعادة الامير ان يجلي الامال
ويشترت الاحرار بالاموال فليجعل شكري ما هذ الامل محظوظا
ولا يجعله محظوظا والسلام وله ايضا رقعتي هذه وانا عائد
معود وقاصد بالزيارة مقصود اخاطب امد قابلي بما اخاطب
وكاتب اخواني بما اكاتب ساقي وندمه وادنى ذعدة تناهي
للحمى ولا انفار في الشكوى نفسي نفسان ونفسي نفسان وكان
الجون شاطري فصوله فمن خرته وحصوله فالربيع بين عيني
وخيشوني والصيف كامن بين صدري وحلقومي وما عرفت
لعلتي هذه سببا الا اني رأيت نفس الحرية مشتكية فشاركتها في
شكواها ووجدت منن للكرام والكمال متاذية فاخص منها اذاها

وقلت متمثلًا لا متمثلًا بشعر: نعود سيّدنا وسيّد غيرنا ليت التشكّي كان بالعوّاد

ثم ذكرت ما أعدّ الله تعالى للعباد من ثواب العلّة في المعاد فاستصغرت
عند ذلك ما استعظمته، وسهل مسلكي وإن استوعرته، وقلت
سمح الله بما يكفّ المنية من العلّة، وأعطى الشيخ بها أمانًا من العلّة
وأحمى عنه ناظر الزمان، ولا طرق إلى فنائه طوارق الحدثان، و
تمنيت أني واصلت عند وبي رواحي في زيارة الشيخ مشاهدًا
للحال وإقباله نحو البرء والإبلال، ولكن حيل بيني وبين الخير والنزوان،
وعلى حالتي هذه فإني أستريح إلى خبر سلامته، وأحصل بغيتي منه
منه، وله أبده الله بإعادته إلى بلدًا ومنه، ورأيه في إنجائي
به موفق إن شاء الله تعالى. ومن نظمه قوله

وأغيد سحار بألحاظ عينه يحكي حاشيته من البان أملودا
ملحت بذكراه عن الصبح ليلة أسامر والكاس والناي والعودا
نوى أنجم الجوزاء والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي

لئن كان ذنبي أني اعتللت فذلك ذنب صغير صغير
وإن كان جرمي من أجله فذنبك ظلم كبير كبير
صدودك عني صدود الحسود وصدّ سواك يسير يسير
فزرني قليلًا تجد شاكرًا الذنب القليل الكثير الكثير

وله في وصف الفقاع

فإن كنت تهوى اليوم أحلى الفقاقع فبادر إلى المثال جيد الغرائق
إلى جامع اللذات طيبًا وجودة فقي حقه طابه بصنعة حاذق
تراه على المقصود عند ملائه كزنجبة زيت تحلي المخانق
فبعض تدلى كالوشاح وبعضه منوط عليه في محل المناطق
فأنجح بقيت الخير في حاجة امرئ وفيٍّ بشرط الود غير مماذق

ومن أفاضل أضرابهم القاضي أبو القسم علي بن الحسن الداودي بهراة
وهو عندي ممن يستحق أن يقال فيه ما قاله الصاحب لبعض من كان
يواليه: لولا أن قدرة الله عندي جنس واحد لقلت إنك الفرد
وجود مثله في كماله وفضله تجاوز المستحيل، وناهز الأماني، ولحد الأنام
منثورًا ومنظومًا، وثاني الكرام معقولًا ومعلومًا ملبث الفضل خادمًا ونائبًا
على الفعل مخدومًا. فمن منثور كلامه فصل له من كتاب: وصلت ملطفة
الشيخ ملطفت بالقليل ورد ثمه وجهه بسبع الارتياح وزدته بحمد

سلامته التي يستنها عندي نسيم الجنان، والوسيلة إلى السلوان. وله
فصل: كيف لا أعتد بصنع الله لي في نحله ودّه وتفضيله عهده، وقد بلغني
الله أحاسن عزّ الإخاء، وعديم ثمن الأرداء الوفاء، وكاد لا يصدق في
وجودها رائد، ولا يظفر بها منشد ولا ناشد، وأصبحت المصافاة
مخاتلة ومخاترة، والمخالصة مكاشرة ومناجزة، وقد كان المتحابون في
الله أقل من القليل، والإخلال عليه ذو يوق الشيبة، وهو في برده
الشبيبة. وله فصل من كتاب كلاهما في مخاطبة الشيخ ما ثل الأشكال
شعاع الناظر، ووردت الفوارع مادة الغمام الماطر على المذهب الذي يذكره
علي بن الجهم في صفة الفوارة

ترد على المزن ما أسبلت على الأرض من صوب أمطارها

وله فصل: كان كل مجلس من مجالسه للأنس مرموقًا، وللازديار مشوقًا، فكان
منزولًا مطمئنًا، وموقدًا مطفئًا، وما أنشدت له من قلائد شعره وإن
كانت كالحلي متسلّا أجلّ عن الإحصاء جملة وتفصيلًا فقوله

زنا قصر الصيد بن المقل عن حقوق من لا يستقل
ولئن قل نائل ضعفاء في وداد وخلة لا تقل

أرخ سترًا على جفاء ذي هتك ستر الصديق بين بحل

وقوله

قالوا ترفق في الأمور فإنه نجح ومرى الدرّ بالإبساس
لقد رفقت فأجلبت بطائلها سعي الإيناس بالإيناس

وقوله

وأخلاق كأطراف الزجاج رفقت بهن رفقك بالزجاج
إلى أن عدن لي أبدًا أشد كذاك يكون عاقبة العلاج

وقوله في مرثية أبي سهل الحفاني

انظروا كيف تخمد الأنوار انظروا كيف تسقط الأقمار
هكذا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار
أحمد الدين والمروة والفضل أمة بينها الأقدار
مات من لم يكن لدنياه ملك بحاة ولا عليه اقتدار
هي سفرة إليه جداعًا وهو دون اقترارها فقرا

وقد وصف أبو الفتح البستي فضله في أبيات له

أبا القسم استعبدت ودي بنائل بلا من بيرك طارف
أضعفت شكري حين ضاعفت أنعمًا كذا يضعف البيت الذي المتضاعف
أيادي كانت منك فيه طرائف تقبل من أطرافها الطرف آنف

صحيفة احسان يحرسها بجود اذا ما لاحقتها الصحائف
فو اصلني منها شيات مساعد وطالعني منها زمان مساعف
واصبح دهري عادلا وهو عاسف وعادت رخاء ريحه وهي عاصف
ومن اعيان نجوم الدولة ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد
الشيرازي الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن المناقب والبحر ابن
السحاب والبدر ابن الشهاب والنار التي لا يخمد ها الماء ذكاء
والسيف الذي لا يألف القراب مضاء والسعد الذي يلي ويلي
السماء ذكاء وثناء فعطارد تلميذ افادته والمشتري مشتري سعادته
وناقب النجم عند دعائه وشارق الشمس خادم رايه وروايه خدم
ابوه ابو طاهر حسام الدولة ابا العباس تاش على ديوان اسراره فارعا
في الصناعة صيتا في البراعة محلوقا لفضل القول مرموقا بعين
القبول لا فاضل الصاحب اسمعيل بن عباد فيجري عليه قرطاس
الادب ويا جد فيلا الدلو الى عقد الكرب منصب لا المصعبي
نضاهيه ولا الموصلي يباهيه ولا القادسي يدانيه ولا البيبعي
يستعبض مساعيه بمجالس النجم النزع نثره وبنائب شعري المجرة

شعره فيما بلغني عنه قوله بحسام دولته وصاحب حبه وحجاب
سدته ابي العباس قد جمع في هذا البيت خصائص اوصافه وضم
الى واسطة المدح اقاصي اطرافه ذا الاعلى بنوة الاعجاز برهان
الاختصار والايجاز واراد الله سعادة هذا الفاضل فهذا نبج
ابيه وعداه موقف التنبيه فما نمو الاشجار على طيب التربة والماء
بين سمو القامة والفخامة لكن نمو هلال الظلم وشبوب النار
فوق العلم وصفاء الخمر مرشوما على القدم واختص بخدمة
الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج
الحجاب وناظر عين الباب فاحدراه يمينه حتى بيض الملك فضافيا
وغنى عن السواد وان كان عليه يباضا وانتقل بانتقاله عن رتبة
الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الخدمة الى يفاع الشركة
في الامارة فلم يشركه من ابناء جنسه في البلاغة اثنان وما دخل اعنى
من بني عبد المدان مدان فما وقع الي من نتيج قلمه وغر كلمه من كتاب
كاطب به بعض اخوانه لعل البعثان يطغيني ويزعم مساعدة الزمان بافاعل
الاخوان وادنى من مسند الوزارة يقلب كالحجارة لم يرزل الدراب

جلا لا للمعقود فطا عايلا واصبر والمحمود وكلا اني ما ازداد ارتفاعا
الا ازددت للصديق اتضاعا ولا انا اعلى الايام رتبة الا ازددت
الى الاخوان قربة تعتري من تصلفه الزمان ونبذه اللطان ونسيم
عهده الاخوان على اني ما نسيت عهدا ولا تناسيته وقلعتا احبه
الوفاء دون من احسنت فلست انسى عهده ولا ارضى قطيعته
وهجره اني وقد تبذلني ابادية الزهر واسترقني سطانيه العز
فما ادري له بديلا ولا املك عنه تحويلا اعاذني الله مما
يفت من صدوده ولا سلبني طيب الانس بمنه وجوده وهذا
العقد نعلى مبلغ القدرة دال والتمييز البارع من قصد الانصاف
في المدح والتفريط مجال فهولاء اعيان رعايا السلطان في
الفضل الواسع والادب الجامع وورائهم من اعلام البراعة
واحداث الصناعة من يزحف ذكرهم عن الغرض المقصود
بهذا الكتاب ولم استقر اسامي المذكورين الا لانهم بالاضافة
الى سائر اعيان البلاد افراد في ارتفاع المراتب واتساع
الحظوظ والرغائب واضطراب الصيت في الافاق وصوغ الايادي

قلائد الاعناق وسنعود الى ذكر السلطان يمين الدولة وامين الملة
ووقائعه التي رضيتها خدود الظبات وان سخطتها نفوس العداة
فنمضي كل وقعة الى وقتها ويومها ونحن نشرح حالها بقومها الى ان
نوفي الكلام حقه من الاشباع في الحروب التي جرت بين السلطان
وايلك الخان

ذكر غزوة بهاطية

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان وسكن له
ما بينهما وانجاب عنه غبار شهباء ناخ لغزوة بهاطية فجر الجحافل يسترون
بشعار الهداة النفاة ورايات الحماة الكماة حتى عبر سيحون وراء
الملتان الى مدينة بهاطية فالفاها ذات سور يرتفع عن مرام الطرف
اجنحة النسور وقد احاط بها خندق كالبحر المحيط في الغور البعيد
والعرض البسيط وهي مشحونة بمثل الوهم من عدة وعديد وحمول
من حديد وكل فيل كشيطان مريد وعظيمهم يومئذ المعروف
بجهيرا فاستخفته العزة بما حوته يده فبرز للسرور من وراء السور
مهولا باعداد رجاله واشخاص افياله ومستطاولا بانياب الافيال

في فنائه، وحضأ السلطان عليه نار الحرب ثلثة أيام بلياليها ترميه بالصواعق
من ظبي السيوف البوارق، وتقذفه بالشهب اللوامع من شبا الزجاج
الشوارع، وواصلها عليهم صبيحة الرابع بضرب يطير الحواجب عن
العيون، ويزيل القبائل عن الشؤون، ورشق يدع الأجساد
مناخل بل مناخر، وقد انفجرت جروحها وأعيت على السكر شؤونها،
حتى إذا توجت الشمس قمة النهار، أهاب بالشد على الكفار
الفجار، فتجاوبت نغم التكبير استنزالاً لنصر الله، وتنجزاً
لصادق وعد الله، وحمل أولياء الله على ذوي الإفك والشرك
حملة كشفت صفوفهم، وأرغمت بالذل أنوفهم، وأقبل السلطان
كالفحل الفنيق يضرب بالبدن، ويقد الدارع بنصفين،
ويتقي طغاة الكفر من كؤوس الحين، ومكّنه عليهم بتلك الشدة
الواحدة عدة من الفيلة التي كان يعتدها الكافر حصوناً
لقلبه، ويعدّها سكوناً لقلبه، وتمازج الفريقان في غمار
تلك الجملة من نقع يثير أدمغة الهام، وطعن ينزف
حشاشة الأجسام، وأعلى الله راية السلطان بإدالة الدين

والايمان

والايمان، وأهبّ ريح النصر رخاء، وأعاد ثلة العيش رخاء،
وولى المشركون نحو المدينة اعتصاماً بسورها وانحصاراً
في دورها، فأعجلهم الطلب عن الاحتياط، وملك عليهم
مداخل الحصار، وتعاون أفناء العسكر على ردم خنادقه
وهدم وثائقه، وتضافروا على تسنيم منابته وتفتيح
مغالقه، وقد كان بجهرا حين علت مراجل الحرب،
واختلفت مناجل الطعن والضرب، أحس بالهون والعطب
وشام برق الويل والحرب، فاندس في عصابة من دجالة رجاله الأحبار
بنقض الغياض والإسناد إلى شعف بعض تلك الجبال، فسرّب السلطان
كوكبة من خواصه في طلبهم فأحاطوا بهم إحاطة الأزرار بالأعناق و
علوا بهم حدود البواتر الرقاق، فلما رأى بجهرا ما دهاه عمد إلى
خنجر في خصره فهتك به حجاب صدره، وانتقل إلى نار الله الموقدة
التي تطلع على الأفئدة، جزاء لمن كان كفر وتولى، وخلد الأولى
ولا صام ولا صلى ولا ينجح نية الأمل نعم وأقبل عسكر السلطان
فقتلوا المقاتلة، وغنموا الأموال الحاصلة، وحصل للسلطان مائة وعشرون

زاناً من الفيلة بما يضاهيها من ذخائر الأموال والأسلحة، مثلاً خرّ على
غير منابه، ومثلاً تطفل على حقه حلائله، وأقام بها طيبة إلى أن طهرها
من أنجاس أولياء الأرجاس وأدناس أولياء الأنكاس، ونصب بها
من يعلم حملة الدين سنن الإسلام، ويبين لهم طرق الحلال والحرام،
ثم كرّ إلى غزنة موفور العلاء منصور اللواء عالي الراية عالي الجد
على خط الاستواء، إلا أنه ذاق منصرفه هوامي أمطار وطوامي
أنهار، وقوارح جبال، وقوارع أضداد وأقتال، فاستغرق الغرق
جل أثقاله، وشمل التفرق جملة من رجاله، ووقاه الله آفة
تلك المتالف ومهالك تلك المسالك، وهو متولي الصالحين، وقد كان
أبو الفتح البستي يكره حركات السلطان بنفسه في تلك المقاصد
برأي يستنبطه من عطارد، وحقاً لقد كان يقول ما تشهد به
العقول، ولكن إذا جاء القدر والسيف الحسام والبطش والإقدام
فقد سقط الكلام، وبطلت الصحائف والأقلام، وأنشدني أبو الفتح
البستي لنفسه في هذا الباب

ألا أبلغ السلطان عني نصيحة نصحتها ودّاً ورأي محنك

تجاوزت أوج الشمس جزءاً أو رفعة وذلك شأو لم ينله مليكه
فأجرّكات منعيات تدبيرها، لأن أوج الشمس لا يحركه
وهذه مسألة تنازعها الأوائل فمنهم من يجعل لأوج الشمس حركة
كحركات الأوجات، فأما المحققون فقد أثبتوه بمذاهب
هندسية وأشكال برهانية.

ذكر غزوة المولتان

قد كان بلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة حال والي الملتان
أبي الفتوح في خبث نحلته، ودخل دخلته، وقبح اعتقاده،
وقبح إلحاده، ودعائه إلى مثل رأيه أهل بلاده، فأنف للدين
من مقارّته على فظاعة أمره وشناعة أثره، واستخار الله الجار
في قصده لاستتابته، وتقديم حكم الله في الإيقاع به، وأمر بجمع
الأطراف وكفّ الذيول وجمع الخيول إلى الخيول، وضمّ إليه من
مطوعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل، وأكرمهم بإحدى
الحسنيين في الأزل، وسار بهم نحو الملتان عند موج الربيع بسيول
الأنواء، وسيح الأنهار بفضول الأنداء، وامتلاء سيحون وأخواتها
على كلالها، واستصعاب متونها على أصحابها، فطلب السلطان إلى

أنداد عظيم الهند أن يطرق له في مملكته إلى مقصده فتمنع
وتمرد وأخذته العزة بالإثم فأبى تنفذه ورأى السلطان غرة
الرأي بإدهمة ذلك الخطب أن يبدأ به على غرة جانبه ومدارك
حليفه فيبيح حريمه ويمزق لفقه وليقفه جامعا بين غزوتين
ونا طفا حتى الحين فسلط عليه أيدي القتل والإثخان والنهب
والإرهاق والهدم والإحراق بلجية من عسقلان مضيق
وشعبه من طريق إلى طريق فأوبا عليه بلاده في البحار بحضر موت
دودا إلى أن فجرت القناص هتك حلق الدروع وسكرت
الظبي من رشف علق الأحشاء والضلوع وركب أمه في أقوال
دياره وأعماق رباعه بحس دمات السهول وقنن الآكام
ويقري عليه وحوش الجو بين ضيق المداخل ووعر المفاوز
حتى أضرمه نواحي قنّوج ولما سمع أبو الفتوح والي مولتان بما جرى
من أمر عظيم الهند وهو الوجيه الرفيع والسيد المنيع والسيف
الصنيع قاس باعه بشبره وذراعه بفتره وأيقن أن رعل
الجبال لأثقال هضبات الطور وزرق البزاة لأتناك

بغاث الطيور فتحمل بنقل أمواله على ظهور فيلته إلى سرنديب
وأخلى المولتان للسلطان يفعل فيها ما يشاء فنمي إليه أن أهلها
متشيعا بالله على من يحدث في دينه أو جذب بتوهينه فإذا
أهلهم في ضلالهم يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون
ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون
فضرب عليهم بجران المحاصرة وكلكل المناجزة والمناحرة جزاء
للغلاصم وتبكا للأيدي من المعاصم وأزمادا لهم بالقاقرات
القواصم حتى فتحها عنوة وفتحها عقابا وسطوة وألزمهم عشرين
ألف ألف درهم يرحضون بها دنس استعصابهم ويذرأون
عن أنفسهم محنة استشرائهم وإبائهم وعبر ذكر ما آتاه الله
تعالى من نصرة الدين وإنارة معالم اليقين عرض البحر إلى
دبارات مصر حتى درست بها مقاماته التي لم يروا مثلها عن
ذي القرنين إلى حيث انتهى من أمر السديم فأذعنت فرائص
الهند وأخواتها حذار بطشه وانتقامه وخفقت بها أحوال الإلحاد
وطمست صوى البغي والعناد ولله أبو تمام حيث يقول

كم تعرضت ناك بالأمس والخيل دقاق والخطب فيه دقيق
حين لا جلدة السماء بخضراء ولا وجه شمسه بطليق
إن أيامك الحسان من الروم لجمر الصبوح جمر الغبوق
معلمات كأنها بالدم المهراق أيام البجح والتشريق

ذكر غدر عسكر ايلك الخان بخراسان

قد كانت الحال في الألفة قائمة بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة
وبين ايلك الخان إلى أن دبت عقارب الفساد في ذات البين
فاضطرب الحبل الساكن واشتعل الجمر الخامد وداعي ايلك فرصة
التجاهر بسر المكاشرة حتى إذا صمد السلطان صمد المولتان
وغارت بنحو تلك البلاد راياته وخفت عن أعيان بحاله
ولايته سرب سباشي تكين صاحب جيشه وأجدفر إبانة إلى
كوردخراسان بمعظم أجناده وبمحن لح بحعفر تكين وعدة من
قواده وكان والي طوس أرسلان الجاذب مقيما بهراة مأمورا
بالانحياز إلى غزنة متى نجم ناجم بعناد أو نعق ناعق بفساد
فانسرح الانقلات إليها آخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال وترفضا

بالجملة غاية الفصال وورد سباشي تكين هراة فاستوطنها وندب
الحسين بن نصر لحماية الديوان بنيسابور فرتب الأعمال وواصل
الاستخراج ومال إليهم كثير من أعيان خراسان لاستخفاء خبر
السلطان من جانب مولتان وتناقل الألسنة أهواء القلوب
وتوازع الظنون أخابيث زور وأراجيف غرور وأمر الوزير
أبو العباس الفضل بن أحمد بالاحتياط على الطرف بين غزنة
وجدود بأميان ويجهد وسدها بحماة الرجال على حصانة
مداخلها وصعوبة مراكبها وطير النذر إلى السلطان بما انبث في
أطراف البلاد من حيات العداة وعقارب الغواة فأعجلته
بديهة البلاغ عن استتمامه وأزعجت غلبة الحمية عن مقامه
فركب ذلول العاصف الكاث الجامح البارق بطوى الأرض طي
المهارق بين إنصاع وإلحاف وإجداد وإعتساف وبين صهوب
وظراب وسهوب وشعاب حتى ألقى عصا القرار بغزنة وأقام العطاء
لأبناء دولته وأنشاء جملته وملأ أيديهم بالعطايا والرغائب وأزاح
عللهم في المطايا والركائب واستنفر الأتراك الخلجية أحلاس الظهور

وأبناء الصوارم الذكور فنفر منهم حتى على حين وإن كانوا بشرًا
كأنما خيطوا عليها بالإبر وحاش بهم نحو بلخ وبها جعفرتكين فأسرع
الكرّ إلى ترمذ إشفاقًا من صدمة الضيغم الخادر وإحجامًا من
وثبة الأرقم الثائر واستقر السلطان ببلخ موفور الأنس والجذل
كما تحلّى صفحة الشمس من برج الحمل وأمر بإتباع سباشي تكين
أرسلان الجاذب في زهاء عشرة آلاف من أبناء الكفاح ومبيحة
الأرواح بأشطان الرماح وسارع سباشي تكين نحو الوادي
للعبور فلم يرعه إلا العاديات ضوابح والموريات قوادح فكرّ
على أدراجه جائرًا حائرًا وعطف إلى مرو على أن يخرج منها إلى
الشط على سمت المفازة فإذا الآبار مردومة والمناهل مطموسة
ووديقة الصيف مسبوعة وأذيال السوافي على المعالم مجرورة
فانثنى إلى سرخس وبها الحسن بن طاق رئيس الأكراد العزيزة
فأحدق به إحداقًا سدّ عليه باب الهرب وضيّق دونه وجه
المجال والمضطرب فمانعه ما قدر ثم ظفر به سباشي تكين فقدّ
نصفين بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة من الجانبين وأعجله

ارتداد

ارتداد أرسلان الجاذب إياه عن فضل المقام وروح الاستجمام
فارتحل إلى أبيورد ومنها إلى نسا وبينها مرحلة واحدة كلما مدّ زهدًا
وردّ ذاك ومتى ظعن ذاك أناخ هذا إشفاقًا من امتداد الطلب
والهرب جماحًا ولا يرد إلى الميثاء إلا إلمامًا وقد كان سباشي تكين
قد حصل صدرًا من المال والأسلحة من نواحي هراة وغيرها فصارت
عقلة له دون الخفوف في وجه النجاة فهو يساس مرة ويساسر أخرى
مثلوثًا على رأسه خوف الطارق من إلمام ما زردت به بداءه وأعباء
الكلام يحثّ أنفاسه النفس آخرًا إلا إفراغ عن جملة وتفريغ الخاطر
عن الشغل به ولما قرب أرسلان الجاذب من نسا رحل عنها متوجهًا
نحو بيئار وأزعجه الطلب نحو جرجان فركب قلل تلك الجبال بين
الآجام الملتفة والغياض المختنقة والمحارق الضيقة والمخارم
المضطربة وتسلط الدأبة على أثقاله وأفناء رجاله حتى فشت المأتم
فيهم واستأمن إلى شمس المعالي قابوس طوائف من أهل جملته لعدم
المد الحب وذهاب الحرائب وانقل هو على سمت دهستان حتى عاد
إلى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الأثقال فأمدّها إلى خوارزم شاه

علي بن مأمون وليث اليه يستودعه ايّاها أمانة لا ليكن الخان
وحذره ان يمدّ اليها يغير الصيانة يدا وأصحبها رجاله حشكم
والعجزة منهم عن صحبته واقتحم المفازة متوجهاً بجوّ مرو وكان
السلطان قد انحدر الى طوس مراعياً ما يسفر عنه ركض ارسلان
الجاذب على اثره وانضافه الطلب الحثيث به فلما لمعه ركوب
سباشي تكين عرض المفازة اسرى على طريق مرو مقارضاً له في
مسيره وناقضاً عليه قوي تدبيره فوصل اليها بمخلصه عن وعثاء
تلك البيداء فرماه بابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي زعيم
العرب وسائس قواده رجال يرون الملاحم ولائم والوقائع
نقائع وسيوف الضراب عرائس وصفوف الكماة فرائس
فكان كما قال سعيد بن حسان ن ب ت
فررت من معن وإفلاسه الى اليزيدي ابي واقد
فكنت كالساعي الى مثعب موائلا من سبل الراعد
واحاطت به السيوف حيث لا ماء الا منابع الافواه وهي غاصة ولا
مرعى الا اشكائم اللجم وهي غاصة واسر اخو سباشي تكين في زهاء سبع

مائة من وجوه الامراد ونوب القواد وامر السلطان بقراخوليا بهم
فافترعت قود الكعابهم وجوامع لرقابهم وحملهم الى غزنة ليري اهلها
حسن صنع الله بمن نابذه ونقض عهده وميثاقه وتحاسب باشي تكين
في خف من العدد بجريعة الذقن فعبر جيحون الى ايلك وقد كان
ايلك عند جعفر تكين في زهاء ستة آلاف رجل الى بلخ ايذانا بالاستنفار
بحركة السلطان في قصد سباشي تكين واخراجه فتهاون بهم حتى فرغ
الخاطر من امره ووضع ما انقضه من الثقل به عن ظهره ثم ثنى العنان
اليهم سنداً اغص الهواء بغباره واستغرق اوقات ليله ونهاره فلم
يدعهم الا ريثما بجحجحة النجاح فائز وحصوله في صهيل السراح
سائرة ولكن هم السلطان فما رأوا الجيش انقلوا منهزمين يحثون
دعوة الخلاص بآمين آمين وتبعهم صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن
سبكتكين على ساحل جيحون كاسعاً لادبارهم ومنحيا في غادرهم الى ان
عبروه فسلمت خراسان من عيث سوادهم وخلت عن مبثوث
جرادهم واضطرب ايلك حنقاً لما جرى على عسكره من الصفقة الغبينة
والصدمة المبيرة فاستعان بقدرخان بن بغراخان لقرابة بينهما

وكيده وحيلته وشيحته واستنجع بحقي مسألته إلى ثاره مستظهرا
بنصرته وإظهاره فاستجاش أحياء الترك من مظانها وحشر
بني خاقان من أقصى بلادها واستنفر دهاقين ما وراء النهر
في جيوش تجل عن الحد والحصر وسار في خمسين ألفا أو يزيدون
حتى عبر جيحون مدلا بعسكره المائج وبطشه الهائج ومعتضدا
بقدرخان ملك الختن ذي العدد والعديد والبأس الشديد
والأيد المكين والبسط والتمكين في رجال كالبخاتي الفوالج
فوق البحور المواج عراض الوجوه خزر العيون فطس الأنوف
خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من حلق الدروع
يحملون جعابا كالحطيم القسول محشوة بنبال كأنياب الغول ولما
سمع السلطان بعبوره في جمهوره وهو إذ ذاك بطخارستان سبقه
إلى بلخ فاستوطنها فأطمع عنها طمعه وما لكا عليه ثمانه ومنجعه
واستعد للحرب فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج
والأفغانية والغزنوية أبناء الجد والصدق وأبناء الرشق
والمشتى إلى معسكره على أربعة فراسخ من البلد يعرف بقنطرة

جرخيان

جرخيان وسيح المجال على الرجال رحب الفضاء على الدهماء و
زحف إيلك إلى محاذاته في عدده الدثم وعسكره المجر
فطارد الفرسان وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم
الطلائع أمام الوقائع إلى أن كفهم حاجز الليل وأصبح الناس على
ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات
والبحار الزاخرات ورتب في القلب أخاه صاحب الجيش
نصرا ووالي الجوزجان أبا نصر أحمد بن محمد الفريغوني
وأبا عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي في كماة الأكراد والعرب
وسائر جماهير الهنود ومساعير الجنود ورتب في الميمنة
حاجبه الكبير أبا سعيد التون تاش فيمن ضمه من أعيان
الرجال وفرسان الزحف والقتال وندب للميسرة أرسلان
الجاذب فيمن تحت قيادته من نجوم الأبطال ورجوم القتال
وحصن الصفوف بخمسمائة من فيلته التي تميد الجبال
من أثقالها وترجح لها الأرض بزلزالها وأقبل إيلك فجعل قلبه
بخواص غلمانه وأعلام فرسانه وولى قدرخان ميمنته في

أنزاك الحتف بين آجام العوامل والجنن وتسحن بجعفر كين مبيرنه
في كل النبس كالنجاج المحرج والحسام المرهف بين وقايات
الزغف والحجف ويحامل بعضهم على بعض فحلت المعركة سماء
غمامها نشاز القسطل وبروقها بروق البيض والأسل ورعودها
صليل السلاح ورشاشها صبيب الجراح واستنزل إليك عن صهوات
الخيول إلى صعيد الأرض زهاء ألف غلام يفلقون الشعور انصافا
وينصفون وما بط الأهداب أهدافا فتكوا بالنبال تجافيف
الفيول وشقوا بالنصال سرابيل الخيول ولما جد الأمر واحتد
الجمر وأعضل الداء واستفحل الأعداء وزخر وادي الخطب
بمده وكاد يخرج بادي الشر عن حده نزل السلطان إلى صعيد
دنوع كان يسترها بتديه عطفات الحرب وتلافى نزقات ذلك
المركب الصعب فوضع لله خده وعفر شعره وأرسل دمعه وقدم
نذره ودعا الله أن يحرس ملكه ويحسن فلجه ونصره ثم وثب
إلى قعدته من فيلته المقبلة فحمل بها وبسائر خاصته على قلب
إيلك فأهوى الفيل إلى صاحب رايته فاختطفه بها من سرجه ورمى

به في الهواء من فوقه وتحلل الآخرين حطما بخرطومه وشكا بأنيابه
ودوسا بأظلافه وأنال أولياء السلطان على الآخرين بسيوف
تلمع في الدماء وترشف أحساء الأحشاء فطارت قلوبهم هواء
واستحالت قوائمهم هباء وولوا على أعقابهم نافرين وتبعهم الطلب
بظباة القضب والقهر إلى أن لفظتهم خراسان إلى ما وراء النهر
ولقد أحسن السلامي في قوله فكأنما وصف حاله ومدح آثاره وأفعاله

يا سيف دين الله ما أرمى العدى لو أن سيفك مثل عدلك يعدل
ما إن سننت لهم سنانا في الوغى إلا أطل عليه منهم أبطل
والروض من زهر النجوم مضرج والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوب بالنسور مطرز والأرض فرش بالجياد مخمل
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي بين القوادم أجدل ومجدل
وسطور خيلك إنما ألفاتها سمر تنقط بالدماء وتشكل

نعم وامتدح السلطان عند ذلك أبو القسم الحسن بن عبد الله
المستوفي بقصيدة أولها

ظهر الحق ثابت الأركان صاعد النجم عالي البنيان

وهوى للردى ذوو النكث والبغي وأهل الضلالة الطغيان

ما الذي غركم بمحمود المحمود إنجازه بكل لسان

بأبي القسم المعظم ظل الله في الأرض صفوة المنان

من مناويه نهزة للمنايا غرض للحتوف والأحزان

ملك فات من مضى من ملوك الأرض لفظاً وجاء عن المعاني

فخر المشرقان بالحظ منه فاستطالا فاشتاقه المغربان

أجمعتم بأنه ملك الأملاك طراً وتاج هذا الزمان

جمع الله فيه وهو فريد عالماً للكمال في جثمان

سيفه والمنون طرفا رهان نحو حلق العدو يبتدران

خذ يميني بأن سيخضع حقاً لليميني كل سيف يمان

لو عصاه خرج يمين اليمينية ظلت تحك في السندان

إنما سيفه شبيه عصا موسى بن عمران صاحب الثعبان

وقد اجوليا تكم لبذ سحر فإذا جاءت العصا فهو فان

ملك وهو في الحقيقة عندي ملك صيغ صيغة الإنسان

ملك عادل قوي ضعيف وأخوه في حكمه سيان

أخذ

أخذ الهند باليماني ويحوي يمناً إن أراد بالهندوان

غاب عن غزنة العزيزة لغزو الهند مستنفراً لأرضى الرحمن

فسبى واستباح واجتاح منهم وأحل النكال بالأوثان

وانثنى قافلاً وقد ملأ الأيدي نهباً وفاز بالرضوان

فسطا بأسه بطاغية الترك وأهل الشقاق والعصيان

طلعت راية له فتولوا كالعباديد ثلة من ضان

كم قتيل وكم جريح وغرقى وأسير في القد ذي رسفان

طار أيدي سبا حسابكم ظنوا أنهم ملكوا على البلدان

خطبوا الملك فاعترتهم خطوب جرعتهم مرارة الخطبان

فهم أرزم في الصحون الوقت والوقت بهم في جرجان

وبهم وفي القفار إلى جيحون قتلى مآكل الحيتان

جزر للسباع في كل فج طعم للنسور والعقبان

بارك الله ربنا في خميس دعناحس القضبان

وكتب أبو الفضل الهمذاني إلى الشيخ الوزير أبي العباس معاوداً اللعبة

آخرها في الجنبة لقد أنصف من رأى القارة وحجا السيف ما قال ابن حاره

ثم لا أرقة بعدها للشرك ولا مجثم بعدها للملك لقد كان السلطان
إذ عفّر لله شعره وعرّض على الله فقره وفوّض إلى الله أمره
وأخلص لله نذره وناهض بالله خصمه وسأل الله حوله ولم يحجبه
كثرة الملأ حوله سدّد الله بذلك أزره وقوّى أمره وأعز نصره وأقطعه
عصمة وأطعمه ملكه وأورثه أرضه إن الظفر بأسبابه والتوفيق
يأتي الأمر من بابه وله فصل منه أيها الجلاد ثم الجلاد ما لكم
لا يحبطنكم شيء إن كتب الله ليغلبن السلطان ورأى إن السيف
أمامك وخلفك إن الموت قدامك
وأرهقك أن ترى ثم نوحة ليس فيها حجم إن المغازي قد عادت
تحاذي الأرب رب نفس نادم ورب شوط طالم ورب عثور إلى حول
ورب طمع يهدي إلى طبع ألا إن هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة
ماءها وعلى السنة دماءها وعلى النفوس دماءها وعلى الأموال
نماءها وعلى الحرم عظامها أعاد الله به البلاد خلقا جديدا وأنشأ الناس
نشأة جديدا وعقد الملك عقدا طريفا فأولى بومه أن يحلّ عيدا
ويحمل في المشعر ما به يحاجديدا وليس العقد مع الله بأنشوطة

فاوفوا

فأوفوا الله عهده كما صدقكم وعده وأبيا عهده عند السلطان
أن يحسن النظر وعنده عند الشيخ الجليل أن يحسن المحضر ومراة
من البلاد شيعة هذه الدولة وعبيدها فإن حطّ عن حملها
العلاوة وأزيل عن عترتها الإتاوة فلله هذا النظر ما أحلى ثمرة
وأكرم آثاره ولما وضعت هذه الحرب أوزارها وأفاضت غرة
النصر أنوارها سنح للسلطان أن يلج أعنته إلى جانب الهند
للإيقاع بالمعروف بنواسه شاه أحد أولاد ملوك الهند كان
نصّبه ببعض ما افتتحه من ممالكهم خلافة على سدّ ثغورها
وتحصين أطرافها وحدودها إذ كان قد استحوذ عليه الشيطان
فارتد لحافرة الشرك وانسلخ عن جلدة الإسلام ووالى دعاة
الكفار على خلع ربقة الدين والانفصام عن عروة الحبل المتين
فحث من فوره إليه وصبّ سيوفا تقطر من دماء مخالفيه عليه
وكفّا بادرا أقوالج الرياح واختصرا أوقات الإظلام والإصباح
حتى نفاه عن مثواه وملك عليه جملة ما حواه وأعاد إلى ملك
الإيقاع بحجة ملكه وسلطانه وحصد نجوم الشرك عنها بمجاري سيفه

وبيانه فذلك برهانان من ربك في إعلاء دولته وإشاعة
دعوته وإعزاز نصرته وإفلاج حجته ويسّر الله له الانقلاب
إلى غزنة مظاهرا بين نصرين يتجاذبان فخامة وجلالة ويتباريان
نباهة وجزالة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم

ذكر فتح قلعة بهيم نغر

قد كان السلطان بعد أن فتح الفتحين وامتدح النجحين عرج
على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر الله على النعم المتاحة فأقام
بها شاحذا لعزيمته لغزوة أخرى يرتفع بها حدود الإسلام و
تنعفر بها خدود الأصنام وتنكس عندها رايات الشيطان
في رجل للغواية شديد وحبل للضلالة مديد إذ كان بعد همته
يسومه خلاف الطباع البشرية في استخشان المضجع الوثير و
استحباب الشوك على الوثير واختيار فرع الأسنة العوالي على
لثم المثالث والمثاني وترجيح خدود البيض القواضب على خدود
البيض الكواعب كل ذلك لجد يبتغيه وصيت يقتنيه وحظ يحويه
وسعي يتقرب إلى الله به وفيه حتى إذا انسلخ شهر ربيع الآخر

من السنة المذكورة استخار الله في إتمام ما رامه واسترجاع ما
نوى لجامه وسار متوكلا على الله الذي طالما أطعمه نصره وعرّفه
صنعه حتى إذا انتهى المسير به إلى شط ويهند لاقاه برهمن بال
بن انديال في جيوش تجيش بسود الرجال وبيض الصفاح
وزرق الأسنة وسمر الرماح وزهر الدروع وذكن الفيول
وافترت الحرب عن أنيابها العصل وتوالت الحملات كما تهاوى
لوامع النجوم وتترامى قوارع النجب ودارت رحا الطعن والضرب
طاحنة كل ندب مجاح وقرم مطاع وامتدت الوقعة من ضحوة
النهار إلى كهولة الطفل حتى اكتست الأرض لون الشقائق
من دماء الطلى والعواتق وكادت تدور للكفار دائرة لولا أن
الله أعان السلطان على حمله في خواص غلمانه كسعت أدبارهم وحجب
عن مقامهم آثارهم فأخنتهم تلا بين فلا كما تخاض الغمور بل كأمواج
البحور واقتحم أولياؤه يحسونهم أي يقتلونهم من بطون الأودية
والشعاب وظهور الفيافي والهضاب واقتفى السلطان بنفسه
أثرهم من تلك المهارب متنجزا وعد الله في نصرة دينه وقتل كل ذي

نفاق وشقاق جبنه فأفضى به الطلب إلى بهيم نغر أحصن قلعة
بنيت على حرف طود رفيع على ماء منيع وقد كان ملوك الهند
وأعيان أهلها وجماعات النساك من ذوي الأملاك بها يدخرونها
مخزنة للصنم الأعظم فينقلون إليها قرنا بعد قرن من أنواع
الذخائر وأعلاق الجواهر ما يخف أوزانه ويثقل عند السوم
قيمه وأثمانه عبادة بزعمهم لما يفيدهم الحسنى ويقربهم إلى الله
زلفى فصادف السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة الأحقاب ما
لا تقله ظهور الأجمال ولا تسعه أوعية الأجمال ولا تحصيه أيدي
الكتاب ولا يدركه فكر الحساب فحشر عليها جنوده وضرب
حواليها بنوده وابتدر القتال مستحفظها بقلب جريء وأنف
حمي وحزم ذكي وبطش قوي ورأي بالصواب وري ولما رأى
القوم غصص تلك الشعاب بمغاوير الجنود وتطاير النبال
مثل كسر الوقود استفزهم الرعب والوجل ولوى بأحلامهم
الخوف والوهل فحلت أبصارهم تلك الرتوق فتوقا وهاتيك السدود
فروجا والسلوك فتوقا ومحنتهم دولة السلطان ففتتهم كلاب الإدبار

والخذلان

والخذلان وأعينهم وجوه الأمن إلا من جانب الإستئمان فنادوا
جميعا بشعار السلطان وفتحوا باب القلعة وجعلوا يتساقطون
إلى الأرض للأمان كالعصافير أحرجتها البواشق والغيوث
جادتها الغيوم البوارق وفتح الله تلك القلعة على السلطان
فتحا يسيرا وآتاه من لدنه صنعا كبيرا وأغنمه ملء مقترح النفوس
من بنات المعادن والبحور وذخائر القمم والنحور ودخلها
في والي الجوزجان أبي نصر الفريغوني وكابر خواصه وكل حاجبيه
الكبيرين ألتون تاش وأسغ تكين بخزائن العين والورق وسائر ذوات
الأخطار والقيم وتوكل بنفسه بخزانة الجواهر فنقل منها ما أقلته
ظهور رجاله واستحمل سائرها أعيان رجاله فكان مبلغ المنقول
من الورق سبعين ألف ألف درهم شاهية ومن الذهبيات
والفضيات سبع مائة ألف وأربع مائة من وزنا ومن أصناف
الثياب الششترية والديابج السوسية ما أطبق مشايخ الزمان
والطاعنين في الأسنان أنه لا عهد لهم بأمثالها صنعة ونفوقا
وتزيينا وتلطيفا وفي جملة الموجود بيت من الفضة البيضاء كفاء

بيوت الأغنياء، طوقا ملونة ذراعها في عرض خمسة عشر ذراعا
صفائح مضروبة مهيأة للطي والنشر والنصب والحط، وشراع من
ديباج الروم أربعون ذراعا في عرض عشرين ذراعا بقائمتين
من ذهب، وأخريين من سبيكة فضة، ووكل السلطان بتلك القلعة
من ثقاته من يراعيها، ويؤدي أمانة الاستحفاظ فيها، وكر عائدا
إلى غزنة في ضمان النصر والإظهار، ووزان اليمن واليسار، فلما حصل
عاد فيها أمر بساحة داره، ففرشت بتلك الجواهر، فمن
درر كالنجوم الثواقب، قد جلبت عن الأيدي الثواقب، ومن يواقيت
كالجمر قبل الخمود، والجمر بعد الجمود، ومن زبرجد كأطراف الآس
نضارة، وورق الأقحوان غضاضة، ومن قطع الماس كأنا فلق
الرمان في المقادير والأوزان، واجتمعت وفود الأطراف على
إدراك ما لم يروا في كتب الأولين اجتماع مثله لأحد من صناديد
الفرس، وملوك العجم والروم، وحضر ذلك المشهد رسل طغانخان
ملك الترك، فرأوا ما لم تر العيون، ولم يبلغه الظنون،
ولم يملكه قارون، صنع الله الذي أمره إذا أراد شيئا أن يقول

له كن

له كن فيكون

ذكر آل فريغون

قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون أيام آل سامان يتوارثونها
كابرا عن كابر، ويومي بها أول إلى آخر، أشراف النفوس والهمم،
كرام الأخلاق والشيم، وطاء الأكناف لمنتجع الأطراف، خطاب
الرجال لوفود الآمال، دأبهم إجلال قدر الآداب، ورفع درجات
الكتاب، وافتراض حقوق الأحرار، وإغلاء أسعار الأشعار، فكم
من غريب آواه إحسانهم، ومن أديب أغناه سلطانهم، ومن
كسير جبره إنصافهم، ومن حسيب أنهضه عطفهم وألطافهم، وكان
الأمير أبو الحارث أحمد بن محمد الفريغوني غرة تلك الدولة
وإنسان تلك المقلة، وجمال تلك الحلة، وطراز تلك الحلة، بما أوتي
من كرم خصيب، وكنف رحيب، وشرف رغيب، ومرتقى همة بعيد
ومستقى نائل قريب، وقد كان الأمير سبكتكين خطب
إليه كريمته على السلطان، ثم أوجب لولده أبي نصر أحمد بن محمد
كريمة له، فانتسجت اللحمة، واستحكمت العصمة، وتحكمت الوثائق
الأواصر والعلائق، ولما مضى أبو الحارث لسبيله ورثه أبو نصر

أبيه فأوجب السلطان إقراري على ولايته إشادة بفضل رعايته
وعنايته إلى أن قضى نحبه في شهور سنة إحدى وأربعمائة
وأقرأني أبو الفضل الهمذاني المعروف بالبديع كتابا إليه جعله
مقدمة الوفود عليه فنال به من رغائب الأيادي ما ملأ يديه
وهو كتابي والبحر وإن لم أره فقد سمعت خبره والليث وإن
لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل وإن لم ألقه
فقد لقيني صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى
أكثره وما زلت أيد الله الأمير أسمع بهذا البيت القديم بناؤه
الفسيح فناؤه الرحيب أفناؤه الكريم أبناؤه وأنشد من حلول
الحضرة ضالتي والعوائق يمنة ويسرة تربي حسرة والزمن العثور
يقعدني وينور فكم من عام عزمت وأبت المقادير ونويت وعرضت
المعاذير والآن لما وقفت لهذه الدولة اختلفت على أجناد الملك
العادل بمستقر واختلفت باختلافها مرة في قوس الطريق
ومرة في وتر على اقتفاء أثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس
إلى الشيطان بتقدير مقدر أني أقصد هذه الحضرة طامعا في نوال

أو طامحا

أو طامحا إلى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني
عن درك الحظ من طلعته ولم أبعد ما ألقاه في خلدي أن يكون
وكلا ما يدن الله الظنون أن تتصرف في قصدي إلا إلى معرفة
أو تبها أو خدمة أوردها أو مدحة أسمعها أو رجعة أسر عرها
ثم أدخر هذه الدولة لمملكة أغصبها أو ولاية أنصبها أو كتيبة أغلبها
أو دولة أقلبها فأما الدرهم والدينار فدفعها إلي ونزعها من يدي
سواء لدي لا أشكر واهبها ولا أشكو سالبها إن لي في القناعة
وما وفي الصناعة نجحا لا يبعد منال المال إذا أردته ولا
يحوجني إلى ركوب العقاب وسلوك الشعاب مما قصدته بل
يجيئني عفوا ويتطفل علي أنفا وهذه الحضرة حرسها الله وإن احتاج
إليها المأمون ولم يستغن عنها قارون فإني أحب أن أقصدها
قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال أحب إلي من الرجوع
عنها بمال قدمت التعريف وأنا أنتظر الجواب الشريف فإن نشط
الأمير لضيف ظله خفيف وضالته رغيف فليزجر له بالاستقبال
طائر الإقبال والسلام ولا فيه لما بعده دخل فنائه مستقلا بعنايته

ألم ترني في سفرتي لقيت الغنى والمنى والأميرا
ولما تراءى شبت الشراب وكنت امرءا الأثيم العبيرا
لقيت امرءا مل عين الزمان يعلو سحابا ويرسو ثبيرا
لآل فريغون في المكرمات يدا أولا واعتذارا أخيرا
إذا ما حللت بمغناهم رأيت نعيما وملكا كبيرا
فلا يعدم الملك ذا روعة يصون المنى ويبث السرورا

ولأبي الفتح البستي فيهم

بنو فريغون قوم في وجوههم سيما الهدى وسناء السؤدد العالي
كأنما خلقوا من سؤدد وعلى وسائر الناس من طين وصلصال
من تلق منهم تقل هذا أجلهم قدرا وأسخاهم بالنفس والمال
يا سائلي ما الذي حصلت عندهم دع السؤال وقم فانظر إلى حالي
أما ترى أن حالي كيف قد حليت بهم ألم ترحالي حسنه ترحالي
فإن أكن ساكتا عن شكر أنعمهم فإن ذاك لعجزي لا لإغفالي

ذكر القادر بالله أمير المؤمنين وانتصابه منصب آبائه

الراشد

الراشدين بدار السلام واستقرار الإمامة عليه وانعقاد البيعة له بعد الطائع لله وما اشتبك من الحال بين السلطان وبهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة وفناخسرو

قد كان بهاء الدولة وضياء الملة ينقم من الطائع لله أمورا لعده فيها عن غيه وفاقه وعدوله بها عن حكم استحقاقه وأعفاه عما توالى عليه من خلاف رضاه إلى مراعاة مصلحة الدين والملك باختيار من يرعى حق الإمامة ويتولى حياطة الخاصة والعامة ويعزل هوى النفس في اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين وإظهاره وحماية الملك من أقطاره وجعل يتلطف في التدبير عليه إلى أن تمكن منه فخلعه واحتوى على ما كان جمعه وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وأرسل إلى البطائح وبها القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر بالله فاستقدمه دار السلام لعقد البيعة له سدا للثلمة ونظرا للأمة وإيثارا للألفة واحتيالا للمصلحة الجملة فعقدها

قادر

في شهر رمضان من هذه السنة وتسارع الناس الى مبايعته
واصفقوا على طاعته وتراضوا عن طيب النفوس بامامته
وتناهضوا لشكر الله تعالى على ما اتاحه لهم من بركات خلافته
ثقة بما اشتهر في الآفاق من مناقبه الغر ومآثره الزهر
وفضائله المسطورة على صفحات الدهر فقام بما قلده الله من
طوق الامامة مفوضا اليه امره ومتوكلا عليه وحده فلم ير
في مقعد من سرير الخلافة اوقر منه حصاة واوفر اناة واصلب
قناة واصدق تقاة وارمى سهما واذكى بصرا وبصيرة واتم
علما وسيرة واتم جلالة وجزالة واعم سياسة وحراسة لهم
ولا اقوى منه جنانا واندى بنانا واجرى لسانا واعدل عقابا
واحسانا وعطفته عاطفة القربى على الطائع لله فاستخصه
لمنادمته واجتباه لمصاحبته ولففه جناح رعايته وحمايته
تفاديا من غضاضة تلحقه في زمانه ونكبة ترهقه في ظل سلطانه
وجانب امانه الى ان فرق بينهما الدهر المولع بالتفريق واخلى
الرفيق ورثاه ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي

عن الرفيق

المعروف

المعروف بالرضي الموسوي بقصيدة اولها

ان كان ذاك الطود خر فبعد ما استعلى طويلا
موف على القلل الذرى واهيبة العلى عرضا وطولا
قرم يسد دخطه فترى القروم له مثولا
ويرى عزيزا حيث حل ولا يرى الا ذليلا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلا على الاقران لا مثلا يعد ولا عديلا يعد
من معشر ركبوا العلى وابوا عن الكرم النزولا
غر اذا نسبوا اتى الغرر اللوامع والحجولا
كرموا اوائل بعد ما طالوا وقد نجموا اصولا
نسب غداة وداده يستنجبون له الفحولا
يا ناصر الدين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي مليت مضاربه فلولا
يا كوكب الاحسان اعجلك الدجى عنا افولا
يا غارب النعم العظام غدوت مغمودا جزيلا مغزلا

لهفي على ماض مضى أن لا أرى منه بديلا
وذوال ملك لم يكن يوما يقدّر أن يزولا
ومنازل سطر الزمان على معالمها الحؤولا
من بعد ما كانت على الأيام مربأة مكولا
والأسد تركز القنا فيها وترتبط الخيولا
من يسبغ المنن الجسام ويصطفي الحمد الجزيلا
من يمنح الآمال يوم تعود بالهيمان جولا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا
وتراه يمنع دوننا وادي النوائب أن يسيلا
عقاد ألوية الملوك على العلى جيلا فجيلا

وأما خطباء العراق وشعراؤهم كأعراف الجياد على مجلس الخلافة في امتداح القادر بالله أمير المؤمنين وذكر مآثر آبائه ومفاخر أسلافه مرابيع الكرم وينابيع الحكم ومصابيح الظلم ومدارج الأمم وليوث البهم وغيوث النعم والمغني أن مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور وفقر

وشذور فلا حاجة بنا إلى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها وحكى لنا أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الهيثم أحد أعيان الكرامية نيسابور قال قمت في مجلس القادر بالله أمير المؤمنين خطيبا بحضرة بني هاشم ومشايخ بغداد وأعيان الحجيج فقلت الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة الباهرة والنعم المتظاهرة الذي عم إحسانه ودام سلطانه ولطف شأنه فلا راد لقضائه ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ابتعث محمدا صلى الله عليه وسلم من خير أرومة العرب مولدا وأفضل جراثيمها محتدا وأطولها نجادا وأرسخها في المكرمات أوتادا فأيده أحسن تأييد وأكده أمره أفضل تأكيد حتى استقل الدين به ناهضا واضمحل الشرك داحضا وظهر أمر الله والمشركون كارهون فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى وما طلعت عليه شمس الضحى وعلى آله الطيبين ثم قيض الله من بعده الخلفاء الراشدين لتمهيد الدين وتوكيد اليقين وتوهين كيد الملحدين فبسطوا للإسلام بساطه ونهجوا لأهل الآفاق صراطه إلى أن تأدى

الأمر إلى ذويه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني صنو
أبيه فأقاموا الإسلام عن أوده وأسندوا الأمر إلى مستنده
معتصمين بنصر الله صادعين بأمر الله معظمين لحرمات
الله وهلم جرا إلى أن تأكدت بيعة الخلافة بأمير المؤمنين
القادر بالله فهو نور العالمين وسنى ذكره على المنابر
صدور قوم مؤمنين من بعد التواء من أظهر العناد و
أنزواء من قصد الفساد وأبى الله إلا نصره للحق وإدالته
وقمع الباطل وإذالته ولقد حدثني محمد بن الفضل الحلواني
قال حدثني الصولي عن المبرد أن العباس بن أبي حمدون
حدثهم أن سعيدا الخطيب قال لما بايع الفضل بن مروان
المعتصم بالله أمير المؤمنين قام في الناس خطيبا فحمد
الله وأثنى عليه   بايعت منبسطا ولو لم أنبسط
كفي لبيعته قطعت بنانها   من ذا إليه لا يمد يمينه
قطع الإله يمينه فأبانها   ولو الذي في خدمة أمير المؤمنين
ما يقارب هذا أو يشاكله وذلك أنه أظهر بيعته لوارد كتاب

على

على جبين التواء من النوى ناجية لج وقال فيما
سبقت يميني نحو بيعة قادر بالله لما حالفته يد القدر
ما ضر بيعته التواء من النوى والله مبرمها بمكنون الزبر
ولقد أراه أحق من وطئ الحصى بوراثة الشم البهاليل الغرر
فلأخلعن القلب مني إن أبى ولأقلعن العين إن نأى البصر
وها أنا قد ساعدني توفيق الله حتى وطئت بساط أمير المؤمنين
شاكرا لما أنعم الله علينا بولي أمير المؤمنين محمود بن سبكتكين
فإنه في رتبه كاسمه والله نسأل أن يديم سلامة أمير المؤمنين
وأن يبلغه أمله في أبي الفضل ولي عهد المسلمين الغالب بالله ابن
أمير المؤمنين ويلحقه بسعادة آبائه الراشدين وأسلافه
الطاهرين والحمد لله وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين
قال فأمر القادر بالله بأن تنسخ الخطبة في جملة أخواتها
المسطورة المخزونة ولما أوجبت منابر خراسان بذكر القادر بالله
على ما أوجبته طاعة السلطان يمين الدولة وأمين الملة لأمر
الله في اقتفار محبته واقتفاء خليفته ومحبته كاتبه بآراء

من الأقصى إلى ابنه أبي الفضل بعهده في ولاية أمور المؤمنين من بعده
وتلقيبه بالغالب بالله ودعم توثيقه وإيجاب حقه وإلحاق ذلك على المنابر
باسمه وطبع النقود على ذلك تلقيبه فأوجب السلطان حظا ورعيته
بما أمر ومتابعته في جميع ما رسم فتقادم ذكرها في الخطب وتوافق
أسماؤها على صفحات الفضة والذهب وسنعود إلى ذكر بهاء الدولة
وضياء الملة من لدن استأثر الله بعضد الدولة أبي شجاع فناخسرو
إلى أن أفضى الأمر إليه واستقر الملك عليه وفيما نطق به كتاب الصابي
المعروف بالتاجي من وقائع عضد الدولة مع بختيار إلى أن أظفره
الله به فقضى عليه بحد حسامه وجرعه كأس حمامه واحتياله على
أبي تغلب ناصره بعد انهزامه إلى أن أمكنه التدبير عليه بابن الجراح
أحد المتغلبين من الأعراب على حدود الشام فقبضه لاقتناصه بما
أعدها إليه وأطماع الدها حتى تعقله وقتله وحمل إليه علاوته
ما يغني عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله وذلك في رمضان
سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة عند اشتغال أخيه مؤيد الدولة بويه
بمحاربة حسام الدولة تاش وحميدها فائق في عساكر خراسان اجتمع

أبناء دولته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة فبايعوه متوازرين
وتوافقوا على طاعته متظاهرين وأتاه الطائع لله أمير المؤمنين في
حراقته على ظهر دجلة يعزيه عن أبيه وقد نادى عوام الناس نظاره له
حتى إذا قرب منه برز إليه صمصام الدولة بخشم وجهه رسم الطاعة
وحق الخلافة وقال له الطائع لله نضر الله وجه الماضي وجعلك الخلف
الباقي وصيّر التعزية بعده لك لا بك والخلف عليك لا منك فأذرى
على خده دموع عينيه وبادر إلى الصعيد شكر الناس به عليه ثم
انتصب منصب أبيه فأجرى الأمور على استقامة وتدبرها بسياسة
عامة وكان أخوه الأكبر أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة
غائبا إلى مدينة كواشير من أرض كرمان فلما لحقه نعي أبيه كر
راجعا إلى فارس وقبض بها على نصر بن هارون النصراني وزير أبيه
فاستوفى عليه حواصل أمواله ونفايا أعماله وامتد منها إلى الأهواز
فملكها على أخيه أبي الحسين أحمد بن عضد الدولة وغلب على البصرة
معها وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائة ثم استعد
لقصد بغداد طلبا لمكان أبيه واستضافة لما في يد أخيه إلى

سائر ما يليه وسار حتى اذا وافاه تلقاه صمصام الدولة بالوجه
يحق مثله عليه اجلالا ومهابة ومداراة ومعاذية تفاديا من ضرر
استيحاشه وعدوى مسآءته غير عالم بان غمدا فردا لا يسع
سيفين ووترا واحدا لا يضم سهمين فقبض به ابو الفوارس
ورفع محله ثم خلعه وكحله وامر به الى قلعة كيوسنان من ارض عمان
واستولى على المملكة ولقبه الطائع لله بشرف الدولة وزين
الملة فبقي على جملته سنتين وفجيه حكم الله تعالى في جمادى
الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة فقام شاهنشاه بها الدولة
وضياء الملة ابو نصر بن عضد الدولة مقامه وتجرد لضبط الامور
الحائرة وتلافى الحال الحائلة وكفل بالملك كفالة خبير بالتجارب
بصير باعقاب العواقب ومالأ الامراء بفارس على صمصام الدولة
فابرزوه من معتقله وحمله غلامه المعروف بسعادة على عاتقه
متحدرا به فملك فارس وما والاها وتتبع اموالها فجباها ثم تنكروا
له من بعد وقدموا ابا علي بن ابي الفوارس وعقدوا الرياسة
عليهم ولقبوه بشمس الدولة وفخر الملة وتجرد للذب عنه والدعا

الى

اليه فانجذب لموافقتهم الى ان هزمهم اقبح هزيمة وغنمهم ابرد
غنيمة فخنسوا الى بغداد ماخرين خاسرين فركب بها الدولة
وضياء الملة لقتال صمصام الدولة فبنا وثار الحرب ومالا
ككعوب الرماح ما بين المساء والصباح حتى خربت البصرة وملاها
في الخراب الى كور الاهواز وقد كان اولاد بختيار محتبسين
في حصار بناحية فارس فاستنزلهم طائفة من الاكراد الخسروية
عن معتقلهم موقدين نار الفتنة باستنزالهم وفك عقالهم
فناصبهم الحرب مستكفا شرهم ومستدفعا بأسهم وضرهم فاختلفت
به الوقائع بين تلك الفتن الثائرة والاحن الثابتة فكانت عقباها
ان اجلت عنه قتيلا وتدبير بها الدولة للحادثة عليه فارصد
الجناة بطالبه حتى شردهم كل مشرد وطردهم كل طرد ولجا
اولاد بختيار الى الجلاء عن تلك الناحية وزعيمهم يومئذ سالار
بن بختيار الملقب بنور الدولة وكان من امره انه انخذ عنها
مدحورا منبوذا فاضطرته الحال الى خفارة التجار في مجاراتهم
واجازتهم على مراصد القطع بضعا عانهم على جرح بسبعين من

جمعهم على مؤن معاشه ورياشه واتبعه بهاء الدولة بجيش فاتبعوه
بكواشير فطلبوه ووصلوا اليه فقتلوه وحمل غلام منهم رأسه الى بهاء
الدولة فاستخفّ بالرحم الدانية والحرمة الجانية من تجشّمه على ملاقاته
به فامر بالغلام فسلخ جلده من قرنه الى قدمه عقوبةً لمن اقدم على
ملك بسفك دمه وبعث بعميد الجيوش الملقّب بالصاحب الى
بغداد اذ لم اعاره تكفّل الاعمال واستيفاء حقوق بيت المال
فاشتدّت سياسته وحدّت في العدل بصيرته وعمّ رفقه بحجيج
بيت الله الحرام بالمنائح العظام فانطلقت بشكره الالسنة الخاصّ والعام
الى ان قبضه الله اليه فسدّ مكانه بوزير الوزراء زيادة في النظر
للرعية فأوفى على عميد الجيوش في الاحسان الى الكافة ايصالًا
لهم وارفاقًا بهم واطّراحًا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة
منضافة الى سائر اعماله وقعدت الفتن القائمة عن نهوضها في زمانه
فعمّ الامن والسكون وشمل الرفق والهدوء واستراح عباد الله
مما كان يفدحهم من وطأة الجيوش ويلحقهم من معرّة اختلاف السيوف
وقد كان ابو علي بن الياس ملك كرمان ايام عضد الدولة لآل

سامان

سامان واقام بها مدّة من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا يدافعه
عنها مدافع وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقًا من
معرّته بلونه رآها في رأيه واضطراب تبيّنه في وجوه شمائله
واخلاقه ولهى عنه مدّة وهو يكابد فيها بؤسًا وضرًّا وشدّة فاتّفق
ان اشرفت سريّة من نساء ابيه وجواريه عليه فرثين لضيق مكانه
ودبّرن في وجه خلاصه وعمدن الى خمرهنّ فوصلن بعضها ببعض
وخلّصنه بها عن معتقله وتسامع اهل العسكر بخلاصه وانجلاب
مقاله فتجمّعوا عليه وانقطعوا بجملتهم اليه مالًا له على ابيه لجفوات
نقموها منه وبلغ ابا علي خبر الحادثة فارسل الى ذوي التجارب
والالباب ناجيًا عمّا دعاهم اليه فاظهروا النصح بمكانه والتبرّم بطول
زمانه وسامحوه مفارقة كرمان ليستقرّ الامر على ابنه اليسع بطاعتهم
له وتوجّههم موافقته فعزل ابو علي قولهم بحسب المداراة والاحتمال
في عاجل الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال وكرّ عائدًا الى
بخارا خليًا بين اليسع وبين تلك الولاية واقام بقضيّته بشر بن المهدي
ونزمش الحاجب على خدمة اليسع وكفالة امره اذ كانت حداثته

تقتضي استخلاف مثلها في دهائها وقوة رأيها على حصافة أمره

وتبصيره الرشد في وجوه تدابيره ولما وصل أبو علي إلى بخارا بولغ

في تمهيده وإكرام مورده وإحلاله من الإيثار والإكبار محل مثله

إلى أن توفي بها في شوال سنة ست وخمسين وثلثمائة فأما اليسع فإنه

ولي كرمان فحمى أطرافها وجبى أموالها وكان أخوه سليمان مقيماً

بسيرجان واليا عليها فأغراه بشر بن المهدي به وأثار عليه مطالبته بها

قبل انتظام شمله واستمرار حبله فكتب إليه يستدعيه لمهم لا يستغني

عن مظاهرته فيه فامتنع عن الإجابة لعلل اخترعها ومعاذير

تمحلها وضاق اليسع به ذرعاً ولم يجد من مناجزته بداً فنهض إليه

مجاذباً حتى هزمه وغنم ماله فوقع سليمان إلى بخارا وأطمع اليسع نزق

شبابه في مغالبة عضد الدولة إذ يتخلج على بعض حدوده عمله فكان

مثله مثل العير طلب قرنين فضيع الأذنين وذلك أنه لما بلغ مفرق

الحدين بين كرمان وفارس أتاه صاحب طليعته بطائفة من

المستأمنة من عسكر عضد الدولة فأحسن إليهم وصب الخلع عليهم

ثم هرب نفر منهم راجعين ورآهم فارتاب اليسع برفقائهم

قال الله تعالى إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وسمع الأعرابي الآية فقال ومن رغب في جوار من هذه الصفة

وظن أن وراء استئمانهم حيلة أو غيلة فأوسعهم تنكيلاً وعمّهم

بالعقاب قتلاً وتمثيلاً واستأمن عنه إلى عضد الدولة جملة

من رجاله بخيلهم ورجلهم وسلاحهم وعتادهم فلما رأى أصحابه

تباعد ما بين الأمرين تألبوا عليه وتسرّعوا إليه وتحزّبوا عنه و

تسللوا من جملته صفقة واحدة ألف رجل من وجوه الديلم إلى

معسكر عضد الدولة وهو بناحية إصطخر وقد التقى الفريقان بين

الآخرين فجعلوا يتسللون لواذاً ويتفرقون جميعاً وأشتاتاً

حتى انفض عنه عامة عسكره وبقي في خاصة غلمانه وحاشيته

واضطر إلى معاودة كواشير فأسرع منها بعياله وما خف عليه

حمله من أثقاله وأمواله نحو بخارا لا يلوي على شيء دون الإغذاذ

في السير وطي بساط الأرض بحوافر الخيل فلما اتصل خبره

بعضد الدولة بادر على أثره إلى كواشير فملكها واستصفى أموال

آل إلياس بها ثم استخلف عليها كوركير بن جستان

ورجع عنها إلى فارس ولما ورد اليسع ناحية خوش من

حدود قهستان خلف أثقاله وغلمانه بها وركب الجمازات

نحو بخارا للاستنجاد وطلب الإمداد فلما وافاها قرّب محلّه و
أوعى لحقّه واستحضر مجلس الأنس تخصيصا بمزيّة الإكرام
والأثرة فلما قدّر عليه سلطان الراح لم يتمالك أن قال
مستنبطا لو عرفت قعود الجيم بآل سامان عن إغاثة الراجين
لها واللاجين إليها لطلبت غير هذه الحضرة ملاذا أو معتصرا ف
نُشر هذا المقال منه وأُمر به منفيا إلى خوارزم وبلغ أبا علي بن
سيمجور حاله ومقاله فبعث إلى جوين من قبض على غلمانه وأمواله
فنقلهم وإياها إليه غنيمة خالصة عن أيدي الاعتراض والاشتراك
وأصاب المنيع بخوارزم رمد أقلقه وأمدّه واستنفد وسعه و
جلده وحمله الضجر بالألم على أن فقأ عينه الرمدة بيده فسالت
على خدّه وكان ذلك سبب هلاكه وحينه ولم يظهر من أعقاب
الإيناسية بجدود ذكر مان أحد بعده وازداد بالغ عضد الدولة طولا
وعزّة وارتفاعا وسموّا إلى أن ورثه بهاء الدولة وضياء الملة
فأجرى أمورها بمجاريها الموروثة في حفظ الأطراف وبسط العدل
والإنصاف ولما ملك السلطان يمين الدولة وأمين الملة خراسان وافتتح

سجستان

سجستان وحصل بين ولايته وبين تلك الديار ذمام الجوار فاتّجه
بهاء الدولة وضياء الملة بكتبه خاطبا للكريمة وودّه على مذاق قلبه
المعمور بمولاته المقصورة على تطلّب مرضاته ووصل ذلك بهدايا
ومبارّ لاتت بزجر مدرّه وحلو جمته وتدرّه فأجابه السلطان إلى
ما خاطبه وأوجب له مثل ما أوجبه وأتحفه بأزمّة الوداد و
الاتحاد وقضى حق المكافاة وزاد وتشوّفت الحال بينهما إلى زيادة
عصمة تتجدّد بها البنوت والمرابع وتشترك فيها الأقارب والأباعد
فسفر مشايخ الدولتين في تشبيك اللحمة وتوشيج أسباب القربة
إلى أن أتاح الله من ذلك ما عمّ القاصي والداني فائدته وشمل
الحاضر والبادي والقاري والنائي نفعه وعائدته

ذكر وقعة نارين

وأنشط السلطان في سنة أربعمائة لغزوة في ديار الهند تكملا
بها فرح نكاياته فيها تقرّبا إلى الله تعالى وإحقابا للمثوبة من عنده
فنهض نحوها يجتاب الجبال ويخترق الحزون والسهول إلى أن
توسّط ديار الهند فاستباحها وأذلّ لقاحها وكسر أصنامها
وعرض على السيوف أغنامها وسار على هيئته نحو مقصده

أوقع بعظيم العلوج وقعة أفاء الله بها عليه أموالهم وأغنمه بخيوله
أفياله وحكم فيهم سيوف أوليائه يحثونهم بها بين كل سهب وفدفد
عند كل مهبط ومصعد ورده إلى غزنة فيما حواه من تلك الغنائم
الموفورة سالماً غانماً وافراً ظاهراً ولما رأى ملك الهند ما صب الله
عليه وعلى أهل مملكته من سوط العذاب بوقائع السلطان فيهم ونكاياته
في قاصيهم ودانيهم وأيقن أنه لا قبل لهم بثقل وطأته وخشونة
جانبه وسطوته أرسل إليه أعيان أقاربه وقرابينه ضارعاً إليه
في هدنة يقف فيها عند أمره ويتسمح له بماله ووفره ويتجرد
أوقات دعائه لنصره على أن يقود إليه بادي الأمر خمسين
فيلا يعد آحادها بأضعاف ما يثقل أجسامها وخفة أقدامها ويحمل بها
مالاً عظيم الخطر كثير القدر بما يضاهيه من مهار تلك الديار
ومتاجر تلك البقاع وعلى أن يناوب كل عام بين آلاف عسكره
في خدمة بابه بألفي رجل بادين وعائدين إلى أتاوة معلومة
يلتزمها كل سنة يتمسك بها من ورث مكانه ويقوم
في كفالة الملك مقامه فما وجب السلطان إجابته إلى ملتمسه

لعز الإسلام بذل طاعته وإعطائه الجزية عن يد فوق استطاعته
وبعث إليه من طالبه بتصحيح المال وقود الأفيال فعقد ما وعد
وقدم الوفاء بما شرطه وبعث بمن يخفرهم إلى بابه من خواص
رجاله على جملة الخدمة وإقامة رسم الطاعة وحفظ الحرمة فانعقدت
تلك الهدنة ودرت تلك الإتاوة وتتابعت القوافل بين خراسان
وبلاد الهند في ضمان الأمان وجوار الحيطة والاحتياط

ذكر غزوة غور

اتفق للسلطان فكر في جبال الغور وتمرد أهلها
وتمنعهم على عظامهم عن حلية الدين وسمة الإسلام وحصولهم في المعقلة
من عين حوزته والمركز من دائرة مملكته وتأذي المارة والسابلة
بعيث إرصادهم وعيث قطعهم الطرق وإفسادهم لاستطالتهم
بمناعة جبالهم الشواهق ومحال مسالكهم المتضايق فأنف
للدولة القاهرة من أن يخليها على غلق أقفالها وشدة رتاجها
فصرم العزم على تدويخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع نعرة
الاستطالة من رؤوسهم واستلال وحر العصيان من صدورهم
فأجلب بخيله ورجله معولاً على صنع الله وفضله وقدم أمامه والي

لعز

هراة اللون نائر الكاحب وإلى طوس أرسلان الجاذب
فسارا مقتحمين في مضايق تلك المسالك إلى أن أفضى بهما الدؤوب
إلى مضيق قد غص بكماة الغورية ممن لفظتهم القرى القاصية
والجبال المتنائية فتناوشوا الحرب مناوشة بطلت فيه العوامل
إلا الصوارم في الجماجم والخناجر في الحناجر ونضا به الفريقان
على جمر الكريهة حتى مالت نفوس وطارت عن الهام رؤوس
وبلغ السلطان خبر الفريقين فلحقهم في خواص رجاله وجعل
يلجئهم إلى ما وراءهم شيئا فشيئا ويملك عليهم ملاجئهم شعبا فشعبا
إلى أن فرقهم في عطفات الجبال الشوامخ وألجأهم بقلل الرواسي
البواذخ واستفسح المجال إلى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري
فقصده في عقر داره وأحاط به من جوانب حصاره وهي في قصبة
تدعى آهنكران وسد عليه الجهات وبرز الطاغي في زهاء عشرة
آلاف رجل رجال كأنما خلقت قلوبهم من الحديد وأكبادهم من
الجلاميد يستأنسون بأهوال الوقائع استيناس الطلاب بالشرائع
فصافوا عسكر السلطان مرعدين بالبطش والبأس مبرقين

بصوارم

بصوارم الأسياف وجعلوا يهرون في وجوههم هرير الكلاب أغياضا
إلى الزوال أخرجتها الأنجاد فأمر السلطان بمداركة الجلد عليهم على ما أوجبه
حكم الاجتهاد وكانوا مستندين إلى معاقل وثيقة معتصمين بخنادق
عميقة حتى إذا انتصف النهار على وقائعهم في ملابسة الحرب
ومصابرة الطعن والضرب أشار على وليهم بالقهر على وجه الاستدراج
والاحتيال بالغرة وبخدعة الانقلاب وانفضوا عن مواقفهم إلى
فسحة الفضاء للاغتنام فرصة الانهزام فكرت عليهم الخيول بضربات
غنيت بدوانها عن أخواتها فلم تنفع منها واحدة إلا عن دماغ
منثور ونياط مبتور وصرع في تلك المعركة الواحدة رجال كثيرهم
محتطرا وأعجاز نخل منقعر وملك الأسر عظيمهم المعروف بابن سوري
بأقربيه وذويه وسائر حواشيه وأفاء الله على السلطان ما اشتمل
عليه حصاره من ذخائر الأموال والأسلحة التي اقتناها كابرا عن
كابر وتوارثها كافر عن كافر فأمر السلطان بإقامة شعار الإسلام فيما
افتتحه من تلك القلاع والربائع فأفصحت بذكر منابرها وأشرك
في حوزة دعوته بأدناها وحاضرها ورجع بعد ذلك عن وجهه على جناح

البشر والنجاح والظفر المتاح وحين رأى ابن سورى حصوله
في ذلك إماده واستباحة اللطان ودائع جماله ثم برم بمحبوبه
واستراح إلى برد وفاته فاستشف بما كان أودعه فص خاتمه
فجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

ذكر القحط الواقع في سنة إحدى وأربعمائة

وقع القحط بنيسابور في هذه السنة خصوصا وفي سائر خراسان
عموما فهلك بها وبأطرافها دون غيرها مائة ألف أو يزيدون
وكم دفن منهم بأطمارهم لضيق الأكفان بهم وعجز غسلة
الأموات عنهم وكان الناس من بين غلام وشاب وكهل وشيخ
وفتاة وعجوز يتداعون الخبز ويذوبون على أنفسهم حتى تزهق نفوسهم
وتجب للموت جنوبهم وعوامات الأرض حتى استحكم اليأس عن الروح
وانقطعت الأطماع عن الروح وضاق بهم الأمر فجعلوا يتبعون
رمام الطعام على رؤوس الكناسات تعللا بها ومنها ذبح قصاب
ذبيحة اجتمع عليها الفوج بعد الفوج يتقاسمون بينهم نجيعها بالبنان

للحرف تسكينا لحرقة الجوع واجتزأ به عن القوت ولم يكن منه
أجد الأسقط لجنبه وجاد عن لب بنفسه وعهدي بهم يتبعون
سقاطات حب الشعير عن الأرواث وهيهات أن الشعير
لا يعيا الأنام فكيف البهائم والأنعام ثم تراقى الأمر إلى أن أكل
الأم ولدها والأخ أخاه والزوج زوجته وظل بعضهم يختلس
بعضا من شوارع الطرق إلى الخربات ويطبخ منه ما نال من
الباجات وحرمت الأسمان على الناس لكثرة ما موه عليهم
من لحوم البشر فبيع في الأسواق وقبض على أقوام بلا عدد
كانوا يغتالون السابلة فيقصرونهم على هذه الجملة ووجد في دورهم
ما يغمر العد من رؤوس الناس قد أكلت لحومهم ومصت مخوخهم
فأما الكلاب والسنانير فلم يبق منها إلا العدد اليسير وهاب
أوساط الناس وأرباب الحرف أن يخرجوا وقت العشاء لحاجة
نابته عن واسطة البلد إلا في عدد يده وسلاح جده وذكر لي
أن فقيها وجيها من أصحاب الحديث دخل على الإمام أبي الطيب
الصعلوكي فسأله عن تطاول عهده به فقال يا أخذ الإمام الأجل

عني أحد ونه عجيبة ردّ الله تعالى عليّ بها روحي فضلاً منه جسيما
وتشفّا كريماً وذلك أني جعلت أمر بعض العتبات وجئت الى شارع
أشار إليه فلم يدعني الأوتر صار في عنقي وجذبت به جذبة ضيقت
على مخنقي وبينا أنا أهم بموافاة الجاذب ومداناته للسلامة عن
ضيق ذلك التخنيق إذ وجئت إلى امرأة من بعض تلك الأزقة
فضربت بركبتها أنثيي ضربة سقطت منها مغشيا عليّ فلم أشعر بعدها
بشيء من مصادف المورى إلى أن أفقت عن الحس ببرد ماء رش
بين وجهي وترائبي فنظرت إلى قوم أجانب يجادعونني عما دهاني
ويكاتمونني صورة ما عراني فأدامهم ساعة وجنبني لحسّي أدلوني
عائدين إلى منازلهم فهرب منهم من أشفق على قتلي واستباحة دمي
وتركني برمتي وخلّى الوتر في عنقي فصبرت ساعة إلى أن
استوفيت الإفاقة واستعدت القوة والطاقة وعدت إلى المنزل
وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مذهوشا
مبهوتا وحرفا مسبوتا إلى أن منّ الله تعالى بالإبلال وزوال
أكثر ما مسّني من ألم الإعلال فبكّرت يوم أحسست بالخفّة

الى

إلى المسجد لإقامة الفرض وصعدت الميذنة على الرسم فلم
أستتم التكبير حتى اختطف عمتي من رأسي وهمّ أن يدهاجمه
برد قبّتي فأخطأهم لما أراد الله تعالى من إنساء أجلي واستيفاء
مهلي وعدلت عن الأذان إلى الصياح لطلب الأمان وجعلت
بعد ذلك لله عليّ أن لا أخرج مدة هذه الفتنة من داري
إلا والشمس بيضاء نقية ولا أرجع إليها إلا وفي النهار بقية فهذه
هي التي تقطعني عن الخدمة وأقعدتني عن الرسم في مشاهدة
الجملة فقضى الحاضرون عجبا من تلك الداهية وسألوا
الله تعالى حسن العافية وحكي عن الأستاذ أبي سعيد
عبد الملك بن عثمان الواعظ أحد الصالحين من عباد الله
المؤمنين والساعين في مصالح المسلمين أنه يتكرّر إلى دار كان
يسكنها المرضى والزمنى من الفقراء وأبناء السبيل في يوم واحد
من أيام هذه السنة أربعمائة ميت عن برح الجوع والمخمصة
إلى أن يوعز بتكفينهم ودفنهم فأتاه جنازة الذي كان يقيم
جرايات المذكورين من جهته وهو في جيرته يذكر أنه قد نقى

في هذا اليوم بعينه ما كسد على البيع اربع مائة من خبز افشيمان
من يقضي على من يشاء بالفناء مع امكان الاقوات ووجود الكفايات
وقد اكثر الناس في ذكر ذلك الغلاء والبلاء فمنه قول ابي نصر
الزاوهي الكاتب

قد اصبح الناس في غلاء وفي بلاء بلا دواء
من لزم البيت يود جوعا ويشهد الناس ما اكلوه

ولابي محمد العبدلكاني الزوزني

لا تخرجن من البيوت لحاجة او غير حاجة
والباب اغلقه عليك موثقا منه بناجه
لا يقتنصنك الجائعون فيطبخوك كسنبوساجه

وامر السلطان بالكتب الى العمال بصب الاموال على الفقراء والمساكين
فاستنقذ الله بها مهجات قوم قد اشرفوا على الهلاك وانقذهم من
حبك الاجتياح فبقيت تلك السنة على حالها الى ان ادركت غلات
سنة اثنتين واربع مائة فمن الله بازالة تلك الشدة واطفاء
تلك النائرة المتقدة وتدارك عباده بعد استحكام اليأس
بالغيوث الهامية والزروع الزاكية النامية ما يفتح الله

للناس

للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
وهو العزيز الحكيم

ذكر ما افضت اليه احوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد انكشاف عسكر الترك
عنه يراعي ما يسفر عنه تدبير ايلك الخان واخيه الكبير
طغان خان اذ كان اخوه مائلا الى السلطان عليه لايمان يزعم
لزومها اياه ومواثيق يدعي انعقادها عليه ويظهر البراءة
على السنة رسله من فعلات ايلك في منابذته ومكاشفته
والتخطي الى حدود مملكته ويورك ايلك الذنب عليه في اغرائه
اياه ومكاتبته في البعث على ما جناه ولما ظهر لايلك ان اخاه
طغان خان قد جعل عرضه للجناية وقلده طوق المكاشفة براءته
منه وخذلانه اياه وشقاقه عصاه واملائه ما كسبت يداه
رأى ان يبتدئ به فيحسم داء قرابته ويفصل بالسيف وصر
جنايته فجمع جيوش ما وراء النهر لقصده واستيفاء
ملكه وغدره وسار حتى اذا جاوز اوزكند نحوه سقطت ثلوج

سُدَّت عليه مسالك العقاب المفضية اليه فارتدّ عن وجهه
الى قابل حتى طاب الهواء وانحسر الشتاء وجفّت الانداء
فكرّ عائدا على ثاره لفت المشتّر موهنا ناره وكان وردُ رسلها
في التنازع الذي تقدّم ذكره فتراجعا القول في البراءة
عن جناية الجنود وإحالة بعضهم على بعض في نقض المواثيق
والعهود فخلاهم السلطان في لغط القول حتى وصلوا بحرا انقاد
الى برد الاشتفاء واراد السلطان بعد ذلك قراهم فامر
بتعبية جيوشه وتغشية فيوله فرتّب العسكر سماطين عن جنبته
في هيئة لو رآها قارون لقال يا ليت لنا مثل ما اوتي محمود
انه لذو حظ عظيم وصفة مقامه انه اصطفّ من غلمانه على
التقابل قرابة الفي غلام من عقائل الترك في الوان الدبابيج من
بين سود وبيض وحمر وصفر وكُهب وخضر ويقرب من
موقفه خمس مائة غلام من خاصّته على ترتيبهم في مثقّلات
الروم بمناطق من ذهب مرصّعة بالجواهر واعمدة من جنسه
فوق الاكتاف والعواتق وقد اطاف به من عظام الفيول الدبون

فيلا

فيلا على الجادّة غواشيها دبابيج الروم بعصائب ومعاليق من
الذهب الاحمر مرصّعة بكل جوهر ثمين وياقوت رزين ووراء
السماطين سبع مائة فيل في تجافيف مشهّرة بالالوان مستورة
بالجراب والمزان وعامة العسكر في سرابيل قد كدّت القبول
وردّت عن اجتلائها العيون ورتّب الرجّالة امام الخيول في
التِرسة الواقية والجُنن الحامية والسيوف المرهفة والعوامل
المختلفة وقام بين يديه حجّابه كالبدور في ظلم الديجور قابضين
على قبائع سيوفهم هذا بين قدده ناظرين أمره واذن لهؤلاء
الرسل على هذه الهيئة حتى لقوه واقاموا رسم الخدمة على ما
افترضوه ثم عدل بهم الى الموائد في دار قد فرشت بالمحكي غير
الجنة مزيّنة للمتقين معرّفة للعارفين ففي كل مجلس دسوت
من الذهب الاحمر بين جفان كالجواب والطباق كبار قد نضدها
من مدرّه الى قدمه بما يشاكلها في الاواني الفائقة والآلات
الفاخرة الرائقة وحيّى خاصّ مجلسه طارم قد جمعت الواجه
وعضاداته بصفائح الذهب وصفائحه وورقت بمساميره من

جنبه وفرش من الديباج المثقل بالأبريز الأبصار منه عبر
حمرة الذهب وفي الصدر منصّة مقسومة بيوت مضلّعة و
مستديرة يشتمل كل منها على نوع من الجواهر التي أعيت
أمثالها أكاسرة العجم وقياصرة الروم وملوك الهند وأقيال
العرب وحوالي المجلس أطباق صحاف من الذهب مملوءة من
المسك الأذفر والعنبر الأشهب والكافور العطر والعود العبق
وحمل جزا إلى ما بها الأنواع والأيدي من أترجات مصنوعة
ونارنجات مصنوعة وما يشبه الفواكه من عقيان وبدخشي
وبهرمان إلى أن لم يسمع بمثلها دقة أجسام ودقة صنعة
وإحكام وطاف على الرسل ولدان كالدر المنثور واللؤلؤ
المكنون براح كالماء المعين وذهاب الجزّ إلى العين إلى أن
أشفقوا من عذبات العقول فاستأذنوا بالعقول وصرفهم
السلطان بعد هذه المأدبة وزادهم بما أوجبته همته من
تحقيق أمانيهم ورعاية حق الحج فيهم وبقي الأخوان على حِلِّهما
في المنازعة والمنافرة والمكاوحة والمكافحة إلى أن توسّط السفراء

الباحثة في الصلح

بينهما

بينهما فتفصلوا الأمر على ما كفّ كلّا منهما عن صاحبه على ما سنورد
ذكره في موضعه بإذن الله تعالى

ذكر قصدار

قد كان السلطان يراعي ما يتجدد من أخبار الأخوين أيلك وطغان
خان فيما تنازعاه من الأمر فلما لقفه استحكام ذات بينهما استخار الله
في قصد قصدار إذ كان صاحبها قد ألمّ بجانب المجانبة وأخلّ بحمل مال
المقاطعة اعتزازًا بمناعة مملكته واغترارًا بحصانة الطرق المفضية
إلى جلته وفصل السلطان عن غزنة إلى بست موريًا بقصد هراة حتى
انتشرت الأخبار بعزمه واستفاضت الأحاديث بظاهر أمره
ثم ركض إلى ناحية قصدار في الخلق الغلب من رجاله ركضة
طوت تلك الجبال الوعرة والمسالك الصعبة فلم يشعر صاحب
قصدار إلا بعنان السلطان حول داره قبل أن أن يحتمل بصوب
نهار أو يحتفل لشد إزاره فنادى الأمان الأمان ووزن لخدم
السلطان والأزمة خمسة عشر ألف ألف درهم من جملة ما كان
انطوى عليه من أموال حمله فالتزمها ونقد أكثرها وقصر السلطان
على عشرين فيلا فخامًا صالحة كان اعتقدها ليومي بؤسه وباسه

وكل من استولى المال عليه ورجع عنه بعد أن رعى حق طاعته
وضراعته باستخلافه على ما كان إليه وبسط يده في أطراف
عمله ونواحيه ورجع عنه إلى غزنة ظاهر النجح فائز القدح
عالي اليد موري الزند صنعا من الله لمن يجتبيه من خيار
خلقه لعمارة أرضه وإنارة حقه والله يعطي ملكه من يشاء
والله عزيز حكيم

ذكر الشارين أبي نصر محمد بن أسد الوالد والشار محمد ابنه وما أفضى إليه أمرهما

قد كان يلقب كل من يلي أمر غرشستان بالشار وهي لفظة مصطلحة
عليها تنبئ عن معنى التمليك ورتبة الإجلال والتعظيم وكان
الشار أبو نصر واليها إلى أن أدرك ولده الشار وفيه لوثة
مشهورة فغلب على الأمر لقوة شبابه واستظهاره بمن شايعه
من أصحابه فاعتزل أبو نصر بينه وبين ما كان إليه وتفرد
بالنظر والتدبير فيه مقتصرا على دراسة الكتب ومطالعة
الأدب إذ كان بها مولعا وبلذتها دون سائر اللذات مقتنعا
وكان منتجع الأفاضل من آفاق البلاد ينتابه منهم كل ممتدح

خطا وبيانا ومتدرع به بلوى وامتحانا فما حنث بعد أن نابه
وتشهد بابه حتى يستخصب جنابه ويستجزل بره وثوابه وكان
صاحب الجيش أبو علي محمد بن محمد بن سيمجور لما انتح الاستعصاء
على الرضي رام أن يستضيف ولاية الغرش إلى ما يليه وأن يجد
من الشارين طاعة له في أوامره ونواهيه فأظهرا التمرد عليه
كراهة لاختياره على أرباب الملك الذين أعطوهم المقادة
قديما وسلموا الطاعة تسليما إذ لا لأحصانة صياصيهما
وقلاعهما ومناعة جوانبهما وأشجارهما ومحاماة الرضي على
حقوق طاعتهما وسوابق حرماتهما إن هم أبو علي بما رعتهما
مثلا ورتاهما وطمع في فضل مال اقتنياه فلم ينشبه أبو علي أن جرد
إليهما أبا القسم الفقيه أحد أنياب دولته وأركان دعوته في
جنود كثيفة وخيول على الآلاف منيفة فناهضها في عقر
دارها متوقلا إليها فوارع تصافح السماء وشوامخ تناطح الجوزاء
ومتوغلا مجاهل تمرد على السلوك مرود السموم على غلاظ
السلوك يناجزهما في كل تلك المقامات التي تدار عندها

بالرؤوس وتعشّى على النفوس ولجيهما من مضيق الى مضيق وتفجّها
بفريق بعد فريق حتى اجلاهما عن قرارة بيتهما الى قلعة ورثاها اسلافهما
في اخريات هاتيك الجبال تزل عن اعاليها اقدام الغيوم وتحلّق
دون مبانيها كرام الطيور ومكثا عليها مسجونين حيا لهما وسهول
ديارهما ومحالّهما بحيثهما وتتبّع ما ينسب الى كلّ منهما فيها الى ان
عهد الامير ناصر الدين سبكتكين في نصر الامير الرضي عهد
ابي علي فاستردّ ابا القسم الفقيه شغلا بالنازل العرم عن ابن
وبالعقاب المنقض عن الكركي وأتى الوادي فطمّ على القرى
وانضمّ الشاران الى الامير سبكتكين في نصرة الامير نوح فانتقما من
ابي علي حين ولّى هزيمة وتبرّي مما تولّاه واقتنا محدثا وقديما
واجفل نحو جرجان لا يملك دارا ولا عزيمة ولم تزل بعد ذلك
حالهما على جملتها في الامنة والسكون والجار المصون الى ان ورث
السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان جملة لله تعالى في
ارضه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما اذعن
ولاة الاطراف للطاعة والتزام حكم المتابعة واعطاء صفقة

البيعة وفرع المنابر باقامة الخطبة وكلّهم سمع واطاع وبذل
في الخدمة والقربة المستطاع انهضت الى الشارين به اخذهما
باقامة الخطبة له اسوة امثالهما من ولاة الاطراف وصناع
الاعمال فتلقيا بفروض الطاعة والحرص على الاقتداء بالجماعة
وامر بالخطبة فاقيمت باسم السلطان بكورة الغرش في شهور سنة
تسع وثمانين وثلثمائة وورد على الشارين كتب التجار من بخارا
عن هزيمة مرو يذكرون انهم على الاستعداد والتجرد للمعاودة
فلينتظر امرهم عن قريب وليأخذ من الاستظهار ودفع الشار بعضها
فبعث الشار ابو نصر بها الى درج رقعة افردني بها يسألني تأملها
وانفاذ ما اعنيانها الى الطف يستقرّ ذاك في الموالاة ومخالفة
ذوي المناواة والمعاداة فكتبت اليه في جواب رقعته تاملتها
اطال الله بقاء الشار فوجدتها على خدود قد عمل فيها صيقل الوقاحة
الجدل بتوعد صاحبه بان يضرب نكبة ان لم يكف عنه كفيه
وما نحن في هذا المعنى وفيها اولى الله مولانا السلطان من
الجنس الا كما قال المتنبي

وَلِلّهِ سِرٌّ فِي عُلاكَ وَإِنَّما كَلامُ العِدى ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيانِ
فأمّا قولهم إنّا على الاستعداد لطلب الثأر فتلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم
إن كنتم صادقين على أنّا نقول
لئن أعجبكم ما مسّكم فعودوا إلى حمص في القنابل
فإنّ الحسام المخضّب الذي قتلتم به في يد القاتل
فإن قالوا إنّ العود أحمد فذاك ولكن حمد البدي لا المرءوم
وما ذاق فيه ما سرّ لا ما ساء وغمّ وقد ذاقوا في بدء لقائهم كيف
شربت السيوف دماءهم وتحكّمت النسور في أشلائهم فإن
نشطوا ثانية فهاتيك الصوارم ماضية والقشاعم ضارية وما
أشبه حال القوم بما قام به ابن الأشعث خطيبا في قومه
فقال يا قوم إنّه ما بقي من عدوّكم إلّا كما يبقى من ذنب الوزغة
تضرب به يمينا وشمالا فما تلبث أن تموت وكذا المصباح إذا
قارب انطفاؤه وتوهّج قليلا ثمّ لم يغن ذلك من حينه فتيلا
فالحمد لله الذي جعل سيوف مولانا تخطب على منابر الرقاب
إذ جعل ألسنة أعاديه تخطب فوق أسرّة الأذقان

وإليه الرغبة في أن يطيل بقاء مولانا ما طلع يوم من حجاب
أمس وطلع نفس من قرارة نفس منضودا على من ناوأه وناواه
يودعه من بطن الأرض ملحده ومثواه وعن لبّ سرّي
الثائر كيف يفعل الله بالغاوين ويقيهم خزي الباغين ويردّهم
أسفل السافلين وقبل وبعد فالحمد لله ربّ العالمين وكان
الأمر على ما حدثت ونقرشت فإنّ الملك أنجد المهمّ فملك عليهم
دار الملك نهارا وأخذ معظم القوم أسارى وشرّد الباقون في
الأرض حيارى ثمّ وطالعت الحضرة بصورة أمر الثائرين في
الطاعة حتى حيز حظيا من الإكرام بما توقّعاه وحليا من الإعزاز
والإيثار بأكثر ما تطلّباه وحضر للخدمة بعدد لك الولد
المعروف بشاه شار فصادف ما استحقّه من ترحيب وتقريب
وحظّ من الإيجاب والإيثار رغيب وعبر مدّة على هذه
الجملة وهو بين الاعتداد بهمّة الملك ولونه في الطبع فلا يسلم
أمثالهم عند الملوك على الهلك وهو على كلّ ذلك محمّل ولطف
القبول والإقبال مقتبل واستأذن من بعد للانصراف

ورآءه فضاً وقف اذ نا الجناب الكريمة مشفوعا والى الخلع الشريفة
فوق الهمم المنيفة مجموعا وعاد الى اقتبس قرارته ومنابه
عزم الى ان عنّت للسلطان غزوة احبّ ان يحتشد لها افضل
احتشاد ويستغرق فيها ما حوله من قوة وعتاد وامر اجيوش
وقواد وامر بالكتاب اليه في استنهاضه اسوة امثاله ثقة
بخصوص حاله ونُمْرة ما افاض عليه من سجال افضاله فلزمه
الخذلان على المكان ولقنته معاذيره واهية الاركان
وظل يتردد بين الحيران والاذعان الى ان حقت عليه
كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك واقبل على
ما اهمه من امر سيره حتى اذا دان له ما قصد وظفر بمن
كند وتمرد عاد بالفتح خافقا لواؤه والنجح شاد قاصيا آوه
وجدد مكاتبته ايمانا من حيفة ان اوحشها وايناسا من
وحشة ان لابسها واستيفاء للصنيعة عنده من تخييب عند
انشاها او يقطع دون المراد رشاها فلم يزدد الا نفورا
ونفوزا وكان امر الله قدرا مقدورا وعند ذلك جرّد

السلطان

السلطان حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش وقفّاه والي
طوس ارسلان الجاذب فمضيا بمن ضمهم الى جبلها ووسمهم بالمسير
تحت رايتها المناهضة الشارين وامتلاك العرش عليهما والحاقه
بآل العصيان وكفران الاحسان بها فنهضا في العدة والعديد
والبطش الشديد واستلحقا ابا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ
لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل ومخارم تلك الشعاب
والقلل فسار اليها في رجال قد كلا منهم التجارب وجنتهم النوائب
يتجمّعون باطراف الثنايا على الزبر ويدخلون ولو خرت الابر
ودمرا على الشارين تلك الناحية فاما الشار الكبير الوالد
ابو نصر فاستشف اسناد العاقبة واغتنم سعاد العافية
ولاذ بالامان الى الحاجب التونتاش مظهرا للبراءة من
فعل ولده وصادعا بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه وتمرده
وتحمل بشفاعته الى السلطان في ملاحظته بعين من لم يرتكب
جريرة ولم يبغ سريرة ولم يبدل في الطاعة والاخلاص سريرة
فحُدر الى هراة بين ترفيه اقتضته طاعته واحتياط اوجبه

تاخر شان

خلاف الإبن ومبايعته وكتب بحاله إلى السلطان فورد في الجواب ما
آمنه من المؤاخذة وعنت المعاقبة وأما ابنه الشاه فتحصن
بالقلعة التي أواها أنام السيمجورية وهي التي سبق وصفها في
حزم الجوانب ومناعة المناكب وصعوبة المصاعد والسمو على
متون الغيوم الرواكد واستصحب إليها خواص غلمانه وحزانته
وسائر حاشيته وبطانته وقصده الحاجب التونتاش وأرسلان
الجاذب في الجم الغفير من أعيان القواد وأبطال الأفراد
ونقاسما أركان الحصار قذفا بالمجانيق المنصوبة والعرادات
الموضوعة ومناوشة للحرب من جهات كادت حشاشات
النفوس من هول المقام أن تذوق كؤوس الحمام قبل ذوقها
بوقع السيوف والسهام وأملا صبوح تلك الحروب بالغبوق
حتى هدما أجدر أسوار الحصار فوضعا بالحضيض من وقع الجلاميد
وصدم المجانيق وتسلقها أهل العسكر منجين على سائر الأسوار
كالعصم وأقلة في شم الهضاب أو الأراني هاربة من غضف
الكلاب واشتبكت الحرب على تلك الجبال ضربا بالسيوف القواضب

وأخذا باللحى والذوائب حتى سالت المذانب من دفع النحور
وأجرت المنابع من علق الصدور ورأى الشاه عند ذلك
من هول المطلع ما لم يكن له في حساب فدعا الأمان الأمان هيهات
إن غضاب النفوس إذا ما دنت نجح المرام ووجه التشفي إلا انتقام
الموقرة الآذان أو تنفعل أفعالها وتنال من درك الثار منالها
وما زالت تلك دعواه وهذه حالهم حتى أخذوه أسيرا واستنزلوه
عنوة وقسرا واستبيح ذلك الحريم بما حواه من درهم ودينار
ومال واستظهار وأخذا جميع وذخيرة بل ذريه وسمينه بل قليله
وكثيره فوضع عليه الرصد حتى أعفى بما عرفه من ذخائره
وخيرة من ودائعه وحلت عامة أوليائه وعماله والمتصرفين
في أمور أمواله حتى عروا عن لباس اليسار وحرت أخلافهم
دون الاستدرار وقوطع أبو الحسن المنيعي عن ارتفاع الغرش
على ما علم ارتفاعه منه قبل الشار فتمكن منها واستخلف هنالك
من يقوي يده في عمله وسخر الحصار بحول يوثق بأمانته
وجلده وبعث السلطان بعض خواصه لنقل الشار المأسور إلى حضرته

على سبيل الزفاف لي من جهته فلما سلم اليه حصل في وثاقه
نحو غرفته وسمعت بعض الثقات انه اتفق للغلام ان كتب
الى اهله بخبره وما لقيه في حالتي وزده وصده و
يبشرهم بمنصرفه فاستدعى الشار في عقاله وامره
بتولي ذلك بخط يده فانعم تفكرا ثم اظهر تشكرا وكتب ما
هذا معناه: انها القحبة الزجبة اترين اغفل عما احدثته
بعدي من حيا نتي في الفراش وتمزيق ما خلفته عليك
من مالي في كل منكود ومحظود وها انا عائد اليك وايم الله
لاصنعن الدهر عليك وعلى والديك ولادقن يديك
على رجليك ولاجعلنك عظة لذبابات الخدور في الدور بالكدا
وكذا واستانف الشتم حتى علم انه قد اكتفى واشتفى ثم
طوى الكتاب ودفعه الى الغلام فطير به بعض ثقاته فقامت
القيامة على اهله وخفق عدو واسعى بهن وحرق من صورتهن
وفكرن في امرهن فوجدن اصوب الاراء تفريغ الدار وتقليم
الاستتار وفعلن ذلك ذا اسبابا على القلق باتيان على الجوب

والارق

والارق فلما وصل الغلام الى الدار فاذا هي كالقاع القرق
لا يلم بها نافخ ضرمة ولا تخلق ذمة وبقي حيران وسال
الجيران فاخبروه بصورة الحال والكتاب وما خيف من الفضيحة
والعقاب فدعا وبلاه ولعن الكاتب ومن والاه والكتاب ومن
املاه واحتال في رد العيال بضمان الكف واحسان جدده وبلغ
الخبر السلطان فضحك لاحتيال الشار عليه وقال كنا احق
بمثله ممن يستخدم الشار كاتبا ويضع حرمته بالاسر جانبا
ولما جيء به الى الباب تقدم السلطان بتجريده للسياط تاديبا
له على ما اغفله من حق النعمة وهتكه من ستر الحشمة تجرد
لها واخذته عذبات العذاب فاكثر الضراعة والابتهال
وشكا الذل والمهانة فلما استوفى التاديب حقه دون ان
يبلغ النكير منتهاه والعقاب امده ومداه امر بانزاله و
اعتقاله في موضع يصلح لامثاله وامر بمواساته والتوسيع
عليه في اقواته من حيث لا يشعر باذنه فيه وفيما اتاحه له
من الستر فيه كرما سري في نفسا خيف من اجه سراية الحمة

ولا الحمة

في عروق البشر أو الماء في عروق الشجر ، والتمس لشفاعته
بخلاص كان خطئاً عنده ، فرد عليه ، وأعيد بعض ما تطلبه إليه
فأما ابن المقيم بهراة فأذن له في ورود الباب ، ولوحظ
بعين الإيجاب ، وأتاح السلطان منها خاص ضياعها بالعرش
جلالها عن عقدة الشبهة ، واستضافه إياها إلى جملة ضياعه
الملكية ، وأمر لهما بأثمان ما باعاه نقداً صيانة لهما عن مس
الفاقة وذل الحاجة ، ورفرف الشيخ الجليل شمس الكفاة على
الشاد أبي نصر بجناح الإكرام والرعاية حتى أتاه الداعي وقام
به الناعي وذلك في سنة ست وأربع مائة ، **ذكر وقعة**
نارذين قد كان السلطان لما استصفى جبة الهند إلى حيث لم
يبلغه في الإسلام راية ، ولم تتل بها قط سورة ولا آية ، فدحض
منها أدران الشرك ، وقمع دونها أعباء الكفر ، وبنى بها مساجد
يقوم فيها دعاة الله بالأذان الذي هو شعار الإيمان ، رأى أن
يغزو تلك الديار إلى واسطة الهند منتقماً لله ممن يجحد
توحيده ، ويضع لعبادة الأنداد من دونه تعالى جده ويريده ،

الأشباه والأضداد

يحكم فيه سيوفاً طبعت على غرار الإسلام ، وسقيت بماء الإيمان
وصيغت في قراب دين الله ، وانتضيت بأيدي الأخيار والأبرار
من أولياء الله ، فندب الرجال ، وفرق الأموال ، واخلص المعين
واستخلص الواحد المعين ، ونهض في الظلم والرتم ، والليل المدلهم
وذلك في سنة أربع وأربع مائة ، وجعل المسير في أخريات
الخريف ثقة بطيب الهواء من جانب الجنوب ، فاتفق عند
اقتحامه تلك الديار أن سقطت ثلوج لم يعهد قبلها مثلها ، فسدت
مخارق الجبال ، وسوت بين الأباطح والتلال ، وكلح وجه الهواء
كلوحاً أثر في الحوافر والأخفاف ، فضلاً عن المحاسير والأطراف
وطمت مهايع الطرق فلم يعرف الميامن من المياسر ، ولا
المقادم من المآخر ، واضطر الحال إلى الانعطاف إلى أن أذن
الله تأنياً في الانصراف ، ولكل شيء حد يحده ، وأمد من المقدار
يمده ، ودعوا أقبل السلطان على استئناف العدة والعتاد ، واستكمال
الميرة والأزواد ، واستدعاء أعيان الغزاة من أطراف البلاد
حتى إذا انتجت العدة والعديد ، وباهى العقد بأخواته الفريدة

وتصام الناس كقزع الخريف من كل وجه منشوزا او عن كل
اوب محثوثا ومحشوزا واقبل الربيع بطيب المقيل وبرد الغداة
والاصيل استجازه في الرحيل وسار كالبحر الاخضر بغرته
الاعاصير والامر الحتم تجنبه المقادير فغدت وحوش
الارض ماسوقة وطيور الجو مقهورة ولو احسبت الارض
لرنت من ثقل الحديد والمشي الوئيد وجنب الابطال فوق
القب القياديد وساق امامه ادلاء يهتدون اعماق
تلك البلاد ولا الشمس طالعة ولا النجوم مشتبهة وزاحفة
وجنب الركائب شهدين بين انهار عميقة الاغوار بعيدة
ما بين الاقطار وبوادي يضل في ارجائها اسراب القطا فيرمو كاد
في دهنائها افواج العصافير حتى اذا قارب المقصد عبى الخيول
كتائب وميزها عصائب ورتبها كواكب وقسمها مياسر ومقانبا
ونصب اخاه الامير نصر بن ناصر الدين في الميمنة في كماة
القواد وحماة الافراد وارسلان الحاجب في الميسرة في البهم
الذكور والبزل الفحول وجعل ابا عبد الله محمد بن ابراهيم

الطائي

الطائي على المقدمة في مساعير العرب احلاس الظهور وابناء
الصوارم الذكور ورتب في القلب التونتاش وسائر خواصه
وغلمان داره رجالا اذا اصطفوا فالجبال الشوامخ او زحفوا
فالسيول الدوافق ونذر بهم عدو الله ملك الهند ففزع من
فاجئ الفزع الى من حوله من عساكره واعيان جيوشه وناصريه
ولجأ الى شعب جبل لج المدخل حصين المتوغل صعب المرتقى
والمتوقل مستعصما بالاحتجاز عن البراز وبالاحتجار عن
وقع الباس وسد مفغر الجبل بفيلة لديرها الراوون
هضابا راسية وجبالا لا رابية وبث النفير في اقطار مملكته
يستنهض من يحمل حجرا فضلا عمن يلقم القوس وترا او
يحبس بالسيف اثرا وجد في طول المطاولة كي يلقى بقوة
وافية وعدة متوافية او يلجئ اولياء الله الى الاخلال من فرط
الملال او النفور من ضيق الصدور ولم يعلم ان الله تعالى
من وراء المؤمنين وان الله موهن كيد الكافرين ولما علم السلطان
من نيته في ارجاء القتال وتأخير النزال دلف الى عدو الله

بقلوب قد صقلها التوحيد وبشرها الوعد وأنذرها الوعيد
وزحفه بالصيلم من رجالة الديلم وبالشياطين من الأفغانية
المقاعين رجال كالآجال مطوحة بالنفوس مدلة بالأعين
النفوس أو اللبوث أحرجها الجوع وأهاجها إلى أشبالها الرجوع
تنفذ في رتبة الأسداد نفوذ الثاقب في العيدان أو الشياطين في
الجان ويفترعون البوادخ كالوعول وينزلون عنها منحدر
السيول وواصلها عليهم إلمامًا تباعًا تجذبهم بصدق البراز إلى
البراز جذب النار للسليط والمغناطيس للحديد فكلما نادوا تلك
المضايق التقطهم الفرسان كما يلتقط الأفراس البيادق ولم
يزل هذه حالهم حتى انضم إلى اللعين أكثر من والاه ولبى معظم
من دعاه وعنده احتشد للبروز مستندًا إلى الجبل ومن حوله
الأفيال كالقلل فجد المصاح واحتد القراع وحمي الوطيس
واستوى المرؤوس والرئيس وصار اللقاء كفاحًا بين آخذ
بالتلابيب ومنافر كالميعاقب ومضارب ما بين الرؤوس من سالف
العراقيب فكلما أشبت القبيلة للتهويل والتفخيم والحطم بالأفلاك

والخراطيم

والخراطيم مطرتها سحائب الرانات ملوية كالأراقم منسابة
إلى حدق العيون أو ثغر الحلاقم ورأى الكافر موقع أولياء
الله الطالق من القضاء وضراوته بإسالة الدماء فاستحى بأخس
من في حيلته شوكة وأعظمهم شكة حتى أحاطوا ضربًا على الهام
وحطمًا من خلف وقدام وهو كالحرون ثابت لا يميل شرف
مقامه ولا يكل دون الضرب بحسامه متشحًا بالزيح في
نصر الدين وطاعة رب العالمين ورأى السلطان إلحاح الكفرة
عليه فأمده بكوكبة من خواصه لاستخلاصه فاستنقذوه
إلى السلطان مشنوقًا بالسيوف منقوطًا بالأسنة كالجراد
فأمر له بفيل يستريح إلى سعيه عن ألم الجراح بجوارحه
فصار ملكًا له يتميز به من أعيان أهل عسكره ولم تزل الحرب
على حالها حتى أهب الله ريح النصر لأوليائه وأدار دائرة
السوء على أعدائه فأخذتهم سيوف الحق تحسمهم بين كل
مصاد ومنعطف واد ومدخل ومغار ومخسف ومنار
ومُلكت عليهم الفيلة التي أعدوها حصونًا واقية فصارت

عليهم عيابة باقية وأفاء الله على السلطان وأوليائه غنائم
رحبت الصدور عن رين الحسد لاشتراك الكافة في الغنى
المقصود واستوائهم في كفاية الموجود وفتح الله نارذين
فتحًا طرز به شعار الإسلام إذ لم يبلغه راية الحق من لدن
عهد النبي عليه السلام إلى زمان السلطان حرس الله له
على يده وصنعًا أتاح الله له التوفيق والتيسير من عنده ووجد
في بيت بدّ حجرًا منقورًا دلت كتابته على أنه مبني منذ
أربعين ألف سنة فقضى السلطان من جهل القوم إذ كان
أهل الشريعة الغراء والحق المنزل من السماء على أن عمر
الدنيا سبعة آلاف سنة وأنا منها في الألف الأخيرة وكل
ما تناذرت به الأخبار من أمارات الساعة موجودة
بأبصار العيون وبصائر القلوب مشهودة واستفتى فيه منقول
أعيان العلماء فكل أجمع على إنكار ذلك المنقور وعلى تزييف
مثلها من شهادات الصخور وعاد السلطان وراءه تشكل
الغنائم العظيمة فكاد عدد الأرقاء من العبيد والإماء يزيد

على عدد

على عدد الدهماء ورخصت قيم المماليك فصار أصحاب البيتر
الكاملة فضلًا عمن فوقهم من السوقة يعتقدون عدة من
تلك الرقبة وذلك فضل الله الذي أعز به الدين وأذل
الإلحاد والملحدين والحمد لله رب العالمين

ذكر وقعة تانيسر

قد كان أنهي إلى السلطان أن بناحية تانيسر
فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحروب وأن
صاحبها غال بها في الكفر والجحود وعتو الجند في الطغوى والعنود
وأنه يختلج إلى ذوقه من كأسه وجرعة من جرعات بأسه ليعلم
أن عز الإسلام عام وأن له من سطوة الله سهمًا كالنار في
أقيال الهند سهام فعزم السلطان على غزوة إليه يرفع بها راية
الإسلام ويفسح معها ولاية الأصنام ويدرج الكفر عليها مجبوب
الغارب والسنام ويسار في أولياء الله الذين قد نشأوا على
القراع نشأ الأطفال على الرضاع وضروا بدماء الكفار
ضراوة الصقور بغاث الأطيار وقطع إلى المذكور أودية
لم يقطعها غير طاير أو حيوان جاير وخرق سباسب لم يطأها

رجل ماش ولاخف حافر وجهدهم في ركل القفار غلالات الشعاب وبلالات الاقوام فضلا عن سائر الاقوات حتى صنع الله لهم بأن بدت امامهم فضاء يفضي الى ناحية المقصود ودونه نهر صخابة ارضه طراب وصفاح كظبي السيوف حدادا يلقى بباطنه شعب جبل قد استند اليه الكافر مستظهرا بعيوله ومتكثرا بافناء رجاله وخيوله فاحتال السلطان بفتال عسكره في مجاوزة النهر الى اعداء الله الكفرة الفجرة حتى عابوه من طرفيه وشغلوهم بالنار من كلا الجانبين وهاجت الكفاح بين الفريقين امر السلطان بحملة على الكفار في مخاضات النهر الهائل والمآزق الضيقة الشائك تزجيهم من طرف الساحل وتقحمهم اشداق تلك الشعاب والمداخل واشتدت الحرب ضربا بالخناجر في الجناجر وبالقواضب في المناكب واولياء الله في كل حال ظاهرون والكافرون هم الصاغرون حتى اذا كادهم شباب النهار حمل المسلمون من جميع الجهات جملة واوجرت بهم قوات تلك المخارم مضطربين فكلفوا الفيلة التي كانوا بها معتزين وتبعها اولياء الله يردون

الاعظم

الاعظم فالاعظم منها الى موقف السلطان فلم يفتهم الا ما حذف في الحرب او ضاع دون اقتناصه مجال الطلب وصبت من دماء اولئك الارجاس ما نجس به النهر الحاجز على طهارته وامتنع من الشرب على غزارته لولا ان الليل ستر اثرهم لاستلحم الويل اكثرهم صنعا من الله لدين بعث به رسوله المصطفى عليه السلم وعلى آله الذين ارتضى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهو على الازدياد الى يوم التناد وانصرف السلطان باولياء الله غانما موفورا وظاهرا منصورا ومحمود الكاسة ماجورا وقد غنم ما تكل عن ذكره انامل التحرير وتطيق عن اثباته ادراج الاضابير وتطايرت البشاير في الآفاق وخفقت عليها اجنحة الغروب والاشراق والحمد لله رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين

ذكر الوزير ابي العباس الفضل بن احمد وما انتهت الحال اليه الى ان مضى لسبيله

قد كان الوزير ابو العباس من خاصة فايق الملقب كان بعميد الدولة ومن

كفاة بابه وثقات اصحابه وكان على البريد بمرو ايام مسالمة السلطان بنيسابور فنمي الى ناصر الدين سبكتكين خبر قوته وامانته فكتب الى الرضي يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية اعماله وتدبير امور امواله ورجاله فاوجب اجابته الى ملتمسه وخوطب بالدار الى نيسابور على مقتضى مثاله فاعتمده السلطان للوزارة واستكفاه مهمات الامارة بعد ان تبوأ مقام الشيخ ابي القاسم احمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة واصالة واصابة وهداية ودراية وحماية وحياطة اذ لم يكن على ظهر الارض شابة بين لداته اغنى منه غناء وامضى مضاء واذكى ذكاء وادهى دهاء غير ان الامير سبكتكين جنى عليه في ابيه عند اعتماده لوزارته بسط تدبير اعمالها واموالها جباية سبق السيف فيها العذل اصغاء منه الى عداته فيما سيقولونه فيه من رفيعة وليفتقوا عليه من سعاية ووقيعة فاستوحش منه استيحاشا من بادرة فعله والمبتلى نفور والقلوب من ذوي الاساءة صور وكره السلطان الاستبداد عليه في انتضايه

حسب

حسب ارتضائه واستكفائه وفوض المحمود من وفائه طاعة له في اختياره واتباعا لفلك رايه تحت مدارة وقضى الله ان يكون بما يليه حتى يعترف خراسان بانه عذيقها المرجب وجذيلها المحكك يمنع ما يفسده الغير بالاستصلاح ويسد ما اخرجته ايدي الاجتياح ويداوي كل عاب بدوائه ويرد عائر الماء الى مجاريه فاجرى الوزير ابو العباس الامور مجاريها على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستدرار وقصد التوفير دون الاستعمار حتى جبى ما لا عطاها سنين عدة اذ كانت خراسان بعد مكسوعة باغبارها لم يترف منها دواعي اللبن ولم ينتزع عنها كواسي السمن فلما احتلبها انتزافا واستنفد ما في ضروعها اسرافا ومن قبل ما قد جال بينها وبين خصب المراتع وبرد الموارد والمشارع وصنعت له ما على ظهورها من فضول دسم وسمحت بما وراء عظامها من نقي مخشم حتى صارت من فرط الهزال والعجف كالاهلة المحنية بل الاخلة البرية وتداعى الخراب معظم الضياع ووقعت

الغنيّ بين القصور والانقطاع وشرّد في البلاد اكثر الاكرة
والزرّاع بعلّة ما اخذ الجار بذنب الجار والزم القارّ مؤونة
الفارّ حتى تمّت البلوى وعمّت الشكوى وشملت نوائب البؤس
وذهبت جرائب النفوس وصدمتهم سنة القحط بعقبها
فصار الغنيّ محسورا والمتوسّط مقتولا والفقير مفقودا او
كان امر الله قدرا مقدورا ونعبت في رقاب خراسان بقايا
كلّ متعذّر ومنكسر وتاوٍ ومتحيّر لو اذيبت عن آخرها منها
لم يف بعضها فضلا عما جمعته اقلام الاستيفاء منها فاظهر
السلطان ضجرا من تحيّر الاموال وتراجع الارتفاعات وطالب
الوزير منها بالقطعة وأثواه وضيّعه وهو يرجع القول على
سبيل الدالّة بين البراءة والاحالة فلما عضّه العتب بثقافه
اظهر الاستعفاء وجلب الى نفسه البلاء واسلم النفس لحينها
واثر الحبس فرارا وتوسّط الملا بين السلطان وبينه على ان يجبر
بعض المنكسر من خاصّ ماله مما استفضله طول وزارته من مرافق
اعماله فأبى ان ينزل عن درهم الا بعذابه وحبسه الى ان شاء من

قلاعه

قلاعه مبلغ المتبرّم بالعمل المتعرّض بالامل المستسلم للبليّة
المتهالك بالمنيّة واختار عند ذلك السلطان الدهقان ابا
اسحق محمد بن الحسين وهو اذ ذاك رئيس بلخ لصحابة الديوان
واستنطاف البقايا على العمال والسكان فانهضه الى ها سنة
احدى واربع مائة فانجذب الى هراة وجبى من الاموال بادرة
اخلافه ولانت عن المسّ اعطافه ولم يلبث الا يسيرا اجتبى
حملا جملا كثيرا والوزير ابو العباس بعد في صدر الوزارة والشيخ
الجليل ابو القسم يسعى بينه وبين السلطان على سبيل السفارة يروم
استصلاحه اياه كي يشتدّ به مكانه ويستدّ الى غرض الاستقامة
شأنه وهو يأبى سوى اللجاج في القاء القول عن حدّ المزاح
حكما من الله عليه لم يسع ردّه وقضاء سابقا اعيى العالمين
صدّه وما زالت هذه حاله لزوما للصدر على بابه من ضعة القدر
الى ان ركب بنفسه الى قلعة غزنه مشروحا ترجمه الى الاعتقال
عمّا تولاه ومنبّها بجملة ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلا
يشتري الحبس اختيارا ويستقبل صرف الزمان بدارا وعاط

السلطان مما اتاه فاستبدله الخطّ بغرامة ما جناه في امواله و
رعاياه فبذل خطّه بمائة الف دينار ثم لم يزل يستدرّ الى ان
عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثم استحلفه السلطان بحيوة
رأسه على ظاهر افلاسه وعلى اغلاق دمه ان وجد من الطلب
له بمال مفرّقا ومجمّعا ومدفونا ومستودعا وبقي على جملة
ايمانه اولاده معفى عن الارهاق والتعنيف مصونا عن
التحامل والتكليف الى ان ظهر على ما ذكر له مال عند بعض
التجار ببلخ وديعة فأخذه وأمر بوضع الدهق عليه لاستصفاء
واستخراج ما وفاه بنفسه وكرمائه وما بقي من رموع جاهه
ومائه واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة
حاله واستبراء ما يصدق او يكذب من مقاله والدهق يستمرّ
به على الدوام وينال منه يوما بيوم حتى اتاه اجله وحاق به
ما كان يستعجله وذلك سنة اربع واربعمائة ولما عاد
السلطان وراءه ساءه ما سمع فيه وهيهات اين من المساءة
روح مطموسة ونفس بين اطباق الثرى مرموسة كذلك

من آثر

من آثر المخلوق على الخالق ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق
وقد كان ادرك له ولد في صدر وزارته يعرف بابي القسم
محمد بن الفضل فبرع على ميعة الشباب في وجوه الفضائل
والآداب حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض
نظمه ونثره فمن شعره في ابيه قوله من قصيدة

لقد اربى ابو العباس جودا على جود الربيع لمعتفيه
ففي احدى يديه ممات قوم وفي الاخرى الحيوة لمرتجيه
لقد خضعت لك الدنيا ودانت فلا صرف سواه فترتقيه
واقبل نحوك الاقبال حتى غدا بصرا وانت النور فيه
فنوّر الف عزّ وسعدا رفيع الجدّ في عيش رفيه

وله احجيّة

وزنجيّة قادت الى القوم بضعة لينكحها من كان يعشقها قدما
فقام اليها واحد بعد واحد فلم يرد ذنبا فعلهم لا ولا اثما

وادركته حرفة الادب فاختطفته يد المنيّة انضر ما
كان عودا واتمّه نموّا واقرب سعودا واجمل قيلا ما

وجودا ويحكى عن بعض أصحابه انه أصبح ذات يوم يروي بيتين لقنهما في المنام وهي

أرى الدنيا وزخرفها ككأس ... تدور على أناس من أناس

فلا تبقى على أحد كما لا ... يدوم بقاؤها في كف حاسي

فقطعه لا يبينها ولما قضى نحبه زاد أبو الحسن المؤملي الكاتب رحمه الله فيه أبياتا وهي

أبعد محمد بن الفضل أرجو ... أماناً لي من الدهر العماس

أساس الفضل كان به فأودى ... وأبقى الفضل منهدم الأساس

فتى في نثره والنظم أربى ... على ابن ثوابة وأبي نواس

رأى في النوم منحرق حرير ... لمقصده وها وأبو فراس

سأحفظ عهده ما دمت حياً ... وحفظ العهد من كرم الناس

ورثاه بعض أهل العصر

يا عين جودي بدم ساجم ... على الفتى الحر أبي القاسم

قد كاد أن يهدمني فقده ... لولا التسلي بأبي القاسم

وقد سد الله مكان الماضين بأبي الحسن علي بن الفضل المعروف بالحجاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره وجود مؤكل

بانتشار آمال الأحرار اذ صورة فتى السن في حصافة الكهول جبان الرأي في شجاعة البسول أدهم البأس في غرة السماحة قدم الحيا في ذلق الفصاحة ندب الى أعمال جوزجان فدرّت على الإبساس وللاينة ونقل الى أعمال نسا وابيورد فضاقت عن فضفاض كفايته بصون الأعمال صيانة عرضه عما يقدنه ويحيي الآمال احياءه شرف أبيه ويميت بدع الرسوم اماتته ذكر أياديه

تسمو الرجال بآباء وآونة ... تسمو الرجال بأبناء وتزدان

كم من أب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علت برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد بن الحسن الميمندي

قد كان الشيخ الجليل أبو القاسم يلي ديوان الرسائل للسلطان أيام سالارية بخراسان وهو الكريم نسبا العظيم حسبا القريب مجدا وحرية الوثيق رأيا وروية تنادي عليه أقطار الأرض بفصاحة القلم وسماحة الشيم ونفاسة الهمم واحتقار الدينار والدرهم ودرجه وفاقه للسلطان على تصاريف الأحوال به الى أن ولاه عرض عساكره في أقطار ممالكه وزاده أعمال بست والرخج وما والاهما بأمولها وارتفاعاتها

علاوة على ما ولاه فقام بجميع ما تولاه قيام من وفقه الله وجدا عليه جوده بني الآمال من أطراف البلاد فوسعهم جداه وعمرهم نداه وكتبت لهم أمانا من الفقر يداه وأما مروته فليؤمن بالمعجزة الصادقة الصادعة منها الا من شاهدها عيانا واستغنى عدول احسانه سبرا وامتحانا وكان الوزير أبو العباس لا يصدر الا عن رأيه ولا يحتشم غيره في تصاريف عزماته وانجاح لفخامة شأنه ومكانه المعمورة من سلطانه ووساطته بينهما في معظم ما يزجيه ويرجيه ويجيبه ويقضيه ويفتله ويثنيه ويذله ويأبيه ويقدره ويمضيه ولما وهت عليه قوة امره وانكسرت سورة حمره واتفق للسلطان أن يرحل نحو ناراين في الغزوة التي تقدم ذكرها استخلف الشيخ الجليل على مهمات بابه وامداد صاحب الديوان فيما يليه ويجبيه ويليه بصواب رأيه وبعثه على مواصلة الحمول عن فرط جده وعنايته فهو متسم بالوزارة غير متسم بها الى أن اتفق للسلطان استدعاء صاحب الديوان في عمال خراسان لرفع الحسابات وتقرير المعاملات وذلك سنة خمس وأربعمائة فمضى

اليه كل ذي خبر ومرؤوس وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول وسمين ومهزول وقد اتخذوا الطم والرمم حرابا ووضعوا الأرواح على الراح توكلا واستسلاما ووافق وصولهم ركضة جرها السلطان الى الهند فبث منهم لاذناب أهل عسكره يمادة ووكلهم باستخراجه في مدة يومين لاهتمام الركض وضيق رقعة الوقت فصبوا عليهم السلم وسلخوا سلخ الغنم وأقبموا على جمرة الضرم وكسوا على الهام والقمم حتى امتصوا منهم عن تضاعيف اللحم والدم وعند هذا أمر السلطان فصبت على الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه مهمات الامارة وأمره بمحاسبة العمال ومطالبتهم بما صار في ذممهم من الأموال محكما في الحل والعقد مخيرا بين الأخذ والرد وسار السلطان نحو مقصده وأقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذب الأمور ونظم المنثور ووظف الأموال وصرف العمال ورد صاحب الديوان أبا إسحق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما لزمهم من عاجل وباق وعتيق وناض وقعد في الدست كالبدر المنير والسيف الشهير منفردا بالتدبير محتفيا بروعة الملك وهيبة السرير فلما اتفق

عود السلطان الى قراءة عزم وشاهد الامور فى كنف وزارته منظومة
العقود مضبوطة الحدود والاحوال وافرة الربوع حافلة الضروع رسم
له الى ان يحدد الى خراسان مستنطقا ماوهى اووهن صاحب الديوان
لجبايته واستيفائه وفض اوقصر عن نحوضه وامترائه فانحدر
الى هراة وهيبته تأخذ النفوس بمخنقها وتخلج القلوب
عن معلقها ويكاد ينطق له كل مال مخزون ويلفظ اليه كل درهم
مدفون فجمع من شيخ النفوس باجمعه واستكراهها منعته
مالا لم يسمع بمثله محمولا من خراسان ذهبا واوراقا وعضا
دقاقا وغلمانا رشاقا وافراسا عتاقا وتلاحقت الرفايع على صاحب
الديوان بما ناله من صنوف المنافع ووجوه المطامع فسامه السلطان
تصحيحها تسببا وحملا الى بيت المال فريثما اعتزل العمل و
نزل عن كل ما حصل وفرغ من بعد الى الخاص املاكه وضياعه و
مواشيه وكراعه وتجمله واثاثه حتى حل انابه بحل ما اعتقده منها
على حال مصادرته وما جمع عليه من بقايا عمله وكان الوزير
ابو العباس قليل البضاعة فى الصناعة لم يعن بها فى سالف الايام

ولم يرض بنانه بجذ بة الاقلام فانتقلت المخاطبات مدة ايامه الى
الفارسية حتى كسدت سوق البيان وبارت بضاعة الاجادة
والاحسان واستوت درجات العجزة والكفاة والتقى الفاضل
والمفضول على خطى الموازاة فلما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل
اسعد الله جدود الافاضل وزاد بمكانه حدود الفضائل
ورفع الوية الكتاب وعمر افنية الاداب فحجزهم على اوسجية
ديوانه ان يتنكبوا الفارسية الا عن ضرورة من جهل من
يكتب اليه وتجمع عن فهم ما يتعرف به عليه فطارت توقيعاته
فى البلاد ولا شوارد الامثال وابيات المعانى من القصايد
الطوال ففى كل ناد بدا بانجابها وفى كل مشهد شهادة باستحسانها
فاما الشعر فقد نشر عليه بجوده وسعد به جدوده وفتق العذب
الرواء صنوده فاز بابه كالغادب تغرد اسبابه والقارئ
تنجيعا على الضرب المادى من ضرائبه فهو يعدله فى الناس عنان
ورحمة وبفضله لاهل الفضل ثمال وعصمة وانفرد تدبير البلاد
والعباد بناء على الاساس وحفا على الاثار واخافة على الاحسان

ومكافاة بالاساءة والاحسان واسو الجراح القلوب بمراهم
الترغيب والكار بمعروف العبارة سابق التجريب واشارة على
السلطان فى امور مملكته بما يفيده عاجل التوفير واجل الثواب
الغزير لاجرم انه استتبت الامور بعنايته وانسدت الثغور
على ارائه وكذلك من كان على العلم ابرادة وامداده وعلى
البصيرة ارعاده وبداره ذكر شمس المعالى قابوس وشمكير
وما ختم به اجله وانصار الامر فلك المعالى اى منصور
منوجهر منصبه ووراثة مملكته قد كان ذلك الامير على
ما خص به من المناقب والراى البصير بالعواقب والمجد المنيف
على النجم الثاقب مر السياسة لا يستساغ كاسه ولا يومن بحال
سطوته وباسه يقابل زلة القدم باراقة الدم ولا يعرف
فى ادنى درجات العتاب وان لم يقصد اليه مراده ولم يشترك
فى كتبه اعتقاد عبر حز الانتقام بحد الحسام والتفليق
عن مركب الهام لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف
معنى السوط والخشب ولا يرى للجنس الا ماس الصفايح و

والترب وهلك على خشونة هذا اللبس وصعوبة هذا البطش
قيام من حاشيته لو استبقاهم على خفة اجرامهم لكان اشبه
بالجلالة واليق بالاصالة والعدالة فما زالت هذه حاله حتى
استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب عنه وتجنبت
الصدور عليه ومالت عنه الاهواء المائلة اليه اذ كان احد
لا يامن العين ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب مجحفا
بالخطاء اليسير مارت النفوس نجاحه والارواح متباعدة
والمرء من البشر لا من ورق الشجر فهو اذا مات فقد فات
وليس ما يعود بعد ما جرى العود واتفق ان حاجبا له كان
يعرف بحاجب نعيم وهو احد الكراكلة فى جدود دهان
عديم الغائلة والغادية سليم الناحية من بين اقنائه الحاشية
وكان اعتمده لضبط استراباذ وسياستها فرفع عليه انه
طمع فى بعض رعاياها فى مال او مال الى الانتفاع منهم
بمال فامر بقتله وتعليقه عن خبط رقبته وهو يستغيث مفصحا
براءة ساحته ونقاء جيبه وراحته وقصور ما يبغى به عليه

لو صحّ اسناده عن إفاتة نفسه وإراقة دمه فزاد ذلك في
إيغار الصدور وإضغان القلوب وتوامر عند ذلك أعيان
العسكر على خلعه ونزع الأيدي عن طاعته وكفاية النفوس
شغلها بثقل وطأته وخشونة سياسته ووافق هذا التدبير
منهم غيبته عن جرجان الى المعسكر بجناشك استبدالا لهوائها
عن لفح الحرور وتأثير طلوع الشعرى العبور فعمي عليه وجه
الصورة وشذّ عنه علم تلك المشورة فلم يرعه ذات ليلة غير
زحام العسكر بباب القلعة التي اعتصم بها وانتهابهم أمواله
وأفراسه وبغاله ومرابطهم فشرع واستنزله الله بهم في وجوههم
من كانوا نزولا بفنائه محامين من ورائه حتى انكفئوا عنه
خاسئين وولّوا على أعقابهم داخرين ومالوا الى جرجان
فتملّكوها عليه معلنين شعار العصيان لابسين غيار الكفران
وبعثوا الى الامير ابي منصور منوچهر بن قابوس وهو بطبرستان
يستحثّونه على الورود لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه
فطار اليهم بقوادم العقاب استعطافا للحادث بأبيه واكبارا

لما نفذ

لما نفذ من المكيدة فيه وطمعا في تدارك الخطب وتلافيه فلما دنا منهم
مضربه تواثقوا على طاعته ان خلع اباه واستنزله رداء الملك ان اباه
فلم يجد في عاجل الحال غير المداراة ضبطا لما انتشر ورتقا لما استفتق
وصونا لستر الحشمة من الانخراق وابقاء على سكر التلاد من
الانبثاق واشفاقا على البيت من الضياع وعلى الملك من التخطّف
والانتزاع وقد كان شمس المعالي لما سمع بنبإ القوم واجماع كلمتهم
على الخلع عطف بمن معه من رجال ومال الى ناحية بسطام
ناظرا لما تسفر عنه عاقبة التجريب وتنتهي اليه نائرة التغلّب والتوثّب
فلما تسامعوا بمنابه استنكروا الامير منوچهر على قصده وازعاجه
عن مكانه او ردّه فسار معتمّا اليه مضطرّا ودافعا بالشرمة كالجمل
الآنف ان قيد انقاد وان أنيخ على صخرة استناخ فلما وصل الى ابيه
اذن له دون من معه من اتباعه وحواشيه اذ قام دونه من خاصّته
رجال يرون الموت شهدا دون خذلانه والروح وقفا على شكر
احسانه فلما وصل اليه كفّر طاعة وخضوعا وأسال أودية الشؤون
دموعا وتشاكيا صعوبة الحادث وتذاكرا حقّ المورّث والوارث

وعرض الامير منوچهر أن يكون مجنّا بينه وبين أعاديه وان
ذهبت نفسه فيه ورأى شمس المعالي أن العارض قصار أمره وختام
عمره وأنه أحقّ بوراثة ملكه وولاية الامر من بعده وسلّم
خاتم الملك اليه من يده واستوصاه الخير به ما دام في فسحة
من عمره وتواضعا على أن ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرّغا للعبادة
الى أن يأتيه يقينه فيسلم له نفسه ودينه وأن ينفرد الامير منوچهر
بتقرير الملك قربا وتقديرا وتقديما وتأخيرا وقدّمت اليه عمّارية
على هذه الجملة فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته
على تحرّي مصلحته وعطف الامير منوچهر الى جرجان فولي الصدد
وضبط الامر واخذ يداري القوم ترغيبا وتطميعا وتمنّيهم الاحسان
جميعا وهم على جملة النفور خيفة الثبور ما دام شمس المعالي في
فسحة البقاء وزمرة الاحياء وما زالوا في الاحتيال عليه حتى فرغوا
من أمره وسلموا كما زعموا من عادية شرّه ولم يرضوا به وهو في جوار
الاموات حتى كفنوا عن محيّاه رداء رداه وقابلوا نفوسا حين عدموا
كابوسا وواروه في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظاهر جرجان على سمت

خراسان

خراسان وعند الناس في معناه كما قيل نبّئت أن النار بعدك أوقدت
واستبّ بعدك يا كليب المجلس وتفاوضوا في أمر كلّ عظيمة
لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا وعقد الامير منوچهر المأتم ثلاثة
أيام على رسم الجيل في جزّ الرؤس وضرب النفوس ورفض المنام وهجر
الطعام ولما مضت أيام التعزّي لبس المقبور واستوثق على البيعة السرور
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر
ولما سمع القادر بالله أمير المؤمنين بخبر شمس المعالي واستيثار قضاء الله
به خاطب الامير منوچهر معزّيا ومسلّيا ولقّبه بفلك المعالي مشرّفا
ومحلّيا وعصمه الله له على الصواب في الاختيار والرشد في الايثار ففزع
الى السلطان يمين الدولة وأمين الملّة معتصما بحبله معتمرا بظلّه مستظهرا
بطاعته مستنصرا في متابعته مستغشيا رداء عنايته متلافيا وهن
المصاب بقوّة اقباله ورعايته وأنهض عليه من ثقات بابه بهدايا
موفورة ونفائس مذخورة ورسائل على صدق الاخلاص وصفو
الاستخلاص مقصورة فصادف مادحا رغبة في هواه وحرصا على
تعمير مرضاته وتردّد السفراء بينهما على رعاية هذه الحال وتوكيدها

عقد الوصال واحتكم السلطان عليه في اقامة الخطبة له على منابر ولاية
انجحا المعقود وفقه عقده في نحو الاثم وانهض اليه ابا محمد الحسن بن
مهران احد ثقاته بما رأى اصحابه من نفائس خلعه وكراماته
فصادف منه قربا مجيبا وسميعا مطيعا وامر باقامة الدعوة
باسمه على منابر جرجان وطبرستان وقومس والدامغان والتزم
في السنة خمسين ألف دينار إتاوة وعلى عكمي الطاعة والاخلاص
علاوة واستدعى السلطان على تعقيبه ذلك وقد عزم غزوة ناراين
انجاد جنده بطائفة من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق
ويغنون غناء الكماة البطارق فسرب اليه الفي رجل من حلس الجيلين
إن راموا الوعور فوعول او قصدوا السهول فسيول وتدامر الراية
عليهم في اعطياتهم ونصب لهم من يقيم اود حاجاتهم ويطلق مادة
الحاجة الى عنايتهم واجب ارزاقهم واستحقاقاتهم ولما استحق على
السلطان بآثاره في القربة مزيد الاثبة ومساعيه في الطاعة
قضاء الحاجة انهض رئيس جرجان ابا سعد المولكي المقدم فضلا
وادبا المجتنم حسبا ونسبا لاقتضاء مزيد الحال بوصلة تقوم الكفاءة

بخطبتها

بخطبتها عنه والطاعة باستجابها له فنهض وخفاف الادب تهديه
وكفالة الرفق بما يذره ويأتيه ولم يزل يأتي الامر من بابه ويستطلع
المراد من وجهه حتى استحمت قرونة السلطان لما استدعاه واوجب
الاسعاف بما توخاه ولما اكتفا الفاضل ابو سعد وراءه بصورة الايجاب
وما صادفه من هزة المجد للاطلاب حشمة الامير فلك المعالي
معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ العلم وراوية الحديث
ورضيع اخلاف التهذب والتجريب لتنجيح النجاح وتأريب عقدة
النكاح فنهضا الى حضرة السلطان مقيمين رسم الخدمة وخاطبين
ضم الشذى الى اللحمة فرأى السلطان تحقيق مبذول العلوة وعقبا
سلطان النفس طاعة لرب العزة فلاذ للامير فلك المعالي جلنا من كرائم
ونسج له زهرة الارض من نجوم ولده واي نجم كان في فلك المعالي مداره
لم تتعدد داره اني ومدار النجوم الافلاك وازواج الكوكبات الاملاك
وجرى من الاستبشار باتحاد النفوس والديار وصب النثار وصوب
المبار كالغيوث الغزار ما ارخ به كتاب الدهر ووسم بذكره
سالفة العصر وعاد الرسولان بذلك النجح الموقوت ولا السلطان

يقترنان في الحوت وعندها كلف الامير فلك المعالي حرمة
للقربى ونحلة بين يدي النجوى ما الاثنين من رآه على اختلاف
اصنافه واغراب نقوشه وافوافه ان له همة الى الرقعة الجود آراء
مرفوعة ونية على متن الولاء مطبوعة ولم يبق احد
من اركان الدولة وحواشيها والراتعين حول مراعيها من لم
يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشترك في البر المعقود بالترف
لا جرم ان السلطان رعى حرمة قرباه وجزاه عما سمحت به
يمناه وافرد كلا منهم ومن قواد جيوشه وافراد رجاله بخلع
علمت الباب الملوك كيف شرطة الجود والسماحة بالموجود
وتقضي المجد بعفو الراي دون المجهود فاما صاحب ذلك
الصدف وياقوتة الشرف فقال طال عهد الدهر بمثله مجموعا
في مكان محمولا من خراسان ولا عجب فالشمس تغني البلد
نورا والبحر يدع للخليج مستمدا وقد كان فلك المعالي بعد
ان اشتبت له الامور واشتد بمظاهرة السلطان ظهره دبر على
اعيان عسكره المشتركين في دم ابيه فصادع ذات بينهم بوجوه

الجيل

الحيل وانواع العلل حتى ابادخضراءهم وسقى ظمأ الارض دماءهم
واحس ابن خركاش وهو القريب العاق والنسيب المشاق بالداهية
الدهياء فانسل بابها بين سمع الارض وبصرها تاباه الرعان
والاباطح وتلفظه القيعان والصحاصح فما شعر جانب الغور
طلبته هامة الماضي بالنار هائما على وجهه ولا قصد ثقيف بن
تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان احد من اثار الشر
على قابوس على ما تناصرت به الاخبار ابو القسم الجعفري
وكان صاحب جيشه فانحدر الى راس الحد كبارز على قفا زري
كل صيحة عليه وكل خشبين لسهم اقواس جنبيه فامهله الامير فلك
المعالي زمانا حتى ظن ان له دون شؤون الاحجار مبانا ثم اطماه
بتطميعه وترغيبه حتى اطلقه حالة الاقتناص وآيسه من
الطمع في الخلاص وان لله حكما في امور عباده متعلقا بآماد
معلومة وغايات محدودة فليس لها مستقدم لما تاجل
ولا لعدها مستأخر لما تعجل فاحتال ابو القسم حتى انسل هاربا
واعتسف البيداء جانبا ثم جانبا وكان ذاك على حاله واحتياله حتى ورد

بنيسابور يظن وبعض الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان على نغل دوّ اخله وازنهانه بسالف فعله وقابله مع ما تمهد في ذات البين من عقود وتأكد من عهود واشترك فيه من طارف وتلود يجل عنه عقال آثامه ويكف عنه ما حق عليه من بأس الله وانتقامه كلا ان سوء الفعل خذول والقاتل لا محالة مقتول وسر الجن ما اومض بالخلاص قبل اتيانه واستيفاء مدة النفح على تحاته انه ليوهم الفكاك ثم تعقبه الهلاك كالهرة تطمع الفارة في الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة لحقتها بعدوة لا جرم ان السلطان لما انهى اليه صورة حاله ومن قبل ما سمع بسوء فعاله امر برده ورآه في عقاله ولقد احسن ابن الرومي في مقاله

الخير مصنوع بصاحبه فمتى فعلت الخير اعقبكا
والشر مفعول بفاعله فمتى فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير

قد كان دارا بن قابوس بعد اشتيانه من جانب ابي علي محمد بن

محمد بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور مقيما على خدمته سهيما في نعمته الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان فانحاز اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وصادف من الاقبال والاقبال ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم جدد قابوس الى طبرستان فاقامها سدا دون مخالفيه وزماما على اوليائه ومعامليه واستنهضه منها على فريقه الفيت اليه فاتاه وهو باستاباذ بريه صحة اديمه واستواء حديثه بقديمه فاحسن استقباله واجزاله ثم دعاه في وقت ارتيابه فركب على قصد حضرته ثم عطف عطفة الليث الخادر نحو خراسان بين غياض تشكو الاراقم فيها ضيق المجال والمضطرب في صعوبة المنساب والمنسرب واستصحب من رافقه ووافقه من غلمانه واهل الثقة به فالى ان عرف شمس المعالي خبره واستركب لاقتصاصه عسكره ما قد طار به الركض وحالت دون مناله الارض ولما شارفه حد خراسان وفرشت الامنة عليه جناحها الى ان ورد حضرة السلطان فقبله احسن قبول ولقاه حسن

مقبول ومفعول وما زال يرتفع منه تمويلا وتخويلا وتنعيما وتجميلا حتى اغتنت فضل الانبساط وعز الانتساب باحد قربته وعدم رتبته فاستوحش من عارض الاعراض واشفق من رهق التغير والانقباض فلاذ بطلق الليل هربا وبات يطوي الارض تقريبا وخببا وامر السلطان بطلبه واتباعه في وجوه مهربه فالحق حيث قامت الخيول تعبا ولم تجد السيوف عليه مضربا فقرهو على وجهه ملتجيا الى الشار المعروف بالشاه لجبال بينها في الصغاء مجهورة واصول ود بالوفاء مابونة فلما استقربه المكان وخبر حاله السلطان كتب الى الشار باسترداده وخوفه ان يأتي عليه بما بعده فاضطر الى رده واسلامه عن يده وبقي في الحبس مدة كابد بؤسها وشدة الى ان وجد فرصة الانفصال عن رق العقال ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه احد ولم يكن يغني عنه لولا المقدور راي ولا جلد واتت عليه فجاجة المحنة ان يتم خلاصه ويتيسر له مناصه فاعثرت

عليه حتى اعيد في وثاقه وزيد في ارهاقه والاخذ بخناقه الى ان شرح الله صدر السلطان لاطلاقه فانشأه نشأة ثانية واتبع رينه قادمة وخافية واعاد حاله بالاحسان عالية ويده على ايدي الاضراب عالية ووجهه لولاية جرجان وطبرستان معضودا بارسلان الجاذب وذوي النجدة من كماة الرجال ولفاة الابطال لولا ان فلك المعالي منوجهر سبق تمام الراي باطمائه بالطاعة وعرض ما وراء الوسع والطاقة ولما جانب جرمة التقرب دون الاختيار عليه استرده السلطان الى حضرته فجرى مجرى اركان الدولة واخدان العشرة لا يفارقه في حفلة ولا يراه في خلوة ولا يقعد عنه في وقت ركوب ولا ينفرد دونه دور ركوب الى ان ورد الامير ابو الفوارس بن بهاء الدولة حضرة السلطان منتجعة من كرمان ليقصد عسكر اخيه اياه مستظهرا به على معاودة ملكه وانجلاع بيته ونعمته فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس وطابت النفوس وجرى حديث السلف والخلف واعراق من اعرق منهم في الشرف

نطق داراً بما لو سكت عنه لكان أشبه بحق الخدمة وحكم
الحشمة ووقت الاجتماع على رضاع العشرة وحمله زمر الإنكار
عليه على قصد المراداة وركوب الحماقة حتى تأدى به الأمر
إلى إزعاجه عن مكانه وإلجائه بعصمة المذل على سلطانه
وأمره في غد قردى في العقال وحمل إلى بعض القلاع وقبض
على ضياعه فأجريت مجرى الحوزيات تستغل أسوة سائرها
إلى أن سأل الشيخ الجليل الوزير في بابه فأمر بردها عليه معونة
له على مصلحة حاله ومؤنة لعياله وذلك في المحرم سنة تسع
وأربعمائة

ذكر مجد الدولة أبي طالب بن فخر الدولة

قد كان فخر الدولة كتب إلى أبي العباس تاش وهو بجرجان متخلف
إليها عن خراسان على لسان الصاحب يبشره بولادته وإجراء
الله إياه في الصنع له على كريم عادته وكان مما كتب به وقد
رزقني الله ولداً كنيته أبا طالب طلباً للسلامة في مدته وسميته
رستم لأنه من أسماء نصابه وآل رومته فلما اخترمته المنية بايع
الناس مجد الدولة إلا أن التي قامت عنه كان أختاً للأصبهبذ

بقرميسين وسائر مملكة الجبل وهي في منعة من أهلها وعزة من جانب
أرضها فتملكت على الديلم واستأثرت بالأمر والنهي والحل والعقد
وجرت بينه وبينها مكاوحات تأدت بها إلى استنهاض بدر بن
حسنويه إليه وامتلاك الري عليه وجرت بينهما مناوشات
أفضت بالديلم أولاً وبأهل الري ثانياً إلى نوب فادحة ودماء
مهراقة وفتن ليس فيها تدارك فواق من إفاقة وعن كل قريب
يعود الخلاف جذعاً وحبل الصلاح منقطعاً فينتج عنه إبادة
الرجال واستباحة الأموال وشرود الصلحاء في البلاد وضراوة
السفهاء بالإفساد ولما عرض مجد الدولة بالأمر وما ينفلج عنه
الدوام من شرر الشر آثر البر في الاعتزال على سمة الإمارة
وحمله الاعتراف لها بالطاعة على العقوق المفضي بمن يحنو لأبيه
ورعايته إلى خطة الاجتناب المشفي بهم على خطة الاجتياح والاستبداد
فلزم البيت منفرداً بالكتب والدفاتر ومبيضاً وجه الفضل بسواد
المحابر وانفرد أخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين وما
والاها إلى حدود بغداد وورث بدر بن حسنويه أموالاً عظيمة

طالما حفظتها سدود القلاع مكتومة وحفتها خيوط الأكياس مختومة
فنهبت الأثقال حتى استغرقتها صلات الرجال واستنفدتها حقوق العمال
بشبهة له في التحقق بالفضل والتخرق في البذل وقد كان ابن فولاذ فخم
في دولة آل بويه أمره وارتفع قدره واشتهر صيته وذكره والتفت
عليه صناديد الديلم ومشاهير الأكراد والعرب فسأل مجد الدولة
والكافلة بالتدبير أن ينزلا له عن قزوين طعمة له وبلغة ليتفرد
بولائهما وحمايتهما ركناً من أركان دولتهما وظهراً من ظهور حوزتهما
يذب عنها بسيفه وسنانه متى دهمها خطب أو دخن على أرجائها
خطب رطب فضنا عليه بها لضيق رقعة الملك وتكاؤد دون الدخل
وأدلا إليه بظاهر العذر فقصد أطراف الري على جملة العصيان
يفسد ويغير ويقطع دون أهلها سبل مرتفقيه ويملك عليها ما يلي
جانبه من قرى وضياع وربع وارتفاع إلى أن استعانا بالأصبهبذ
المقيم بقربهم نائياً في زجاجة لحمة من الجيلية أولي البأس
والحمية فما وسع القراع وصدقوه المصاع وجرت بينهما في دفعات
ملاحم استلحمت كثيراً من الفريقين وأصاب ابن فولاذ في ساقه

نشابة أثخنته وولى فيمن بقي معه على سمت الدامغان حتى ألم بها ورم
الرث وعالج المرث وكتب إلى فلك المعالي منوجهر يستمده على عسكر
الري على أن يقيم له الخطبة ويظهر الطاعة ويلتزم الإتاوة فأمده
بألفي رجل يوزن آحادهم بالألف وأفرادهم بأضعاف يرون الشرف
قرناً لمرامات تحت المشرفيات والترب جثثاً على مهاد عن
اليثربيات ووصل جناحهم بمال قضى به حق انقطاعه إليه واعتياده
عن ظهر الثقة عليه ونهض نحو الري حتى أناخ بظاهرها فأعاد
الإغارة ومنع المايرة والمادة وعاد الديلم بها في ضنكة البلاء
وضيقة اللأواء حتى اضطر مجد الدولة ومن وليت التدبير إلى
إيثاره بأصبهان فعقد له عليها وخلى بينه وبينها استمالة لقلبه
واستعاذة من شره فطارت عند ذلك نعرة الخلاف عن رأسه
ورحلت وحرة العناد من صدره وأقبل يروض عسكره على إسعاد
وسداد ويفل أيديهم دون امتداد إلى فساد وصرف عسكر
الأمير منوجهر وزودهم بذكر صلاح حاله واستغنائه عن رجاله
وعطف إلى أصبهان خاطباً لمجد الدولة على منابرها وذلك في شهور

سنة سبع وأربعمائة وكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع إلى
السلطان يمين الدولة وأمين الملة فأقام على خدمته إلى أن جعل ناحية
باذوخو منذ برسمه فنهض إليها وأقام بها يستغلها ويتوفر عليه دخلها
إلى أن دعاه مجد الدولة من الري فاعتسف البيد إليها حرف له
حق قرابته وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته فبقي هناك
سنين مرجوعا إليه في الرأي والتدبير موثوقا به في التقديم
والتأخير إلى أن عثر منه على موالاة لبعض المخالفين فقبض عليه
وحبس في قلعة استوناوند وما زال بها محصورا وفي حبل الامتحان
مأسورا حتى عفي على أجله ورد ثانيا إلى ما تولاه ووافق ما به
خلع الديلم لجام الهيبة لعدم السياسة وانفراد مجد الدولة في
أمته بالدراسة وتبسط الديلم فيما شاؤوا من غصب وقطع ونهب
وكبير وتغلب لا يرتدع منهم إلا من أشعره الله المخافة وأودع
صدره الرحمة والرأفة فانبرى نصر بن الحسن لقمع أولئك الضلال
فاجتاح منهم فريقا وأوسع آخرين تمزيقا وتفريقا فلما رأى القوم
ما دهاهم في أدراجهم من جهده واستيصاله تجمعوا على قصده

وقاتلوه وأحاطوا بداره فقد أفهم بخاشنة ميلهم إلى منهم جمهرها
وغادر ممالكه في الدار منهوبا ومغنوما وما زال ينقلب في محنته
إلى يوم منيته

ذكر بهاء الدولة وما أفضى إليه أمره

قد كان بهاء الدولة بعد أن فتح الله على السلطان سجستان راغبا
في موالاته خاطبا لمصافاته مؤثرا لمكاتبته حريصا على مقاربته بحكم
الجوار الواقع بين الدولتين والصقب الحادث بين المملكتين
ووافق ذلك من السلطان رغبة في مثلها من جهته لشرفه بنفسه
وسلفه ولما جمع لهما من الكفاءة في الملك والملاءة في سعة الملك
فسفر بينهما السفراء على الدوام بما يدني القربة وأحصاد قوى المودة
حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتأكدت الحدود وتألفت
الوفود وعندها أحب السلطان أن يجعل المصافاة مجاهرة والموالاة
مظاهرة فأنهض القاضي أبا عمر البسطامي شيخ الحديث بنيسابور
إلى فارس وهو النبيه فضلا والوجيه محلا والإمام علما وتحقيقا
والهمام لسانا فصيحا ورأيا وثيقا وصادف من إجلال بهاء الدولة
وإكرامه وإظهار التلطف عليه في مرامه ما اقتضته جلالة من أصلية

ومساعدة القدر له في كل ما قدره وأقام عليه منقولا من
مجلس الإيجاب إلى متوسد الإكرام ومن دار لجة الإحشاء إلى
عاتق الأكباد غير أن نعيد طلوعه عليه وافق منه علة أعدتها
سوء المزاج بين ألف الراحة والزنج فأعياه بحر المراد على العارض
العايق وقد كان لحق الملك مقيما ببغداد وهو الوزير والنصير
ومن إليه الرأي والتدبير فجشم القاضي إلى ما قبله ليتفاوضا
فيما يوجب صرف الرأي إليه وتأريب العقد عليه فاتفق مع
وصوله استيثار قضاء الله ببهاء الدولة وانتقال ذوجه إلى جوار
ربه وبايع الناس ولده أبا شجاع ولقبه القادر بالله أمير المؤمنين
بسلطان الدولة فاستتب له طرف الأمر واعتقد له عليه عقود
الملك وجرى له الطير بالإقبال وحسن الفال ولما عاد القاضي إلى
ما قبله لم يملك له من ذاته حرا يغنيه وجارا يشفيه إذ كان
دونه رسولا إلى أبيه فصرفه محملا من رسائله في وراثة الود
والوفاء بسالف العهد والشراء للخلوص بقاصية الجهد ما اقتضاه
حكم الابتداء بغض الوداد واستيثار الوفاء على طهر البعاد وقد كان

الأمير أبو الفوارس أخو الأمير سلطان الدولة مقيما بكرمان فجرى
بينهما خلاف اقتضى سلطان الدولة تجريد الجيوش لقصده واستصفاء
تلك النواحي منه واستخلاصها من يده فنهض هو لقتالهم وكف
عاديتهم وأوقدوا بينهم حربا أفنت الرجال أكلا وشربا واختلجت
الأرواح طعنا وضربا واستمرت الكشفة بأتباع الأمير أبي الفوارس
فانقلبوا منهزمين وأقبل الأمير أبو الفوارس نحو سجستان
يؤم حضرة السلطان يمين الدولة وأمين الملة مستغيثا رجاءه
مستنهضا كرمه لرده ووراءه في شأنها وقد أنهي إلى السلطان
خبر إقباله أمر أبا منصور نصر بن إسحق النائب عن الأمير أبي
المظفر نصر بن ناصر الدين بخدمة استقباله وتكلف الواجب من
إنزاله وإقامة أنزاله وأنزال من معه من طبقات رجاله ونثر
عشرة آلاف دينار له من خاص بيت ماله فبلغ من ذلك مبلغا
شهد من كان شاهدا بسجستان من قرابها وطرابها أن أحدا من
ملوك تلك الأقاليم لم يتكلف مثله لأحد من أولاد الملوك ولم يخل
أن مثله يسمح به تيار الجود فكيف أقطار الصدور والكتب

ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا عقد بالنجم صفائره وافاض
على الشرق بعضه وعلى الغرب سائره ولما وصل الى حضرة
السلطان اوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال وتلقى عظم
قدره بالاجلال وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والانعام بكل ما ينتمي الى قبيل الاكرام ما وقع عند الخاص
والعام موقع الاستعظام ما خلا الهيبة التي ترى الدنيا خارجة
عن ملكها شعرة من اشعارها وصوفة من اوبارها وخوفة من
بحارها بل قطرة من امطارها واقام عليه قرابة ثلثة اشهر
ضيفا لا يتميز عن الادنين ازحاما وسيحة وانشا ناقة يبعثني
اذ انشط للانصراف والنفس معونة على عارض الخلاف ازلج
السلطان لما استدعاه فاعطاه فوق رضاه امرا لا احصت اقلام
الكتاب واوهت انامل الحساب وانهض في صحبته ونصرته
واقامة خدمته ابا سعد عبد الرحيم بن محمد احد مشايخ بابه
واماثل كتابه في رجال قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته فلم
يعرفوا وجه الانقلاب الا بالاثقال على الاكفال

تجملت مهوة اخرى شواكلها من طول ما حملت شيئا على الكفل
وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفي سائر خاصته نحو كرمان فجلا
عنها من كان ولي عليها علما بعجزهم عن المقاومة وافتضاحهم ان
تعرضوا للمحاكمة فملك تلك النواحي ملكه اياها من قبل واقام بها
ابو سعيد الى ان قرت تلك الامور ودرت الجبايات الشطور
ثم كر وراه فيمن كانوا برسمه وتحت قيادته واتى على ذلك مدة
من الزمان تمنع حشمة السلطان وحرمة الناهضين من اتباع رايته
في امره ويميه ويعز عنايته ان يقصد بايهم خلافا عليه حتى اذا
غادرت تلك الجيوش غزنة وانفرد الامير ابو الفوارس بالتدبير
وارتاش بعد التجبير سرب سلطان الدولة عسكره ثانيا ليخلوا
واستخلاص تلك المملكة عن يده فتلاقيا على حرب اشابت
القرون تخالها لظى التصافح في مخارج الظلى وتحوبا لسنا
الرماح على موارد الكلى حتى تشقرت الارض من صبيب
الاوراد وتمعرت من رشاش الاكباد وعندها زلت قدم
ابي الفوارس فولى كبيرا لا يعرف قبيلا ولا دبيرا وانتهى

الركض الى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة فقضى به
حق القرابة اعظاما لقدره واهتماما بامره واغتناما لشكره
واستعدادا لنصره واقام مدة مديدة على هذه الجملة حتى استشعر
او استشعره مغرورا ومقصودا والى اخيه سلطان الدولة مردود
فلف بقاد الايام بين ضربة القاتل والوحش من كفة الحابل
وفارق مظنته قاصدا قصد بغداد مستشرحا من بعد حاله
وما انتهى اليه امره بما كان عليه اوله

ذكر ايلك الخان وما انتهت اليه حالة

قد كان ايلك الخان بعد الكشفة
التي تحرت عليه بباب بلخ وركب نهر جيحون وعاد وراءه يتقطر
على نفسه غيظا بما دهاه واسفا على ما اعياه وما زال يعاتب
طغان خان اخاه ويستنصر بقدرخان على ما اوهى من قواه و
فوت مراده ومغزاه والقدر له معاند والزمان له مناكد و
مناكد حتى طرحه الكمد على فراشه وفجعه من قرب بطبيب
جيوبه فاشبعه التراب بعد ان جوعه الحرص والاضطراب
همة كانت معلقة بالاثير معلقة على فلك التدوير غير ان يد

القدر فوق يد التدبير وما يصنع المرء بالجد اذا وافق الجد سافلة
البئر فمنه رحى تجري بها اليم ما فوقها وليس لها قطب اذا ادركها
وقد ينهض العصفور كثرة ريشه ويسقط اذ لا ريش فيها يسورها
وكانت وفاته سنة ثلاث واربعمائة وولي مكانه اخوه طغان خان
فما لا السلطان ووالاه وصادقه تلافيا لرعيه بما اخل به اخوه
ومتوددا من حيث ركب الخلاف دونه وجاشت من جانب الصين
جيوش لقصد طغان خان وبلاد الاسلام من ديار الترك وسائر
ما وراء النهر يزيد عددهم على مائة الف خركاه لم يعهد الاسلام
مثلها على صعيد واحد يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم بغيا
طال ما صرع اهله واوردهم كما يورد الهدي محله فاستنفر من
خطط الاسلام حتى اجتمع اليه من رجال الترك واحرار الغزاة
والمطوعة قرابة مائة الف رجل فاستكت اسماع المسلمين من فظاعة
ذلك النبا الهائل والنبا المائل فارتاعت له القلوب وارتاعت النفوس
وتناصرت الادعية والذكور وسار طغان خان مستقبلا من اقبل اليه
من جموع الكفرة الفجرة بيات مقصورة على الاستقبال واستقبال

الآجال أو يُنزِلَ اللهُ نصرَهُ ويُظهِرَ حِزبَهُ تحقيقًا لما وعدَهم على لسانِ نبيِّه محمدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّم حيثُ يقولُ وقولُه الحقُّ إنّا لننصرُ رُسُلَنا والتقوا آنًا تمارياهما على ملاحمَ لا يُذادُ من فَتقِ العروقِ وضربِ الحلوقِ وشدِّ الحيولِ على الخيولِ أصوبُ أنواءٍ أم صبُّ دماءٍ ولمعُ بروقٍ أم وقعُ سيوفٍ وظلمةُ ليالٍ أم رهجُ قتالٍ وفي كلِّ ذلك يتولّى اللهُ عبادَه بالأيدِ المتينِ والنصرِ والتمكينِ حتى ولّوا بالصنعِ المستبينِ وطلوعِ النجحِ مشرقَ الجبينِ وتلاقوا ليومٍ منصوصٍ عليه على فيصلِ الحربِ فشدّ بهرامُ لها نطاقَه وأدارَ على الفريقينِ رِحاقَه فأمّا أعداءُ اللهِ فشكروا أشكرًا استوجبوا به للذودِ بالجدودِ البوائكِ فصبّت عليهم من لدن لاحَ جبينُ الشمسِ إلى أن ذُكّت سرابًا وهاجًا وكادت تصيرُ على قممِ الرؤوسِ تاجًا وأمّا أولياءُ اللهِ فاستنشأوا شؤونَ طربوا معها للضربِ فوقَ الهامِ والعبثِ بطلائعِ الحِمامِ لأجرمَ أنّ اللهَ حماهم ونصرَهم وآواهم وأظفرَهم فغادروا من جماهيرِ الكفّارِ قرابةَ مائةِ ألفِ عِنانٍ صرعى على وجهِ البسيطةِ عن نفوسٍ موقوذةٍ ورؤوسٍ منبوذةٍ وأيدٍ عن السواعدِ

مجذوذة

مجذوذةٍ تفترّ للصباحِ عن حَقْلَي السباخِ والوحوشِ الجلائحِ وأفاءَ اللهُ على المسلمين مائةَ ألفِ رأسٍ غلمانًا كالبدورِ واللؤلؤِ المنثورِ وجواريَ كالحورِ والبيضِ المكنونِ وسبايا خصّت بها أقطارُ البلادِ وضاقت منها أطرارُ الدهناءِ وشردَ الباقونَ وراءهم تتسلّمهم السيوفُ شلَّ الأنعامِ وتختطفُ أرواحَهم بأيدي الحِمامِ وتطايرت به البشاراتُ في ديارِ الإسلامِ فنضرت لها الوجوهُ وضحكت القلوبُ وعمَّ السرورُ وتوفّرَ الشكورُ وتباشرت الدورُ حتى القصورُ والخدورُ لطفًا من اللهِ تعالى لدينٍ ارتضاه ووعدًا أن يصلَ بيدِ التأييدِ قواه ولم يلبثْ طغانُ خان بعدَ أن فرغَ من هذا الحربِ العظيمِ بأسُها الشديدِ مراسُها أن استأثرَ اللهُ به فنقلَه إلى جوارِه وبوّأه مبوّأ الصدّيقينَ من دارِ قرارِه ختمًا له بالشهادةِ وحتمًا عليه بالسعادةِ وورثَ مكانَه أخوه صنوُه في التقيّةِ وتلوُه في الأمورِ الإلهيّةِ ثبتُ المقامِ في دينِ الإسلامِ لا يعرفُ لجاهليّةٍ ولا تشتمُّ منه عنجهيّةٌ ولا عجرفيّةٌ يقيمُ الصلواتِ جماعةً ويفترضُ العدلَ سماعةً وطاعةً وعمرَ الحالَ التي كانت بين طغانُ خان أخيه وبين السلطانِ يمينِ الدولةِ إظهارًا للمصافاةِ

تعلقه

واستشعارًا للمؤاخاةِ وإيثارًا للاشتراكِ على تصاريفِ الحالاتِ وخطبَ القطانُ إليه وإلى أخيه الملكِ كريمةً لهُ على ولدِه الأميرِ أبي سعيدٍ مسعودِ بنِ يمينِ الدولةِ وأمينِ الملّةِ فأحسنا الإجابةَ وأعلنا القرابةَ وترددَ السفراءُ في ذلك مدّةً على جملةِ التهادي ورضِّ الحالِ باقتسامِ الأيادي إلى أن حُقّت الحقيقةُ وتمّت العقدةُ والوثيقةُ وأنهضَ السلطانُ من اختارَهم من ثقاتِ بابِه لنقلِ اليتيمةِ الكريمةِ فجُهِّزت وديعةً تُسلِّمُ عليها ملكانِ هذا صيدُ الملكِ وذاك ملكُ الترك يختصُّ بها الشبلُ بنُ الليثِ والوبلُ بنُ الغيثِ والبازُ بنُ البحرِ والصباحُ بنُ الفجرِ الأميرُ الجليلُ أبو سعيدٍ مسعودُ بنُ محمودٍ ونُقلت إلى الحضرةِ بلخ وقد صحبَها من فقهاءِ تلك الدولةِ وأعيانِ رجالِها من عُدّوا أئمّةَ المشرقِ والمنطقِ فأدّوا أمانتَي اليدِ واللسانِ على ما لجمعت الحالُ بين الجنسينِ ودفعت الحشمةُ في ذاتِ البينِ وأمرَ السلطانُ أهلَ بلخ قُبيلَ الوصولِ بعقدِ الآذينِ وتكلّفِ التنجيدِ والتزيينِ فبلغوا من ذلك مبلغًا لم يُستبقْ فيه من الوسعِ مذخورٌ ولا من

الرسم

الرسمِ مذكورٌ ومسطورٌ ورأى السلطانُ بعدَ ذلك أن يعقدَ للأميرِ مسعودٍ على هراةَ سُرّةِ مملكتِه ونواحيها ويُسنِيَ إليها بعد أن زوّدَه بمالٍ عظيمٍ يعدُّه ذخيرةً وبوسعِه تجمّلًا وزينةً فنهضَ إليها مسعودٌ ميمونَ الطيرةِ حميدَ السريرةِ عادلَ الطريقةِ فاضلَ الخليقةِ خليقًا بالملكِ على الحقيقةِ وذلك في سنةِ ثمانٍ وأربعمائةٍ **ذكرُ الأميرِ أبي أحمدَ محمدِ بنِ يمينِ الدولةِ وأمينِ الملّةِ** جملةُ ما يمكنُ الإفصاحُ به والإيضاحُ عنه من حالِه وذكرِ خصالِه قولُ القائلِ إنّ السريَّ إذا سرى فبنفسِه وابنُ السريِّ إذا سرى أسراهما قد جمعَ اللهُ له من الميلِ إلى خصائصِ الأدبِ والسعيِ لمعالي الرتبِ والبعدِ عن مكامنِ الريبِ ما دلَّ على أنّه ابنُ أبيه شرفًا سمقت على النجومِ شرفاتُه وكرمًا تعرّفت لأهلِ الفضائلِ عرفاتُه خرجَ من حضنِ الكفالةِ خروجَ الإبريزِ من جمراتِ السبائكِ والهلالِ من تحتِ السحابِ المتحابكِ لم يعرفْ طولَ أيّامِ الإيفاعِ غيرَ الارتقاعِ إلى اليفاعِ تصرّفًا على كرمِ الطباعِ وتقييدًا للمأثورِ بالسماعِ وبذلًا لما لفظتْه يدُ الطباعِ وارتياضًا بآدابِ الثقافةِ

والصلاح وتمرين البنان بين القلم والعنان وتعويد اللسان ذكر
الاصابة والاحسان لاجرم انه لما ترعرع بداة بذ الحداثة ولبس
حذاء طوق الشهامة رأى السلطان أن يوفيه حق البنوة ويوفيه
شرط المروة ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة فيه
واستدعته العناية به والرعاية له فزوجه كريمة الامير ابي نصر
الفريغوني والي الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة والى
الكفاية كفاءة والى النعمة همة وعقد له على اعمال الجوزجان كما
عقد للامير الجليل ابي سعيد مسعود على هراة وهي التي وليها
آل فريغون وهم الذين حكوا في الجود افريدون وفي الهمة المنصور
وفي الجزالة والسماحة جيحون وولى ابا محمد الحسن بن مهران
كفاية اموره وولاية تدابيره فبرز اليها بروز السيف من يد
الصاقل وهمى على اهلها همي السحاب الهاطل فاحياهم بندى
العدل الشامل وعدل في العطف عليهم بين الاداني والاراذل
فعلقته قلوب الخاص والعام وكفته النفوس مؤونة الاستخدام
ولما رأى السلطان حميد اثره ورشيد مخبره ازداد شغفا

باثاره

باثاره وحرصا على اصطناعه وايثاره فلم يخل من حديد انعام
ومزيد حفاوة واكرام وسنأتي بأن نخبر الاخوين الجليلين في
موضعه من بعد باذن الله ومنه

ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر

قد كان السلطان يمين الدولة
وامين الملة مذ قلده الله عزيمته لغزوات الهند يحيا لسنة
ابيه ومقتفيا نهج آثاره ومساعيه باحثا على طريق النظر
وسبيل الجدل عن شبه الاسلام ومناجيا للبدع المعترضة
عليها في سالف الايام استبقاء زاهيه في الدين واستظهارا
على قمع الملحدين من فقراء الكتب وسمع التأويل وتتبع القياس
والدليل وعرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع
وتلقف من اصول الدين ما لم يسمح معه في الدين بدعة و
رأى كل ما خالف ظاهره نكرا وشنعة والقي اليه ان في جماعة
الرعايا بخراسان اقواما ينتحلون مذهب الباطنية المنسوب
الى صاحب مصر ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض وتأويلات
موضوعة تؤدي الى رفع قواعد الدين ودفع معاقد الحق

والبقين وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض
والنقض فامر بتتبع العيون عليهم والصاق الطلب بهم وعثر
على رجل كان سفيرا بين المذكور وبين اوليائه والمتلبسين
بدعوته يعرف القوم بسيماهم واسمائهم فنبش على عصابة
منهم مختلفي البلدان والاوطان فاشخصوا الى الباب ورجموا
تحت الصلب بالاحجار ولم يزل يفعل مثل ذلك بأضرابهم ومن
كان يتحجج له ذكر باتباعهم حتى انتقطتهم حجارة الرجم والرفض
عن بساط الارض وقد كان الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق
بن محمشاد زعيم اصحاب ابي عبد الله بن كرام غزير الفضل
كبير المحل مذكورا بالديانة الوافية والامانة البادية الظاهرة
مشهورا باليقظة على الفرق الغالية والبدع الجافية فوافق
رأي السلطان على اجتياح من ركب ثنيات الطريق وعدم
في العدول عن سبل محارف النعم مساعدة التوفيق ونبهه على
عدة زعموا انهم ضلال ولهم في فضول القول وهذر المحال
سلكوا في اصفاد الآخرين ونصبوا عبرة للناظرين وازداد

ابو بكر

ابو بكر فيما تقرب به من ظاهر المحاماة على دين الله والمراماة
دون حق الله وتطهير بيضة الاسلام عن كل ذي بدعة بعيدة
او قريبة حشمة اطمعت فيه الرجال واماتت اليه الآمال دانية
جسيمة وصنع الله عليها طابع التين فهو في جوار النجم علو مكان
وسمو شان ولكفى بها بجاحة ما ورد في الخبر المروي ان الله
تعالى قال للدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاتعبيه
او فاستخدميه واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل من ديار
العراق ينتسب الى الشجرة العلوية يذكر انه رسول صاحب مصر
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة بكتاب يحمله وسر يؤديه
فورد نيسابور مدلا بسبب النسب ومدليا بسالف الشرف
فاستوقف الى ان انهي الى السلطان خبره ووكل الى ما يرد من
مثاله صدره ونهض من بعد ذلك الى هراة متنذرا الى الحضرة
فامر برده الى نيسابور ليقرر ما تحمله على رؤوس الاشهاد
ومرأى ومسمع من كل حاضر وباد صيانة لجانب مجلسه عما عسى
ان يضاف اليه من احالة وستر تحت رسالة فلما رد التاهرتي

وفتش عما صحبه عثر على تصانيف الباطنية واغاليط في الشريعة الحنيفية اصح منها في الاشباح خياط المجانين ووسواس المبرسمين لا توخذ في محصول ولا توجد في معقول ومنقول وناظره الاستاذ ابو بكر على الموبد من جهة مرسلة تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجد لها على نار الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات وما زال يقرب اخماسا في اسداس الى ان تبين له انه قد اخطا في تحمل تلك الرسالة وجرم التوقيف في تقلد تلك السفارة وقضى الله ان اشخص الى حضرة السلطان فلما وردها استحضر مجلس حفله وقد غص باعيان السلطان سادتها وكبرائها وقضاتها وفقهائها وغزاتها وزعمائها وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم العلوي ومن قصته ان جده مسلما لم يكن في الطالبية من اولاد الحسين الاصغر رضي الله عنهم بناحية مصر اوجه وانبه منه ولا اغنى واقنى عنه فلما استقر معد ابو تميم المعز بمصر خطب اليه بعض بناته على ولده ابي منصور الملقب بالعزيز وسبب ذلك على ما قيل انه وجد في داره رقعة فيها

ان كث

ان كث من آل ابي طالب فاخطب الى بعض بني طاهر فان رآك القوم كفوا لهم في باطن الامر وفي الظاهر فانت من سفلة خوزية يعض منها البظر بالاخر فنسبهم الشاعر الى امهم الخوزية بالعسكر لان كورتها خوزستان وهي ام محمد بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان ليست واحدة من بناته الا وهي في حبالة وتحت عقدة تفاديا من اجابته وتحاشيا من مصاهرته فلما عرف امتناعه رفعا بنفسه عن مصاهرته وترفعا بنفسه دونه وضع عليه يد الاستيصال بعد ان اودعه الحبس سنين وحطه حطة خبط العصا ورق السلم والبته عن قضاء الغنى فلاذ ابنه العادم وهلك من بعد على يده فقال قوم غيب عن مجلسه فلا يدرى كيف صار امره واين جعل قبره وزعم آخرون انه هرب من المجلس على طريق الحجاز فاحتضر في الطريق وعند ذلك لجا طاهر والد الحسن المذكور الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فتامر على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابي علي بن طاهر وهو ختنه على اخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث ابو علي مكانه من

الامارة الى ان لحق به وورثه ولداه هاني ومهني دون الحسن لاستضعافهما اياه وتقويهما بالجاه والمال عليه فرحل هو نحو خراسان ملتجيا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة سنة ثلث وتسعين وثمانية فلما ورد التاهرتي بزعمه رسولا صعر الشريف الحسن شانئه ووضع فيه لسانه وابى ان يكون له ثبات على دعوة الرسالة وانتساب الى نبعة النبوة وادعى عليه الكذب وتحمل الزور والتقول وعزاه الى فساد الدين واستحقاقه ضرب الوتين فخلى السلطان بينه وبين ما يستجيزه لنفسه ودينه فيه فقام الى جيده بضربة غرقته في دم وريده وقد كان القادر بالله امير المؤمنين كتب الى السلطان بما تراقى اليه من خبر الرسول ما يقتضيه الدين من التصلب عليه وتقديم الجد في الانتصاب للاسلام والمسلمين منه فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى الى مجلس الخلافة صورة الحال وكم السيف افواه العذال فقوبل من القبول بمقتضاه وجزي الخير على ما اتاه ونواه فكان مثل التاهرتي كما قيل
ومن يشرب السم الذعاف فانه حقيق بانياب المنايا النواهس

ذكر

ذكر الامير ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وما ختم به امره الى ان ورث السلطان مملكته

قد كان ابو الحسن علي بن مامون لما ورث اباه مامونا مملكته وقد كان استضاف خوارزم الى الجرجانية خطب الى السلطان احدى اخواته تقوية لعقدة الحال وتندية لمحبة الوصال فاوجب اسعافه بما استدعاه استكفا آراءه وتوخيا لرضاه وزفت اليه من خطبه ووصل باسبابه سببه ودرّ التهادي بينهما حتى صارت الديار واحدة والاسرار لغير الاخلاص جاحدة وعبرت الحال على جملتها في الاتشاح والامتزاج الى ان قضى خوارزمشاه نحبه ولقي بانقراض الاجل ربه وورث ابو العباس مامون بن مامون مكان اخيه وولي ما كان يليه فكتب الى السلطان يساله ان يعقد له على شقيقته عقده على اخيه من قبل فهو ثانيه في الطاعة بل اتم اخلاصا وثانيه في القربة بل اشد اختصاصا فشفع السلطان فيه داعي الكفاءة واستجد للحال رونق الطراءة

وعقد له عليها عقد الخلطة فيه بنفسه وفرّغ له فريقا من قلبه
وخلبه وما زال الأمر على جملة الاشتراك والاشتباك إلى أن دعا
السلطان داعي الاختيار إلى مرتبة إقامة الخطبة باسمه وأنهض
رسولا يتنجّز الحاصل بما يقتضيه ظاهر حكمه فصادف ذلك منه
حرصا على الإجابة وأنفة الطاعة غير أنه عرض الحالة
على من حوله من أعيان أشياعه وأتباعه فأظهروا إنكارا وأضمروا
واستكبروا استكبارا وقالوا نحن أتباعك وأطواعك ما سلم لك
الملك عن الاشتراك فأما إذا وضعت خدّك للطاعة وضعنا
السيوف على العواتق خلافا لك وتمليكا عليك وجهادا فيك فعاد
الرسول إلى السلطان بما رآه عيانا وسمعه بيانا وعدوانا وأحسّ
القوم بحضرة الأمر من ورائهم على ولي نعمتهم بالقول
الفظيع والرد الشنيع ورئيسهم في الأمر يومئذ ينالتكين البخاري
حاجب الجيش فأوجسوا خيفة وتوامروا على الفتك به غيلة وما
زالوا في التدبير عليه إلى أن دخلوا ذات يوم إليه على رسم
السلام فإذا هو صريع كأس الحمام لا يدري كيف قتل ومن أين

وجه إليه

وجه إليه قد وصل فبادروا إلى العقد بأحد ولده وبسطوا أيدي
الإصفاق على بيعته وعلموا أن السلطان منتعض للحادثة ويقصد
قصد الانتصاف للوراثة فتحالفوا على مقارعته إن غزاهم في
عقر دارهم وجزائهم على مسخوط آثارهم ولما انتهى إلى السلطان
خبر صنيعهم بولي نعمتهم وهو قيم سقيفته وحامي حقيقته
أزعجته قوة الحفاظ للانتقام من أولئك الغدرة الفجرة والمرقة
الفسقة فجاش لمناهضتهم على جبهة مسجورة وحفيظة
على أنصار ذات الله مقصورة وكانت سعادة أيامه قد لقنت
أولئك الغاة البغاة ما أوتوا استحقاقا للنقمة وبراءة من
العصمة وتمهيدا لعذره قربا وبعدا في استخلاص مملكة
كانت إلى حرايا له ذرعة ولباب الإقبال برفق سياسته
قارعة وجرّ الجحافل كالجبال سائرة والبحار زاخرة حتى
أناخ بعقوتهم مستعينا بالله على قتالهم واستنزالهم إلى
آجالهم وشاور حاجب الجيش البخاري عامة قواده في تكفيته
على طلائع السلطان بياتا نعقفهم بأنياب الحديد ان لم تسلمهم

للتشريد والتبديد وطار بحت خمار التيل حتى انقض على أبي
عبد الله محمد بن إبرهيم الطائي وهو طليعة السلطانية كماة
العرب حين ألفت الكرى رؤوسهم وشغل برد الصباح نفوسهم
فاختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف القواصل وطعنا
بالرماح الذوابل فطار الخبر إلى السلطان بركض القوم فزحف
بجيوشه إلى معترك الحرب وبثّ الخوارزمية من لدن طلوع
الشمس إلى أن حمي وطيس النهار جاهدين في القراع ومجاهدين
دون المساكن والرباع يظنون أن يظفروا وقد غدرواهمن
رباهم في جحود الإنعام وأزروا من ثدي الإكرام هيهات
إن الغدر قلادة منظومة أحد طرفيها عاجل العار وثانيه آجل
النار ولم يشرف الشمس على التكبيد حتى انجحفت الخيول حمر
العقول رجالا لا يجلوا جحالا قد وضعت أصلابهم وانتهبت أسلابهم
وفلقت بالسيوف هامهم وبضعت بها أجسامهم وانهزم الباقون
في حمر الغياض على شاطي جيحون والصوارم من ورائهم تخطب
أزواجهم حتى إذا وافتها تخطبها الطلاق صداقا وأسا سر

زهاء

زهاء خمسة آلاف رجل حقن الله دماءهم عبرة للنظار و
وعظة لأمثالهم من الغدرة الفجار وركب البخاري ظهر الماء
متوائلا في الهرب ومقدرا الخلاصة من العطب ولم يدر أن فعله
السوء مخبئه وإقدامه على ولي نعمته يرديه وأن حافر البئر
لأخيه ساقط لا محالة فيه وجرت في الزورق بينه وبين بعض
أضرابه منافرة حملته على الاستيناف منه وليث الملاح على
استقبال المعسكر بوجه الزورق فلم ينشب الأسير أن
حصل في يد السلطان أسيرا وأحضر السلطان مجلسه في
سائر القواد المأسورين يسأله وإياهم عن استحلالهم دم
صاحبهم من غير داعية واجترائهم عليه من غير وطأة
عاتية فرد جواب المستقبل المستقتل وأما الباقون فسقط
في أيديهم لا يدرون ماذا يردون وأمر السلطان بضرب
الأعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم أبي العباس مأمون
بن مأمون خوارزمشاه وصلبهم أجمعين عليها مع عدة ممن
اتهمهم بالدّين وعدّهم معدّ الناكبين عن قصد السبيل

ذكر فتح مهرة وقنوج ...

وأمر بالكتابة على جذوات تلك المقبرة بأن هذا قبر فلان
بن فلان بغى عليه حشمه واجترأوا على دمه خدمه فقيض الله
يمين الدولة وأمين الملة أبا القاسم محمود بن ناصر الدين
سبكتكين حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين
وآية للعالمين وأمر من بعد بالأسرى فوضعت الأغلال في
أعناقهم لنفاذون إلى غزنة دار الملك فوجا بعد فوج حتى إذا
حصلوا بها وقد امتلأت منهم العيون وغصت بهم المحابس
والسجون من عليهم بالإفراج وفرض لهم في جملة سائر الحشم
والأجناد ووضعهم مواضع أمثالهم من ديار الهند زمانا
يحمون أقطارها وينفضون عن عيون العيث مسالكها
وأطرافها وولى خوارزم حاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش
فأقام بها قامعا لجموع الفساد وقاطعا غصون الغي والعناد إلى
أن نضب ماؤهم وأذعن للسلطان أعداؤهم واتسقت تلك
الأسباب ودرت الأحلاب وذلك تقدير العزيز العليم
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

ذكر فتح مهرة وقنوج

ولما فرغ السلطان من مهم خوارزم وقد انضافت كإحدى أخواتها
إلى سائر ممالكه المتوشحة بآثار ولايته المتوشعة بأصباغ عدله ورعايته
رأى أن يختم صحيفة العام بطابع الاستتمام إجماما للركاب والركب
وتقليبا لرأي الغزو بين جوانح القلب فعدل إلى بست كالشمس
قد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال فالدنيا بها حواشي
المطارف أو حواشر المصاحف أو عقود المخانق أو خدود
المعصرات العواتق يجر أذيالها ويروي فيها ما أحمى لها إلى
أن أذن الله تعالى له في معاودة غزنة مستنشيا سحاب الفكر
في غزوة يحقق إعجاز القرآن بما تضمنه من وعد الله المنان
في إظهار دينه المرسوم بسيد البشر ومولى البدو والحضر
محمد تاج الأنام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى آله
الخيرة البررة الكرام على الدين كله وإن سخطت نفوس وصعرت
خدود ورغمت معاطس وأنوف بعد أن كانت الشقة قد
بعدت عليه وعلى أعوان دين الله السائرين تحت رايته إذ
كانت الهند قد تحيفت من شواها وأطرافها سبيا وانتهابا

وملكت على أربابها سهوبا وشعابا فلم يبق إلا ما أجنته صمير قشمير
ومن دونها فياف تصمم عن كل خريف وصفير وتضل بها وفود
الرياح إلا بخفير واتفق أن حشر إليه من أدنى ديار ما وراء
النهر إلى أقصى حدوده زهاء عشرين ألفا من مطوعة الغزاة وقد
وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد منتدبين في ذات
الله للاستشهاد يخطبون الجنان بصداق الأرواح ويستامون
الغفران بحدود الصفاح فحرك من السلطان نفيرهم ودبير
نفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى رأيه أن يزحف بهم إلى قنوج
وهي التي أعيت الملوك الماضين غير كشتاسب على ما يزعمه المجوس
وهو كبش أقرانه وملك الأملاك بزعمهم في زمانه فما بين غزنة
دار الملك وخطة قنوج مسيرة ثلاثة أشهر للركاب القود والخوانف
السود فاستخار ربه وسار وهجر النوم والقرار واستصحب
من شهد من أنصار دين الله وأعوان حق الله رجالا يقتحمون
أشداق المنايا شوقا إلى السعادة بالشهادة وحرصا على الموعود
من الحسنى والزيادة وعبر مياه سيحون وجيلم وجندراهة

وإيراوة وبيت جهوز ويشتد زمانا في سالمين وهذه أودية
تجل أعماقها عن الأوصاف ويستنبع أطرافها على الأطراف منها ما يغمر
غوارب الفيول فكيف كواهل الخيول ويدهده أثقال الصخور
فكيف خفاف المطايا والظهور منها من الله لمن والاه وعاداه
دروجه في استدامة رضاه ولم يطأ مملكة من تلك الممالك إلا
أتاه الرسول واصطحب الطاعة عارضا في الخدمة له الاستطاعة
إلى أن جاءه جنكي بن سمهي صاحب درب قشمير عالما بأنه بعث
الله الذي لا يرضيه الإسلام مقبولا أو الحسام مسلولا فأظهر
العبودية عن حاضر التوفيق وضمن الإرشاد بأني الطريق
وجعل يسير أمامه هاديا ويخرق واديا فواديا وكلما انتصف
الليل أذن بالمسير خفق الطبول واستوى أولياء الله على ظهور
الخيول يحثون نجب الركض والسلوك إلى أن تجنح الشمس من
كبد الدلوك حتى استظهر ما آخون لعشر بقين من رجب سنة
تسع وأربعمائة وما زال يفتح الصياصي والقلاع متنقلا على
زبود الجبال وخروف القلال بحيث تأم منابع الأعناق حتى

شخصت إليها نواظر الأحداق إلى آل شاقه قلعة برنة من ولاية
هردت وهو أحد الرايين أعني الملوك بلغة الهند فاطلع على
الأرض الطلاعة وهي تموج بأنصار حق الله مسومة من فوقها
الترائك ومن حولها الملائك فتزلزلت قدمه وأشفق من أن
يستباح دمه فرأى أن يتقي بالإسلام بأس الله وقد شهرت
حدوده ونشرت بعذبات العذاب بنوده ونزل في نحو عشرة
آلاف منادين بدعوة الإسلام متقادين عن ولاية الأصنام
فحقق الله ميعاده وأحسن بفضله إسعادهم وإسعاده ثم
وامتد به الوجيف بعد إلى قلعة كلچند وهو من أعلام
الشياطين وأعيان أولئك الملاعين يدل على الملوك بعز أقعس
ويرنو إلى القروم بطرف أشوس قد قضى في الكفر معظم عمره وعني
بهيبة الملك وبسطة الأمر عن تجشيم بيضه وسمره لم يقصده
أحد إلا ارتد عنه مغلولا وعاد عقده عنه محلولا لعزة
جاه وكثرة مال وفوج رجال وعدة أفيال ووثاقة معاقل وحصون
ومنعة عن مطامع الأنام ومطامح الوهم والأحلام مصون فلما

رأى

رأى السلطان قد قصد قصده وجرد المجاهد به جنده دب
نحوه له وخيوله وراء غياض لو رميت بأفراد الإبر لاتقتها الأرض
بأوراق الشوك والشجر وأغرى السلطان به بعض طلائع جيوشه
فبادروا إليه يخرقون تلك الآجام خرق الأمشاط منابت الشعور
بل الأشافي مخارز السيور وأعرض للسلطان طريق من فوق
القلعة المذكورة فلم يرع أهلها إلا البحر الأخضر والله أكبر
والسيوف لا تبقي ولا تذر فنبذوا الجلاد مستقتلين وتراموا
بالماء مستبسلين والسيوف تأخذهم من فوق ومن قدام و
تصفحهم ما بين لحوم وعظام وحملاتهم بها تفصل اتصال
الكعوب وضرباتهم تتوالى توالي الغيث المصبوب عبرا أن الله
تعالى منزل الحديد ذي البأس الشديد هو الذي إذا شاء قطع
وإذا شاء نبا وامتنع   كذا كسيوف الهند تنبو ظباتها
وتقطع أحيانا مناط القلائد   فإن كان من أولياء الله فلا جرم
الاستشهاد وثواب المعاد وإن كنت فلا عجاز القدرة وإظهار
العبرة ليعلم أن الحكم لله في كل مخذول ومعصوم ومحروس

ومعصوم وظل المخاذيل يتغامسون بينهم وقد عاينوا سيوفهم
نابية وسيوف أهل الحق عليهم ماضية وحملاتهم واهية
وحملات أهل الدين أولى وثانية ما هؤلاء من جنس الإنس
ولا من زمر البشر هيهات إن وقع الحديد ليحز في الجبال
ولا حز له في هؤلاء الأبطال حتى إذا مثل لهم شخص الطغيان
في صورة الخذلان تواصوا باقتحام ما وراءهم من زاخر
الماء يظنون أنها تقيهم بأس الانتقام وتحميهم كأس الحمام
أولا يرون أن الكفر لا يهدي سبيله وأن الله يردي كثير
ما يحيي قليله لا جرم أن صفائح الماء وافت صفائح الظبا
فأوسعوا قتلا وإسارا وأغرقوا فأدخلوا نارا ولعل عدد
القتلى والغرقى يزيد على خمسين ألفا أصبحوا طعما للنسور
والضبعان وأقواتا للتماسيح والحيتان وعمد كلچند إلى
قرينته فأهلك بها عرسه ثم كر فألحق بها نفسه واغتنم
السلطان مائة وخمسة وثمانين رأسا من الفيلة الضخام
مضافة إلى سائر ما اطرد عليه حكم الاغتنام من نعم الله

الجسام

الجسام وقسمة الراجحة بالأنعام ولما وضعت تلك الحروب أوزارها
وحلت له الغنائم أزرارها عطف عنانه إلى سمط البلد الواقع عليه
اسم المتعبد وهو الذي بناه مهرة الهند يطالع أبنيتها التي يزعم
أهلها أنها من صنع الجان دون الإنسان إبداع أساس
وسقوف وإعجاز أوساط وحروف فرأى ما يخالف العادات
ويفتقر وإيانها إلى الشهادات بل المشاهدات بالمبني
السور من صم الصخور وقد انشرح بابان منها إلى الماء المحيط
به موضوعة أبنيتها فوق شواخص القلال صيانة لها عن مضار
سيول الماء ومعاد غثوث السماء ومن جنبتيه ألف قصر شبيهة
بسائر الأبنية في الوثاقة مشتملة على بيوت أصنام قد هندمت
مفاصل أطرافها بمسامير تساوي سطوح البناء وتواريها وأولها
من الجزو تحت الخفاء وفي صدر البلد بيت أصنام تحل لعلة
أو أحسن وتجري مجرى أضرابه بل أنقش لا يهتدي الكتاب
بأقلام الدواة ولا النقاشون بأطراف الحمامات إلى أمثالها
تحسينا وتزويقا ونقوشا تخطف الأبصار بريقا وكان فيها كتب

السلطان به انه لو اراد مريد أن يبني ما يعادل أشياء هذه
الأبنية لعجز عنها بإنفاق مائة ألف ألف درهم في مدة مائتي سنة
على أيدي عملة كملة مهرة سحرة وفي جملة الأصنام خمسة من
الذهب الأحمر مضروبة على خمسة أذرع في الهواء منصوبة
قد ألبست عينا واحد منها ياقوتتين لو سيم مثلهما على السلطان لابتاعه
بخمسين ألف دينار استرخاصا ولم يتشكك فيه دركا ولا خلاصا
وعلى آخر قطعة ياقوت أزرق ريا من رونق الماء وبريق البهاء
تزن أربعمائة وخمسين مثقالا وخرج من وزن قدمي أحد
الأصنام المذكورة أربعة آلاف وأربعمائة مثقال فكانت جملة
الذهبيات الموجودة من أجرام الأشخاص المنصوبة ثمانية
وتسعين ألفا وثلاثمائة مثقال وزادت الفضيات منها على مائتي
قطعة لم يمكن وزنها إلا بعد التفصيل والعرض على كفف المعايير
وأمر السلطان بعد بتلك بيوت الأصنام فضربت بالنفط والضرام
وجعلت سقوفها مواطئ الأقدام وسار من بعد قدما يروم قنوج
وقد اشتق له الفال من تصحيفه فتوحا وعلمه من الله ممنوحا

ممنوحا

ممنوحا وخلف وراءه معظم العسكر تخفيفا لراجيال ملكها في الثبات حقه
الزحام وتقضيا له قبل اللقاء صورة الإحرام إذ كان أمراء الهند
على غلب رقابها وقوة أسبابها وأصحابها أطواعا لراي قنوج اعترافا
بمكانه واعترافا بفخامة شأنه ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك
البقاع إلا وضعها بالأرض وعرض أهلها على الإسلام أو السيف
وحاز من السبايا والنهاب والنعم الرغاب ما يعجز أنامل الحساب
ووصل ثامن شعبان إلى قنوج وقد فارقها راجيال حين سمع بإقدام
فرار من لا يرى الهزيمة عنه عارا ولا يعتد الفضيحة به شنارا
وعبر الماء المسمى كنك وهو الذي يتواصف الهنود قدره وشرفه
ويرون من عين الخلد في السماء مخترفه إن أحرق ميت منهم ذروه
فيه لعظامه وظنوه طهرة لآثامه وربما أتاه الناسك من بعيد فغرق
نفسه فيه يرى أن ذلك ينجيه وهو في العاجل يرديه وفي الآجل
يصليه ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع قنوج
فإذا هي سبع موضوعة على الماء المذكور كالبحر المسجور وفيها قريب
من عشرة آلاف بيت للأصنام يزعم المشركون أنها متوارثة منذ

مائتي ألف سنة إلى ثلاثمائة ألف سنة كذبا وزورا وقولا مزورا وعدولا
عن سنن الهدى وكفورا وبحسب قدمتها كانت عبادتهم لها وإجهاشهم
بالدعوات إليها وقد شرد عنها أكثر أهلها خيفة الإثم والسم
وحلول النكير بآلهتهم الصم البكم فمن بين ناج أعانه نجاؤه وثاو أباده
ثواؤه ولم ينجه من سيوف الحق أرضه ولا سماؤه ففتحها كلها في يوم
واحد ثم أباحها لأهل عسكره ينتهبونها طلقا حلالا ويغنمونها
رقابا وأذلالا وركض منها إلى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة
وهم جن نفاح وعتاة ما لهم عن الفساد في تلك البلاد براح فثبتوا للقراع
أشباه العفاريت عارجة والشياطين ماردة أو مارجة حتى إذا أعوزهم
الثبات وأعجزهم النجاة وعلموا أن ليست لهم بالمسلمين طاقة وأن دماءهم
لا شك مهراقة تهاووا من خرفات الجدران وشرفات البنيان على
شبا الرماح وظبى الصفاح استخفافا بالنفوس والأرواح واستسلاما
لأمر الله المتاح لا جرم أن السيوف أشربت الأرض دماءهم
وأطعمت النسور أشلاءهم كذلك المنايا أمهار من خطب إليها لم تر له
ردا ولم يجد من إنكاحه بدا وأخذ على تقفية ذلك نحو قلعة آسى

وصاحبها

وصاحبها المعروف بجندبال بهور أحد أنياب الهنود وأرباب الجنود لم
يزل ذا منعة بالملك وسعة في الملك فعرض له راي قنوج منازعا
ومادة للحرب مكاوحا ومقارعا فلم يزد على أن أتعب أو لباءه وكل
على الخيبة وراءه وقد أحاط بهذه القلعة غياض متكاثفة كأجراف
الجبال ومتداخلة كأشجار الحداد لا يستجيب الأفاعي بينها للرقاة
ولا يستنير البدر عندها للسراة قد أحاطت بها خنادق فغيرات
الجفار فسيحات الدوائر إحاطة النور بالثريا فأباه عنها الفراج و
لا أجاد دونه انعراج فلما شعر المذكور بزحف السلطان إليه في كواكب
دولته ومواكب جملته فقد قلبه فرط الحذار وجرته فكان
ذنب الفار ورأى الموت فاغرا فاه فلم يمكن إلا أن يوليه قفاه فأمر
بتقليع قلعته من أصولها وتعويرها على من يهم آنفا بحلولها وقفر أناة
بعقارب أصحابه ينهبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون حتى علم الكافرون
أنهم هم الخاسرون وكان المخذول يرى أن أعوانه من كماة المقانب
وحماة الأشاجب وزماة الكتائب حتى رأى عسكر السلطان بين تلك
المشاجب وآثارهم بالقنا والقواضب والقسي المواطر كالسحائب

فعلم ان ضرب اللاعب خلاف ضرب الثائر الغائب وقوس الحجيج غير قوس الناشب ولما فصل السلطان امر جندبال واذاقه في هربه الذآء العضال عطف على جندراى احد اكابر الهنود في قلعة شروة وهو يظن بنفسه ان القائل يعنيه بقوله عطفت انى ثانيج وتنا ولت يدائى الثريا قاعد الغير قائم قد ذهبت بها عن ان تعطى غير مقادة او يالف غير المغر بعاد وكانت في غابر الايام بينه وبين بروجيبال مناوشات تجاحش عن خضوع الرقاب فدامت حتى شابت رجالا واصطلمت ابطالا ابطال الامم قام دمت الحرب بينهما فاضطر الى التوادع والتكاف حقنا للدمآء وصونا للاطراف وخطب بروجيبال اليه ابنته على ابنه بهيمال استدامة للالفة وازاحة للفرقة واستنفاعا للشر والفساد واستبقاء للسيوف والاجهاد وسرح ابنه اليه على نجح عقد الوصلة وشرط الانتاج في اللحمة والاشتراك في البيت والنعمة فلما حصل الختن في يده جعله تحت قيده وطالبه بعوض ما ذهب له على يد والده فعجز بروجيبال عن قصد قلعته وافتكاك ابنه واستخلاص ابنه من اسار محنته غير ان المنازعة لم تنفك بينهما قايمة الى ان طلعت رايات السلطان يمين الدولة على تلك الحدود

وسبق صنع الله له في المقصود بعد المقصود فامار وجيبال فلحق بهو اجد بواحد المتحرزين بحصانة المعاقل وحزونة المداخل وخشونة المواقل خلا ما بمهجته واعتيا صاله خجه على من هم بافتنام من اثره واما جندراى فانه استعد للمدافعة واحتشد للممانعة اعتزازا بوثاقة قلعته ولو ثبت لاقلعته وادلالا بمنعته ولو وقف لاختلعته فراسله بهيمال بان يحمود ليس من جنس اكابر الهنود وامراء رجالهم السود ان السلامة من مثله تغتنم والجيش باسمه واسم ابيه تنهزم وقد رايتنا من كان اقوى منك جملة واهل اكثمة لم يقم لضربة من ضربات جدوده ولم يف بهضبة من هضبات جنوده فان اردت الاقتصاح فشانك او الخلاص فعض ما استطعت مكانك فعلم ان الرجل قد نصحه وانه ان خالف الحق فضحه فسرب اثقاله وافياله وخزائنه وامواله بحو جبال تباغى كواكب الجوزاء واجام توارى خد الارض من عين السماء وكري بوجه مغضب فلم يدر اين سار والى اي الاقطار طار امتطى الليل ام افتعد النهار وكان غرض النصيح المظلوم في تهريبه اشفاقه من جبالة الاقتناص فيناله من كلمة الاسلام ما ناله

اعمامه واقاربه حين اضطر الى الاستيمان والاستسلام فلما احاط السلطان بتلك القلعة وافتحها على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها ومصاعد تعتها وتوسع منها في علف كثير ومال على الخلاف اصنافه خطير لم يهنه الموجود وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الارض دون طلبه وانتزاعه من يد مهربه فاقتص اثره ركضا بحو خمسة عشر فرسخا من بين منابت الشجار تسك الوجوه قدميها ومساقط احجار تصدم الحوافر فتحفيها ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وهم يطاون مجاهل الارض هبوطا وصعودا ولاطي النجاد بحضرموت برودا واهاب باولياء السلطان الاسلام وابناء الصلوة والصيام الى اقتصاصهم وادلج الظلام في اقتصاصهم ثقة بالله الناصر لدينه القامع للكفر بتوهينه فكم من قتيل هناك قبل ان يمسه حد الحديد واسير بقيد قبل يد التقييد فاما الاموال فباتت نجما دون الارواح وسترا دون حد السلاح وحد الجراح ولا يغنيا بها او تشفى النفوس من عروة الكفار وعبدة الشمس والنار وظل الاولياء يتبعون طرايح الهوادج ثلثة ايام تباعا شغلا واغتناما وحلا لا تعدا ان جمعها الكفار حراما

واما الفيلة فمن بين مقهور ومردود ومستطرح بالقود الى السلطان محمود لطفا من الله تعالى يبيح له غنايم الاموال حتى يسوق اليه بهايم الافيال لاجرم انها سميت خداي اورد شكرا لله على الهام ما لا يمسك الا بالمقامع ولا يملك بالمرائع لا بالحيل الخوادع ان ياتي طوعا فيهجر الاصنام ويخدم الدين والاسلام ولقد احسن من قال

في الامير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا

سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو مس اعطاف النجوم مجربي الترسيع سعدا
او سار في افق السماء لانبتت زهرا وورد ا

وبلغ ما زادت من خزائن الشارب الهارب ذهبا وفضة ويواقيت محمرة وفرائد مبيضة قرابة ثلثة الاف الف درهم فاما السبي فالشاهد على كثرة عدده ووفور مدده وقوع الاسبام على الواحد منهم باثنين درهمين الى عشرة دراهم ذلك فضل الله الذي ذخره لايام السلطان يمين الدولة وامين الملة وهو المليء له بتمام الثواب يوم قيام الحساب فالحمد لله خير محمود وبجود وله الشكر على ما اقر به عين محمد صلى الله عليه وسلم محمود

ذكر المسجد الجامع بغزنة

ولما عاد السلطان على تعبية النصر

المؤكّل بقمع الكافر المفتري المتكفّل بسعدي السماء الزهرة والمشتري طالع
دار الملك بغزنة وقد كاد أن يغيض سيحها على عدد الأرقّاء من العبيد
والإماء حتى استغرقت عليها أكياس التجّار الغادين إليها عن نوازح
الديار ونوازع الأمصار فغصّ ما وراء النهر إلى مرابع العراق ومبادي
الإشراق منها ما خلط بيضهم بالسود وعدلته التمليك بين المسوَّد والسوّد
أحبّ أن ينفق ما أفاء الله عليه من أنفال أولئك الغلف الأغفال
في عمل برّ يتبع حمده ويرجع إلى أمر الاحتساب معناه وكان قد أوعز
باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع إذ كان ما اختطّ
قديماً على قدر أهلها حيث علت من دعاب البلاد سخوط دار و
وشطون مزار فوافق عوده من مغزاه حصول المراد من تقطيعه
وتوضيعه وإقامة الجدران على مرابعه فصبّ بذل المال على الصنّاع كما
صبّ دماء الأبطال يوم القراع ونصب لتشاد فيهم أجلّة الزعماء بحضرته
فهو يطوف عليهم مطالباً بصدق العمل ومغالباً على دمو الآل حتى إذا توسّطت
الشمس قلّة الجبل أقام السنن الراتبة ناطقة بالإنصاف وإذنه بالجزاف
فهم بين أجرين عاجل على السلطان معقود وآجل على الرحمن موعود

ونقل إليه من أقطار الهند والسند جذوع توافقت قدوداً ورهافة وتناسبت
تدويراً وثخانة كأنها استودعت أرحام الأرض لأمر معلوم وجمعت بأعمارها
ليوم مجتوم فجاءت ولا الحقّ كمالاً والعدل استقامة وأعيد الأ
ثني عليها الملاسة والسداد وكأن بها منها بين لا ينقبض ولا يكاد وقد
فرشت ساحتها بالمرمر منقولاً من كل فجّ عميق ومضرب سحيق
على تقطيع التربيع أشدّ ملاسة من زجاجة الفتاة وصفحة المرآة و
عقدت عند منتهى الأبصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز
فلو جاش بها لعدّ في جنبها معدّ الواهن العاجز فأما الأصباغ
فطابع دومة الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون تستوقف
الأبصار وتقيّد النظّار وأما التذهيب فحسبك به أن الصنّاع
الصاغة قد عزّت عليهم الحقاق وشحّ لهم تكليف ما لا يطاق وليس
بصفائح الزناب فقط لكنّه سبائك الذهب الأحمر أفرغت
عن صور الأصنام المجذوذة والبددة المأخوذة فطبقت الأرض
على أكتاد بعد أن كانت آلهة الكفّار وتقرّب المطارق بعد أن
عبدت بالحدود والعبادة أو ليس الذي ينفق على جدران مساجد

الله غيرة للموحّدين وغيظاً على الملحدين أتمّ سماحة وأكرم راحة
ممّن يفرغه معبوداً ويتّخذه للنفع والضرّ مقصوداً نعوذ بالله من
ربٍّ يشترى ويُعار وهو محتاج إلى الشِّعار وجزى الله عن الإسلام
ملكاً هذه أفعاله وأعماله وأشبهان الروح والممنوح في سبيل الله
دأبه وآدابه وقد أفرد السلطان لخاصّته بيتاً في المسجد مشرفاً
عليه مكعّب البناء موسّع الفناء متناسب الزوايا والأرجاء فرشت
وإزاره من الرخام كأنّ عليه الظهور حتى نقلت من أرض نيسابور
وقد أحيط بكل رخامة مرتفعة محراب من الذهب الأحمر مكللاً
باللازورد في تهاريج من ألوان المنثور والورد من يرها بعينه
يقف لسانه لاستحسانه لأن هذا الأستاذ ممتعاً بنائه إلا
من رأى مسجد دمشق فراعه مرآه وساقه النظر حتى تاه وقضى
بأن ليس يوجد مثله أنا وكذلك هذا البيت يكذّبك المثنوية ويحلف
عليك القضيّة ويخبرك أن للحسن بعض صفاته وللإبداع إحدى
سماته وأنفال الهند من خدم نقوشه والهمّة العلياء قد سمت
بعروشه وأمام هذا البيت مقصورة تهاريج عليها منصوبة

تسع عدة الآلاف غلام متى شهدوا الصف من الخدم أماكنهم منها صفوف
وأقبلوا على انتظار الأذان عكوفاً وأضيف إلى المسجد مدرسة فيحاء
يشتمل بيوتها من بساط الأرض إلى أنماط السقوف على نفائس الأئمة
الماضين من علوم الأولين والآخرين منقولة عن خزائن الملوك
الصيد تقرّوا عن ديار العراق وبلاع الآفاق حتى اقتنوها
بخطوط كفرائد سموط مصحّحة بشهادات التقييد وعلامات
التخفيف والتشديد يتناها فقهاء دار الملك وعلماؤها وهمّها
للتدريس والنظر في علوم الدين على كفاية ذوي الحاجة منهم ما يهمّهم
جرايةً وافرة ومعيشة حاضرة وقد اقتطع من دار الإمارة إلى البيت
الموصوف طريق يفضي إليه في أمن من ابتذال العيون اللوامح وأغراض
الرجال من بين صالح وطالح فيركب إليه على وقر سكينة وشمول
طمأنينة حتى يقضي المكتوبة ويقتضي الأجر والمثوبة فأما سائر
دور الحجّاب وصدور القوّاد فما شئت بحقائق الإنفاق عليها الآن
أتاها اعتباراً وشاهدها اختباراً فيرى ملأ الأباطح أبنية يشرف
على الهضاب شرفاتها ويكاد يغترف من نهر المجرّة غرفاتها وناهيك

من جملة تحتوي على مرابط ألف فيل يشغل كل منها باسته ومايته دارا
كبيرة وخطة وسيعة أن الله تعالى إذا أراد عمر البلاد وكثر
العباد وهو على ما يشاء قدير ذكر الافغانية وما قضى السلطان
وغزو القيظ بغزنة وأقبل الخريف بشفيفه وسجح الوقت بحاضر
دينه وقد كان طوايف من الافغانية المستوطنين قلل تلك الجبال
الشوامخ والرعان البواذخ تعرضوا فعل القطايع لأذناب عسكره
منصرفه عن غزوة قنوج اغترارا بمناعة أماكنهم وحصانة مساكنهم
وتطنيبا لطغاء أفعالهم والتباسها بمناكير أمثالهم فرأى أن ينتقم
منهم بركضة تأتي عليهم أو كادهم وملاجيهم وتحتث بدماء النحور
جماجمهم فعزم على ما دبره وصمم على ما قدره وورى بعتبه نحو بعض
أقطار بيضته ثم ركض عليهم في غاشيته ذكيا فصبحهم في مراقدهم
لم يشعروا إلا بحز الصفايح على برد الصباح ضربات تقطف
الرؤوس عن الجسود وتفرغ الجود على الجحود
متى حتى إلى صرعى كأن جلودهم طليت بها الشيان والعلام
فالحايفة آمنت عليهم الرقود والنجلة الأعقود أو تتهد

اليوم

اليوم الموعود فكم من جثث فوق الأعلام ورؤوس تحت الأقدام حتى
إذا انتجعت السيوف أجسامهم ولم تستبق إلا اللمام وأيامهم
لف كف الاستبداد وعلا ذروة العز بالاستجداد وعادت تلك الوعور
سهولا وكان أمر الله مفعولا وعطف إلى غزنة متيلا للوابين
أن يستوي على مستنجح ولغابر السنة في الغزا مستتما وبين المركب
نية ميمونة في غزوة تنشع باقي ضبابات الكنود عن ديار الهنود
محجزا على من كان يغرب بذنبه في مهربه كالوزغة المتخنة
لا يلبث أن تموت فأتت عليه جنة الإظلام أن يسيغ على الفعود
جريضه أو يستبقي بمخابر الاخلاد بيضة وثنى عنانه نحو الهند
في رجال يرون منتهى الشهوات صهوات الخيول وقصوى الأرب علالة
الفحول ويجتزون بالظهور أسرة مرفوعة وبالأكوار وسايد موضوعة
وبالسموم رياحين مقطوفة وبالآجن الطرق صهباء مرشوفة
وبالعرق السايل ماء ورد وبالمستطل القاتر مثار عبير وفتات ند
وبالليل سكنا وقرارا وبالنجوم ندامى وسمارا فمن يكن نسبت
فإن آباءهم المشرفات البواتك وأمهاتهم الذاعبات العواتك

وأعمامهم البيض الجوازع وأخوالهم النبال النوازع وما زال يخوض
أنهارا هايجة ودوافع مايجة وأودية هادية إلى أن نصر وطرفها
دونه وعين الله ترعاه في كل سعي يسعاه حتى اقتحم مغارات أولئك
المغاوير على ديارات أولئك المداببر فطلت ذوا الفل يصحون بالويل
والثبور ضجيج الثوق دواجع بيت الله المعمور وما زال السلطان
يسيح بمن آمن وأطاع ويفتح من أظهر الامتناع بعد أن أصاب
غنايم لا يضبطها حساب ولا يطعمها ماء ولا تراب حتى انتهى المسير
إلى ماء يعرف براهب غاير المخاض حمي الفراق كالحياض
يبتلع الخف والحافر ويقتلع الدارع كما يقتلع الحاسر فإذا هو
هلا وحيال من تلك الجهة في رجال كالقرم وأفيال تحت الأديم قد
أخذ من بلاحي الركضة حذره وأسند إلى آخر النهر ظهره ودام أن
يمنع السلطان عبوره ويشغل من اقتحام الغمر جمهوره حتى إذا الليل
الليل تغاره مريغ دية استحال غرور ومروان على حمار فلما علم
السلطان ذلك من فعله ورأى استعداده واحتشاده لصد آخر
بالاطراف فتيت للعبور وأهاب بعدة من غلمانه للركوب

فاستثر

فاستأثر الأخرى ثمانية منهم جند دون العدوة القصوى ويلتزمون كلمة التقوى
فلما رأى بروحيال استقلال الماء بهم وماهم بخمسة من فلك الجنة
وفوج من رجال المصفية فأراد الله أن يحقق لنبيه الأمي الأمين
ورسوله المؤيد بالنبيين حيث قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الأرض
فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فأمر تلك
العدة أن استوقفوها على ما لها خرزا الأطراف ما يلي الأكناف
بالنبال وغرزا العائد في وجنات أولئك الضلال معجزة لم يسمع بمثلها
قبلها ثمانية تحرج سيلا وتدفع فيلة وخيلا وتذب من لفظ السلطان
عند عيان ذلك البرهان أن قال من بعده على السباحة فليتعب اليوم الراحة
فإذا هو بخاصته ومعظم حاشيته خايضين ولصعب الماء رايضين فتارة
يسبحون بالأطراف وأخرى يستبحرون إلى الأعراف حتى انتظم القد
سالمين لم تنجح لهم جنبة ولم يعطب بهم جرية ولم تذهب بحمد الله
سبية وحمل السلطان بهم وقد بروزوا إلى الظهور جملة مزوعتهم
بين عقير سكران من عقار الجدود وأسير حيران من مأسور القدود
وطريد نجا في وقع الغواضب وقتيل بمرأى النجوم الثواقب صار

ما حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتين وسبعين ثقال الأجسام
كثقال الغمام وطار الكفار هزيمًا لا يملك عزيمًا ولا يفقد تأخيرًا
وتقديمًا وقد كان السلطان قبل أن لقي الكفار ولبس جنوسته
الدروع والمغافر أخذ فالًا من كتاب الله تعالى يهدي عاقبة
ما ينويه فخرج له قوله تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الأرض فينظر كيف تعملون فلما حقق الله وعده ونصره
بفضله جلّ ضمن على نفسه أن يفي بواجب عمله قد لأرزقه
الأنام وعزّ وأيد الإسلام وشكر ليقيد الإنعام لا جرم
أنّ الله حافظه وحاميه ومصيب به أغراض آماله وأمانيه
والذي يذخر له من ثواب الجهاد أربح معاده وأرجح مكاييل
ومعايير

ذكر أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ والقاضي أبي العلاء صاعد بن محمد وما انتهى إليه أمرهما بنيسابور

فقد كان أبو بكر محمد بن إسحق مرموقًا بعين النباهة في صدر

هذه الدولة لمكان أبيه من الزهادة وخصّه الأطراف على العبادة وإقباله
على أبيه فيما كان يتحلّه وينتحله وكان الأمير أبو منصور سبكتكين يرى
من عصابته في الزهد والتعفف والتقشف ما قلّ وجود مثله في
كثير من فقهاء الدين وأعيان المتعبدين فحلا ذلك في قلبه كالحلي
بعينه والمجاهد في الله محبوب وقد يكرم أهل الشفاعات من ذوي
واستمر السلطان بعده على وتيرته في ملاحظتهم بعين الإحترام
وإيثار طوائف الكرامية بالإكرام حتى قال أبو الفتح البستي فيما شاهده
من نفاق أسواقهم

الفقه فقه أبي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام
إن الذين أراهم لم يؤمنوا بمحمد بن كرام غير كرام

وانضاف إلى هذه الوسيلة القوية والذريعة الإلهية أنه لما تورد
جيوش الخانية خراسان عند غزوة السلطان ناحية الملتان قبضوا بنيسابور
على أبي بكر احتياطًا لأنفسهم من شيعته واحترازًا من غامض مكيدته
ونقلوه في جملتهم حين طلع رايات السلطان من مغاربها وأومضت
سيوف الحق عن مضاربها إلى أن وجد منهم فرصة الإفلات والثلاثة

على من تكفل الإبانات فأمّه السلطان ذلك له في سائر مواتيه وأوجب
له حقًا بحفظه بعين مراعاته وتعجّب من أرباب البدع الباطنية
على ما اتسمت به البلاغات والله أعلم بالحجة الظاهرة والبيّنات
قيامًا وأفتت نصلًا من السلطان في استيصالهم ونعصًا لدين الله
في أحشائك أمثالهم فجردوا من أطراف البلاد وصلبوا عبرة للعباد
وكان أبو بكر أحد أعوان السلطان على رأيه حشرًا إليه وتصويبًا
للرأي عليه فصار البري كالسقيم مذعورًا وعاد الملأ في عارض
الخطب شورى ورأى الناس أن دريئته السم القاتل ومدية
السيف القاصل فنجعوا له بالطاعة ورشوا له خدود الضراعة
وانعقدت له الرياسة في لجنة الصوف ولحمة الخاصة والعامة
بين المرجو والمخوف ووجدت حاشيته سوقًا للأطماع بعلة الابتداع
فاستذلّوا الناس واستفتحوا الأكياس فمن ألمّ منهم بمكايس ذي
يسار متنقلًا أو نعطي الجزية عن يده وعبرت على هذه الجملة سنون
لا مطمع لإجابة تبديل شكلها وتحويل فادح الحال عن أهلها ولا علم
بأن الزمان متغير الأحوال متسنّ بالخلاف على سورة المعتاد دهيت

ومن صبر على الأيام رأى الرفيع وضيعًا والضليع ضريعًا وشاهد
عن سموم النقط صرًّا كالحًا وصفيعًا واتفق للقاضي أبي العلاء
صاعد بن محمد أن حجّ بيت الله الحرام سنة اثنتين وأربعمائة
وهو الإمام الموقوف والزاهد الموصوف والفاضل الجزل والباذل
النجل قضى الله عمره على الحظ النفيس من عمر الدنيس والتدبير
يتطفل عليه الأعمال فيأباها وتنصبت إليه الأغراض فيجري الجياد
فيما عداها ومن عاد شرف العلم لم يشتر به ثمنًا قليلًا ولم يعدل
به حظًا وإن كان جليلًا فلما حصل بدار السلام وأنهي إلى القادر
بالله أمير المؤمنين خبره في حجّ بيت الله الحرام قوبل بمقتضى
حقه في الإسلام من واجب الأثر والإكرام وظاهر التوقير
والإعظام وعقد بالكتب إلى حضرة السلطان فيما تقرر من حاله وفي
مهمات أوجب الاحتياط شرحها على لسان مثاله فلما عاد من
وجهه مخلص لحضرة السلطان بغزنة فعرض ما صحبه وقرر ما
يحمله وأدى من حق الأمانة ما لزمه وبها الأستاذ أبو بكر محمد بن
إسحاق فجرى في مجلسه ذكر الكرامية وإطلاقهم القول بالتجسيم

وتفويض الله تعالى لما لا يليق بذاته الكريم فأنف السلطان لهذه الشنعاء
من مقالهم والعوراء من فحوى جدالهم ودعا أبا بكر ناكلا عنه
وباحثا عن صورة الحال منه فأنكر اعتقاد ما نسب إليه وأظهر البراءة
عما أحيل به عليه فسلم مع الإنكار عن مس العتب والإنكار فأما
الكرامية فإن الكتب نفذت إلى العالية بتقديم الاستقصاء عليهم
فمن أظهر البراءة عن قول التشبيه واعتقاده الموجب للتبديع
ترك وشأنه من عقد المجالس للتذكير ونشر المنابر للتدريس ومن
أصر على دعواه ولم يحتج لنفسه سواه جعل معناه عليه حصيرا
ودون لسانه دون الفضول قصيرا وخلع السلطان على القاضي صاعد
العلاء خلعة لائقة بجلالة قدره وإنافة محله ورعاية أمير المؤمنين
لحقه وإيعازه بتمجيد أمره وصرف كلامها على جملة الإنابة والتفخيم
على أعين الناس ولم تزل فتنة القول بالتجسيم ناشبة في صدر أبي بكر
تصادع الأيام على نهج المكافاة بها إلى أن استتب له الأمر في عقد
محضر على انتحال مذهب الاعتزال وتحجر خطوط قوم من الأعيان
سلكوا فيه طرق المساعدة أو تقشعوا به عن وخز المنافسة فغيظ

بالسلطان داء دخل وهم على سير النفوس فرق واحتيل في عرض المحضر
على السلطان استفساد الصورة لديه فوقع التدبير موقعه من الإحفاظ
عليه ورأى أن يبحث عن صورة المرفوع في المحضر من مورد والطالب
من ذود فأنهض قاضي قضاته وأوحد ثقاته أبا محمد الناصحي من لم
يترك أحد في اصطناعه والجذب إلى العلاء بباعه فإنه استخفه
على طراءة شبابه وحداثة قلما توجد إلا في فرح الأسنان فضلا عن لدات
الشبان والشاب وهما العلم والورع أخوان دونهما الدر بالياقوت
والعصمة بكفاف القوت وأنفذه بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى
وإصباح الناس من ناطع نور في التقوى حتى إذا بهر كماله وطفح
بالفضل مكياله ولاه القضاء في عامة دار ممالكه ثقة بتقواه وأمانته
وورعه وزهادته فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء وروضة
الحزن ديمتها السماء عشاء نعم وأمره بأن يستحضر القاضي أبا العلاء
صاعدا وأبا بكر الأستاذ في وجوه الرؤساء وأعيان الشهود وطالب
بإقامة الشهادة على الدعوى المذكورة على رؤوس الملأ من غير محاشاة
أو جنوح إلى مداهنة ومحاباة فقابل الأمر بالامتثال وتجافى عن

حرمة العلم لحشمة الملك وهيبة الجلال وسأل أرباب الحفوظ عما
عندهم من قضية الحال وجلية المقال فأما أبو بكر فإنه أراد أن
يتلافى باغي الخطب فزعم أن الأستاذ كيف ذبة العلم أحدث بينهما
منافسة تنازعاها مذهبي التجسيم والاعتزال فلا صح ما نسبني
إليه ولا تقرر ما ادعيته عليه وأما الآخرون فمن جاد على حكم
المساعدة في المحاباة والمهاودة ومن جاد بتمام الاحتشام في التصريح
وإطلاق الدعوى باللفظ الفصيح مكاشفة عدت الشهادة إلى
التعصب وجاوزت حد المعلوم إلى التغضب ومن لذلك وجوه
أهل الرأي حتى كادت تورث فتنة لولا أن هيبة السلطان
أخرست الألسن الطوال وضربت على النفوس التطامن والانخزال
وتلطف قاضي القضاة لعرض الحال وتقرير صورة المحال واتفق
أن يحين الأمير أبو المظفر نصر بن ناصر الدين في مجلس السلطان
فرصة القول في باب القاضي أبي العلاء صاعد فأثنى على سمته
وسيماه وأنبأ على ورعه وتقواه والتمس على سبيل التلطف أن
يقع كلاب للمناصبة به وتدارك للمهانة الطارية عليه بجبر كسر

تصدى لمكاشفته وتعرض لاستفساد مكانه فوثق به السلطان فيما
قال وحدس أن صاعدا أجل من أن يعتقد الاعتزال وأمر بإشخاص
من انتدب لمراغمته ومقابلته باقتضاء حكم وقاحته واستحلف القاضي
قرانا بينه فلم يكن يبرز إلا لغرض يقضيه أو حلم يمليه محتجزا بالله
عن غيبه ومقتنعا بما أدركه عليه من خبره ورأى أن بقية العمر
أعز من أن تضيع على القيل والقال وخدمة فضول الآمال
ومزاولة ما يغض قدر العلم بالابتذال واستناب ولديه كالفرقدين
أو النيرين أبا الحسن وأبا سعيد شريكي عنانيه في المروءة والفتوة
وصنوي لبانيه في أوامر النبوة وأحكام آيات الله المتلوة في قضاء
المواجب واحتمال النوائب تخفيفا له عن حقوق الناس ولرفع لعلم
النظر والعيار وحظي بمثل ما أنبأ عنه أبو الفتح البستي من حاله

قد جمع الله لي تعالى فيئي عزي وحسن حالي
بلاغ علم وسلع شبيه أبلغ عيش وصبح أبالي

نعم وأطلق تمادي الأيام على ناصية أبي بكر وارتفاع مكانته واتساع
حشمته ومهابته وانبساط أيدي حاشيته في أموال وأعراض أهل

ناحيته واستمرار العناد بينه وبين أعيان الأشراف في حضرته أنكر الجمهور
بحضرة السلطان بما طفق من حاله وبغى من خرج حاله إدلالاً بما عليه واعتمادًا
على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سعيه فتداركه الإجلال
مدة من الزمان مديدة محافظة على الصنيعة من الانتزاع والعارفة
من الارتجاع وإبقاء على المحل المرموق به الله من أن يلمّ به انحطاط
أو يحلّ له رباط حتى إذا جاوز الاحتمال حدّه وامتنع الستر أو بعده عقد
السلطان رياسة نيسابور لأبي علي الحسن بن محمد بن العباس وقد كان جدّه
في دولة آل سامان مجدودًا وفي جملة الأعيان والثناء معدودًا وأثره
فيما بين آثار الرجال محمودًا ووافق أيام السلطان أول مقدمه خراسان
واتصاله بمنصب أصحاب الجيوش لآل سامان فاتصل خلقاهما على مناسبة
الشباب وعرف السلطان له حق الخدمة والاصطحاب غير أنه اعتبط
في شبابه فعاد كما بدا وكل امرئ يومًا مداه إلى الردى وكان يضرب
أبا نصر أحمد بن ميكال بقرابة وأواصر مشتجرة فنشأ في حجره نشأة النبيل
وخرّج خروج النصل قدح بن مقبل وأحدث له شكر النعمة حشمة وصدق
الخدمة أدبًا وحشمة فلما مضى أبو نصر لسبيله انتهى إلى السلطان حاله في كيسه

ودلاقة

ودلاقته وظرفه ولباقته فاستحضره فامتحنه فوافق أولى النظرة مقبولاً وطرفًا
بمزود الإعجاب مكحولاً وازداد على طول الخبرة وما يأتي على صوب الخدمة نفاقًا
فما سموّ الأبناء أصلحها التدبير وأنجحها التأبير والماء النمير حتى مدّت إليه الرقاب
وتوجهت إليه الرغبات والرغائب وقابلت حشمته حشمة أرباب الجدود
وسادات الأقلام والبنود وكان غرض السلطان في عقد الرياسة له أن
يقمع به من انعقدت له الأبّهة والتعبّد وسابقة الترهّب والتزهّد
فعقد أن الذي حظي به معقود بالدين فلا سبيل إلى حلّه ولا امتحان أبدًا
لمستحلّه ويرجع به إلى ما يوجبه حكم التقية من رفض المروءات العلية
والمطامع الدنياوية فلما وردها ساس أهلها سياسة لو عاش الحجاج
لعاد على سياسته يعتز أستاذيته فحقّت عليه حتى مرّ بالجنادب وسكن
حتى دبيب العقارب وهدأ حتى شغب المرازب وسكن حتى دويّ المذاهب
وكأنما أقبل به شفيف الشتاء فلكل سامة أو هامة في الوجار انحجار وبالمغار
استتار لقد بث عبد الله حوف انتقامه على الحلّ حتى ما يدبّ عقاربه
فإن هيبة السلطان هي التي حطمت الأهابيم وخطبت الأقاليم فلو وكّل جمع
بعض حشمه بدوابي الجبال لأصبحت مستوفة أو بطوامي البحار لعادت منزوفة

فما خطر خطرة ينبو بها عن الاستدراج ويعصي عندها عن قصد الصواب
به أو نابه ومن أحس في جنب ماله فعزم عن القدر وحكم الفلك الدوّار
على البشر أبى الله أن يجمد على دجر المريد شهابًا أو يدرج على سفي الجموح
ذعارات وتطوف الزيين حوالي المقصود ينتزع منهم بعض ما أخذوه
رشي واحتشوه ثروة وكثرى ثم تقلهم إلى بعض القلاع حتى لم أكل بالله
وأظهر الزهد ثم لم يتوكل على الله وهمّ بصاحبهم فأخذ جذه
وآدخي من دونه سترة ولم يقصد السلطان قصد استيصاله ونفضه
عن فضول ماله فترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة وغصص
الفطام عن العادة وعطف من بعد إلى جماعة الأشراف العلوية
ذوي الأقدار العلية فاستعرضهم أن حشمتهم بالطاعة موصولة
وحرمتهم بلزوم القصد وترك التعدي للحد مكفولة فتلقوا بالإجلال
وقابلوا الأمر بالامتثال علمًا بأنه أمين ظل الله في أرضه فما ينبغي
عنه غير الانقياد والميل على الغلو للاقتصاد واستخلف على
الرياسة عند الشخوص إلى الحضرة أبا نصر منصور بن رامش وهو
يضرب بعرق إلى أن السلطان إلا قطعها عليه صيانة له من تحيير

الكرام

الكرام وتقريب الرجال عند ذكر الأرحام وطوع له قياد الأحرار والأشراف
الكبار والزمهم أن يخدموه بكرة وأصيلاً ويخففوا بطاعته بطاعته جملة
وتفصيلاً فمن ورم أنفه دون طاعته شريفًا كان أو مشهورًا فلقي من كده
وعري ما يحث يده فتحصنت إليه الأعيان وأحدقت بفنائه الأحداث
واستتبت له رياسة لا عهد لأحد بمثلها من رؤساء خراسان إلا أبا عبد
الله العصمي فإنه بلغ مثلها ولكن على عمر مديد وعز عتيد وباس شديد
وخدم وعبيد ومال ينادي على العفاة هل من مزيد وقوي في زمانه
بساط العدل فعوا عد الاحتفاظ كرجالات الثروة والرياش اشتراكًا
في الإنصاف ونفقت سوق الاحتساب بالدرر فوق الأكتاف بمن
بدعة مرفوضة وذنبه مخفوضة وجدود على الحق مقامة وعيون دون
الفضول منامة وبطلت معها الحانات والمواخير وخربت العيدان
والمزامير وركدت لحان النايحات والتكادي واستوى في الإنجاد والقياد
بها وراد الأضداد عون النساء والعذارى فأما شوارع أسواق السلم
فقد كانت منذ بنيت جابوذ فضاء لا يكنها غطاء ولا يظلها دون السماء
سماء تخرقها الأعاصير تارة وتردعها الأهاضيب أخرى فأما التراب

مشادة وإبقاء الأنداء نموّها وأمطارها لم يتفق لأحد من ملوك خراسان وأصحاب
الجيوش بها لإلحاقها بأخواتها من ديار خراسان تنميقاً لها وتستيراً و
تنظيفاً عن الأقذار وتطهيراً حتى ورد الرئيس أبو علي فطالب أهلها ولم
يمض شهران حتى سمقت بجو السماك سقوفها وقامت على دعائم الأعواد
جذوعها فمن بين منقّش ومزخرف ومدبّج بالأصباغ ومذهّب تنفتح
منها فرج بقدر ما يجلي ضياء النهار على الأبصار دون ما يوسع لذرور
الغبار ويمكن لدرور القطار وخمّن البصراء استغزار أن قدر العمارة
بمائة ألف دينار عن طيب النفوس وفضل الكسوب لم يكلّف أحد عليها
ولم يستكن دون المال فيها بل عمّتهم المباهاة وشملتهم المباراة فانفقوا
مؤثرين ومستبشرين ولانتسابهم على العجز دون المراد مستغفرين فمن
نسوق نابسها أو عاشراً لبس بادياً أو ثانياً رد إلى الكامل قذاله وترك
على مثل النظر اشتغاله فيا لها من سمك شاخص نحو السماك وزائد فلكاً ثامناً
على الأفلاك ولما عاد الرئيس إلى الحضرة وقد رجال ما شؤلاه ومن عزّ له
وولاه وافق هوى السلطان ورضاه فصادف تقريباً وتمكيناً وإحماداً
وإسماعاً مستبيناً وسنورد شرح ما تجدد من هذه الأحوال إن أراد

الله ويسره

ذكر الأمير صاحب الجيش أبي المظفّر نصر بن ناصر الدين سبكتكين

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين
الملة لما ملك خراسان وأخلاها من ستر أذمة آل سامان عرف له موالاة
أباه ومحضه فيها اسمعيل بن ناصر الدين أخاه إعظاماً لحق الكبر واعترافاً بواجب
التقدم فولّاه قيادة مظنة أصحاب الجيوش الأكابر على وجه الزمن
الغابر سادة به مكانه من قبل إذ هو سائس الجمهور ومدبّر عامة
الأمور ومن وضع أخاه موضعاً قد سلك قبل سلفه وآواه أهلاً لحفظ
تدبيره قد بالغ في البر والتوفير وخرج من عهدة التقصير فوليها
بسنين عدة حميد السيرة كريم الفعال في سياسة الرجال وجرى
على عادة من حميد الآثار في مظاهرة أبي إبرهيم السنجبري عند الكفاية
وكفاية ما كان يطرأ من معرّته وشذاته ما تقدّم شرحه ثم رأى السلطان
بعد ذلك أن يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله فاستدعاه وأقربه
مستحجه ومغزاه فلم يزل له بعد حال ولم يفاصله في حالتي حل وترحال
وكان يراه في مقاماته أول سهم يرمى به في المحاماة على دين الله والمراماة
من دون حوزته وإياباً بمقصده إن كشف زحام أو عظم خطب من حوزته

استلهام سقفه يجيش بها لجّة القربى ويحنّه من الرحم الدنيا وكان
ينصر مذهب أبي حنيفة اعتقاداً ويرى الاستمساك به رشاداً
فأمر بعقد درسه بنيسابور بجوار القاضي أبي العلاء صاعد بن محمّد
وأنفق ما لا حتى أتمها وحبس حبائس على من آواها ودارس بأمالي
العلم في ذراها فبقيت تذكر عنه تغتدي بالعلم وتراح ويثنى عليها
الإمساء والإصباح ولم ينفع السلطان طول أيامه منه فولا ولا
ولفظاً دون الصواب منتحلاً ولا أنكر أحد من الكبار لا جانباً وفعلاً
لاشتغال الرؤوس على الإتباع محاباً وقضى الله تعالى أن خانه الشباب
ولما استوفى أمده ونقض باقي العمر فيه يده فلحق بالواجد
الغفار إن الكرام قليلة الأعمار وكتبت في مرثيته رسالة سبكت
أبياتها في ذكره ففعلت إذ كان يذمّنها ما يفي بشرح حاله وتقريره

بعض حصاله وهي

آه من سفرة بغير إياب ... آه من فرقة على الآداب
آه من مضجع الأمير المقدّى ... فوق فرش من الحصى والتراب
نصر بن الأمير ناصر دين الله ... صدر الحروب والمحراب

صاحب

صاحب الجيش ذوقة الشرف تاج الفخر عون الكرام والكتاب
نعاه يا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا أعيان العلوم يا إخوان النجوم يا شموخ
الإسلام يا عيون الكرام يا أفراد الزمان يا أنصار السلطان
نعاه إلى كل حي بما أهلى الكرم احتلابه الثناء ... أتدرون أي ركن انهدم
وأي جبل انثلم وأي عقد انفصم وأي سواد انقصم وأي دوح ذبل وأي نجم
أفل وأي بحر نضب وأي طود نضب وأي خطب نزل وأي نفر رحل رحل
والله نصر بن الأمير الجليل ناصر الدين الأمير بن الأمير والشهاب ابن الأثير
والبحر بن الغصير والجذر بن النحرير والعنبر ابن العبير فرخ الملك أو
عقابه وسور الدين أو سواره وركن العز أو عزانه ونور المجد أو عرانه
فارقت به محيى الأدب التي استعذبتها البلغاء ومنة قبلة العلم التي
ولّيت شطرها العلماء وعريت دوحة الكرم التي خبطتها العفاة وجفت
طينة الفضل التي خدمتها الكفاة وطلقت كريمة البر التي ذرت عليها التوحيد
وغذّي بها اليافع والوليد وأجببت عليها قواصل النهار وجليت عواطل الأبكار
وأقشعت سماء شام أبناء الدين بوادرها وخاف أحزاب الكفر والجحود دونها
فلا نار ولا ماء ولا حرث ولا رجاء فأضحى بحيث النهار مستوقاً ويكر

الحدثان مبثوثا وبناء العز منقوضا ولوآء المجد مخفوضا ودمع العين
مسفوحا وطرف الاسلام مجروحا واهل العلم في لهبة الفجوع وربق الخشوع
يعترمط خطوه ويتفت الى اهله شكوه معرقا في صعدآء تذوب لها جوامد
الدموع وتنقد عليها جوانب الضلوع

ولو غير المنون انا اصري اليه اخو بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المرجى صباح الدين مصلح المفاخر
ولكن القضاء ذمعنا آء يذل لعز مصرعه المناخر

الا يا صاحبي نعيكما اليّ ان كنتما مستعديّ وجامعين اليّ كلنا اليدين
الما على نصر ولولا القين سفك الفوادي مربعا ثم مربعا
ويا قبر نصر انت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
بكى الجود لما مات نصر ولم يدع لعينيه لما ان بكى الجود مدمعا
ولما مضى نصر مضى الجود والتقى واصبح عرنين المكارم اجدعا

ليس

لئن جاز للموت ان يغتصب الامير نصرا لقد ساغ لي ان اغتصب منه وان
نعتى من شيتى ملك الشرف وما بين جمهور الخلق والقاعد من قمة الفرقدين
على العرف سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة من دانت لعزه القروم
واستكانت لهيبته الترك والروم فبعض خصائله انه على فضله لم يرق الى
معتى همته ولم يلق له ذكرا في ديوان نعمته نال الحظوة من سلطان زمانه
باعقاب اذا الحرب قامت على ساق ودارت كؤوسها بين جابس وساق
وقد فضحه ان ثاب في جوده وفضله بالسخاء عن موجوده ثم لم يعترض
له قط لغاله ولم يتبرف عليه من بعد ذهابا بعزجاله وجماله ان
الامير نصرا اورث العز اباه ولم يخدم مدى العمر الا اخاه ولم ينثنه
عير فراغ الاكياس عن شغل المواهب وفلول الاسباب من فرائح الكتائب
وقطيعة الدنيا في صلة الرحم وعصيان الهوى في طاعة السلطان
والى النعم بنا اين القرآن والتفسير والايمان والتذكير والعلم بالصلوة
والصيام والفرق بين الحلال والحرام وسحر الورى بطرف العيان وسن النطق
بحد البيان قد اقتسمت ايامه شرائط السلم باسمة الثغر والحرب
طاهرة البسور فاما المعاهد والبواتر واما المحابر والدفاتر واما المهاجر

والمنابر واما القناطر والمساطر فيوما في جحيم الغضب ويوما في نعيم
الادب ويوما بين ظلال السيوف ويوما بين مجاني الحتوف رفيقه اذا
احتمى رمح او صفيحة ونديمه اذا احتبى حكمة او شريعة فكم في دبار
الهند له من وقائع انطقت الحديد واخرجت الوليد وسكرت
النبوت وفجرت العروق وغادرت بيض الرباع في فحمة الليل
وخضبت لحى البيض عن خضاب الكحل وكم في نوادي الفضل من محاسن
تلثم اطرافها الكلم وتعشق اوصافها الامم وتسجد لاعتقابها الحكم
ومآوي الى بردظلالها الكرم قد غنيت بذوي الحقول عن صفو الشمول
ويحلو المقال عن كعب الغزال وبغرر البراهين عن ثغر الرياحين
فالجدل على ذكره محشود وكان سيبويه من طيبه منشود وراية
الهدى عليه معكوف وملائك العرش حوله صفوف فمن صحيفة
للذكر منشورة ومن اخرى باقلام العدل مسطورة لا تحويها ولا
تانيم الاحلام صوابا وحديثا كخالص التبر مذابا نفس عليه الدهر
مكانه ان الدهر عيور وعلى عقائل الزمان حسور فصرعه كيادا
للنظار واضجعه عنادا للاحرار شاغلا عن الجود يمينه وعن

السجود جبينه وعن الذكر لسانه وعن العز سيفه وسنانه حتى اذا
كاد يطلع في اثناء انجاله واستكانه وقد وزن على معيار الفدآء باضعاف
جثمانه نفحة بروحه الطاهرة ونفسه التي لم تتخذ الا النعيم الاخرة
نسخ عن العمر انضر ما كان غصن شباب واطلقه فصل خطابه والرحمة
عود نضار واحتفظه حق ذمار واوثقه بالدنيا دار قرار فكم هنالك
من ستور مهتوكة ودموع مسفوكة وجيوب مشقوقة ورؤوس
محلوقة وصدور مكلومة وخدود بمغازل البيض ملطومة

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

حتى اذا انثروا آء الردى عليه وقرنت حمولة البلى اليه تنازعته اكتاف
الرجال كانما دعته قبل ظاء الاحمال فكان النعش مرايا بين حشو الذوائب
والارض حرقى بدموع المصاب والاذان موقوفة من دفع الجنائز
والابصار محطوفة من نقض الغدائر وقد غدت الوجوه مسقوفة للنظار
والجيوب مجشوة للاعتبار والعيون بين جموم يجري سوافيه و
جمود لا تندى مآقيه وودت زهر النجوم لو صادفن ليلا فدعون

ويلاه ونا وحن على الصاب حيلا فخيلا فاما الليل فقد احسن فيه من قال
وان ركب الا تجال
لقد بكت الليالي وجاها الموت الترم مصباح الانام
فاشخاص النجوم الزهر مما تجشم من مدامعها السجام
ويظل هجيري كل ناكل ثاير وصاير الى الموقف الوداع جانب
من كان مسرورا بموت اميرنا فليات نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه بالصبح قبل تبلج الاسحار
يخمشن حر وجوههن على فتى عف الشمايل طيب الاخبار
قد كن يخبان الوجوه تسترا فاليوم حين برزن للنظار
فانا لله وانا اليه راجعون من خطوب تركت القلوب شعوبا و
اوسعت الاكباد ثقوبا وكلفت النفوس كروبا وسقت العيون غروبا
ونصحت الوجوه قطوبا ونزعت في الاصلاب انبوبا فانبوبا وسار
سحر العلى الى فرصة البلى فريدا وحيدا لم يغن عنه جوده ولم يجد
عليه جنوده ولم تنازل عنه قبوله ولم تناضل دونه مروده وكوله
خلا انه فلح ذكاء مات كما فلح حيا كما محاسن ووهب على عرشه

الرغاب

الرغاب كما وهب حين انقلها النعم الرغاب
فليس نسيم المسك ريح حنوطه ولكنه ذاك الثناء المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه اصلاب قوم تقصف
ايا ويل العفاة من بعده ما حالهم وما فعلت آمالهم لقد انقصم والله
مجالهم وانقطع دون مدايك الموات حقهم وبجالهم كاني بهم غادين
على سدة كانت بالابواح تترنم وبالانوار تتلهم وبغير ذكبا لها
تشكي وبخدمته اذ كانها تختبك فدا اقفرت فلا باب ولا بواب
ولا حجاب ولا حجاب يتساءلون اين الامير وما فعل السرير واين
الحاجب والوزير واين المنادم والسمير وما هذه الوحشة المستطالة
والغربة المتمادية والظلمة الساجية والغمة الناجية يقولون
ركب الامير يزور اباه ويجتني بالسلام محياه ويقضي نذر الاعتكاف
على ثراه ويعتذر من هجرة طال عليها مداه افمن يركب للسلام
يخذل ابوابه وتعدم بوابه وتعزل حجابه ويوحش بنيانه ها
انه الركوب فمتى المعاد يقولون ميعاد والله المعاد الا ان اعوديه
بالامس ممدودة وعروسه مخضودة وجياده مهلوبة وسروجه

مقلوبة واباما مجموعة وايدي ناماه فوق الهام موضوعة هنالك
نادوا ثبورا وعلموا انه الحق مقدورا وعقدوا ون حاجبه البيت
مناحة وندبوا عين الورى ادبا وفصاحة وكرما وسماحة وافعالا كا
اسفر الصبح وابوذكنه الكليم معذاه ومراجعة يحتسون على الحاجب
وقد غدوا في بيض الثياب ابنزع السواد فقد كذب الحداد الآن
اخرج ما كنتم اليه تزعمون فلا خالفتم الرسم للوجوب ولبستم
لبسة المنكوب ووقفتم وقفة الحجاب للسيد المحجوب
يا قوم ليس بياض الثوب زينكم وقد فجعتم بمولى كله كرم
ردوا عليكم جميعا فضل لبسكم ان الحداد على المفقود ملتزم
فطفقوا ينشدون بينهم عتبا على الزمان وندبة للفضل والاحسان
يا دهر ويك ما فعلت فقد غدا ابكي كل ما يخشى الرجال مليا
من ذا الذي يرجو فاوكل بعد ما غادرت نضرا في التراب دفينا
ما كان اعذب شيمة وسجية والاكرمه واطيب خيما
ومن العجايب والعجايب جمة ان لا ملام وقد غدوت مليما
يا دهر مالك طول ويك تنعى دوحة العالي بارضا وجيما

يادهر

يا دهر ما لك والكرام اولي النهى ما ذا تركت لو تركت كريما ليس سر
الامير اباه لمقبلو سقى تلقة لوعته وصداه لقد ساء اغاه بان
عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه ووكل من بعده الى الغواصب
الارض ولو احس التراب قراه لكنه ما يصنع وسيف القضاء احد
وحكم السابح حتم لا يرد ومن قبله ما قد اصيب نبينا
ابو القاسم النور المبين بقاسم وخبر قيس بالجلية انه
فلم يتغير وجه قيس بن عاصم وقال علي في التعازي لاشعث
وخاف عليه بعض تلك الماثم اتصبر للبلوى عزاء وحسبة
فتؤجر ام تسلو سلو البهايم لا دره الموت من وقلج وقرب
كفلج ما انثنت نابه الا افترس ولا الحج مخلبه الا انتهس سواء عليه
الملك المحجب والسلطان المخلب والفقير المستضعف والسوقة
المستضعف
الا انعش هذا الموت كيف اتقى الحجى فصد العالي المنيع الجوانب
فقر على تلك الفضايل والعلا وجاز على القواضي الفواضب
عجبت له والموت ليس بمعجب وفيه اذا فكرت كل العجايب

لعمري لقد حثنا حين غزا على نهاب النفوس واغتيال الكتائب
وفتحه فتح الحصون وانها سوامي المراقي هابيات المراتب
وبعض بالفتكة غزواته ورمى الرزايا وافتراض المضارب
فكرّ عليه شدة الليث وانحى كطوف يجول السوح كالعقارب
ومن عجيب الامور في حكم المقدور ان اخترم الامير الماضي برّد الله
حفرته ونوّر غرّته حتف انفه على اخطاره بنفسه في تقحم الحتوف
واعتراضه للشهادة بين الاسنة والسيوف كما لابن الوليد حين
وافى اجله اذ قال ما ورث الحروب منذ عقلت فما في بدني مغرز ابرة
الا وفيه جرح ضربة او وخز طعنة وها انا اموت ميتة الحمار
ان الحكم الا لله الواحد القهار او كلاما شبيها به اما ان خالدا لم يدر
ان سيف الله لا يقتل بالسيف وكذلك القتل يرنو الى موت الشباب
من خصائص الجيب وان الله لما جعله اكرم النفوس ما قبضها
له احمد الامور عواقب وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى
بجوده وبيض وجه البرهان بما سوّد
ان لم يكن ظفر الهيجا منيته فاكرم النبت يذوي غير محتصد

اما ترى

اما ترى الخمر لا يذوي كرائمه الا على سوقها في آخر الابد
لبئة السيف قوم يشترون بها لينبوا من المجد في غاياته البعد
عن الحياة وعن الموت ما اجتمعا اسنى واني لبث العيش في العدد
موت السلامة للانسان نعلمه وانما القتلة الشنعاء للاسد
لم يعل السيف طلا في صفحتيه فلم يبلط عليه كف ذي قود ولعمري ان
الرزية به قدس الله روحه لقاطعة الغموم مشاطرة بين الرجال على العموم
غير ان القاضي ابا العلاء وسائر شيعته والنادبين من ذلك الشريعة
اوفر من الاحزان اقساطا واشد على مزود الاشجان ارتباطا فقد كان
عرف الله تربته لهم ظلا ممدودا ومشربا مورودا وكهفا مقصودا ولواء
على نصرة الدين معقودا ولولا ان الله تعالى سد ثلمة المصاب وحلّى
الالباب بملك الشرق وسيد العرب وحجة الله تعالى في الارض سلطان
الزمان يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاءه وحفظ على الدين والدنيا
بهاءه وسناءه ففي بقائه عوض من كل ناجب وخلف من كل عازب
او غارب لاتسع القول بعظم هذا النعي وفقد ذلك الشهاب المضي والنقاب
الالمعي غير ان النعمة بحمد الله فايقة ضافية اللباس نامية العراس

باهرة الآداب جامعة الأخلاق فلا زال فضل الله عليه عظيما وصنعه
لديه جسيما ولطفه كريما ولا خلف عنه الزمان نعيما وألهمه الله فيما عراه
أحجية الصبر وعرفه فيما عراه فاتحة النصر ولقاه في الوهم مواهب
تحفظ الدنيا ملك ملكه ولفرز ما يحق الوجوب في قبضة ملكه ورحم الله
ذلك الأمير القديم النظير والجليل المفقود المثل والبديل رحمة تبرد
ضريحه وتقدس روحه وريحه وعرفت له مساعيه في الذب عن دين
الله والسعي في سبيل الله والفرض من ماله لأولياء الله وعوض الله
المشايخ السادة عباده عما فاتهم من أيام يحفظ عليهم دينهم ويشتمل بقية
من فقد العذل من والديهم وجعلنا من المستعدين ليوم الدين إنه كم الله
يغري بالجفل والحلق فيما شرح والأجر للأول شفيع والحمد لله تعالى
على كل حال والصلاة على نبيه محمد وآله حسبي الله

ذكر ما انتهى إليه أمري بعد بلوغ هذا المكان من شرح
أخبار اللطائف من قصد الوزير شمس الكفاة وأفضى به حتى
الخدمة والموالاة تدريسه أول الكتاب ما سبق إلى الأمير ناصر
الدين أبي منصور سبكتكين أنار الله برهانه من خدمته وتمهيد من الـ

وقور

وذمته وعرضت أثناء ذلك نية التقرب إلى الوزير شمس الكفاة والتكفل بما
رآه التحرر لما أرضاه مما درجت على الأيام إبراق سحبه وإبان نزول
وسميه بعد أن صادفت من آثار رعايته ما لم يكن يعهده وما
نشأ من كريمة المجد في ضمان ذمته فرأى عند وصولي إليه وعرضي
موضوع الكتاب ومجموعه عليه أن يبني بالتقليد ويسير في الكتاب
زنباق على البريد وعليها فرعون يومئذ أبو الحسن البغوي العوى شيخ
ظاهره نوره وباطنه دجوره ومنطقه متن السيف ومخبره ذر الزيف
وأوله مسور البحاسن وآخره قرون السنابل فانتج موقدي عليه
بأنها نبوة لم تناسب حشمة الأمير ولا حرفة الأقلام والمحابر وهم
من جانب أنه مبعوث ومن آخر أن الحقد موروث وقد كرب أن الزعاق
من منبع الشرب محال وورائه مجاب الأولاد جلال وما عين أن
موالاة الأبناء ومعاداة الآباء وأن والد الكاتب وليه وتطوله
على الدار الدين متقدة حتى يغض من رافقه أو عاهده وضرب على
وجوب عقد الموالاة يده وسما من جانبه الدين بموالاته على كافر تعلق
الرقاب وتوجب مواقفها العقاب حتى إذا علم أن مثلي على الباطل لا يرضى

بأشكال الأحاجي والألغاز رام أن يعتني بدروبه في تهوّر
فاحتال والكتاب وحرّش على الأمراء الأشياء وأبى الله لعلمه بعباده
إلا أن يحيق به مكيدته ويكشف عن إقواء الزور وإيطاء الغرور قصيدته
ولما أيس ما رامه وأخس دون ما جرّده إقدامه واعتزامه عرّج على
استنزال شمس الكفاة بسحر التمويه وعرض صورة تعلّمه في معرض
التشويه موهمًا أن لي صيغة في بعض ما لطّ به ونمّا على زينة المقابلة
أو وازنه بمعيار الموازاة والمماثلة مع علمه بأن حلمه لا يستخفّ الأجهلا
التأويل وأن رأيه لا يستنزل الأعلى مثل هذا التخييل حتى نفذت فيه
رقيته وعملت في استنزاله دخيلته فنشر بحقده أولا الأرض
من صوب العباد والكف من وشم السواد والثوب من لون الجساد أو صبغ
الفرصاد وعلم الله تعالى أني لم أكن لأحضر كذا على صفائه أو أسرّ حسوًا
في ارتغاء أو أستجيز غمصًا لصنيعة أو طاء على عين شريعة غير من
نكب عن نهج الوقار وعتب دون فرض النهار ودرج حتى المنهج المنيب
وردّ الجحّ على إرث القلب ونزّعني عما قدّمته بقدم من أهل خرجات
لا يعرف الرشد من الغي ولا الظل من الفيء ولا الذكر من الحلي ولا النقد

من الحلي

من الحلي ولا الإثبات من النفي ولا الرجحان من الزيف بوهبه قد
صيغ من طول القناة وزرقة البزاة ولسعة الدواة وصفاقة الصفاة و
تجدر بالصحف المقررات طالما حرّمل الغضون لنشب التراب وتكففها
للخصاصة الحراب وتصرّفا في المكس بالظروف وتحجّبا للآلف يتقطّنين
من بين الحروف وطفق من بعدُ يتصحّح لكنه محجبته يشعر كتعسّع
الموصوف بوبارة الصوف مستمسحا لكل ضراب وانسكاب وعطارد
ويطارد على بشعر صفقته الأولى إذا السلعة قائمة والحلة رائسة
والسبحة ممطونة والنحلة مأبونة وعبّرنا على هذه الجملة في
الوناخة والوقاحة ثم انتجع خراسان ببضاعته المزجاة فوافق على
النظرة الحقارة فلا أونست من عز العطاء عرم وجهه لا بل نعبّها
التأمل علم أن حرف الانتقاد ضيّع المال وأورث الوبال فأعمل رويّة
محذو لا وعود دية فقد شعّر مرد ولا إلى أن عرّ شمس الكفاة عن
نفسه فاختاره على وتقدّ معه مكيدة البعوض الغوي في نفقد
من المكر في الأوج دون سائر المنسوج ولولا مكان الأمير البدر
إلى سعيد مسعود بن يمين الدولة وأمين الملة وفضل إجازته واستنفاذه

إنّي من فجوات المذاهب بأجد فيما به تتراقى الخطب إلى ما بعد ملاقيه
ولعلّني أرضى للحيوة بما فيه ولو كنت خلصت من ربقة البطوء قبل أوجرته
بعدُ لاستعفيت من جواره واحترزت من ساقط أحجاره لكن الشرائع
بيد الله لا يكشفها إلا الإختبار **شعر**
والظلم في خلق النفوس فإن تجد ذا عفّة فلعلّة لا يظلم ۞ وكتبت
إلى جماعة الأفاضل في ذكر المذكور وشكواه ونفثة بجنابها عنه نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

لجماعة أرباب الصناعة وعصابة أعلام الإصابة من بادي الأشراف
إلى أقاصي العراق من محمد بن عبد الجبار المعروف بابن الثغر العتبي رسالة
تخصّ كلّ حاضر موجود وتعمّ كلّ لاحق مولود ما سمع للحجّ أذان وأطلق
على الكفر عنان وقسم في سبيل الله حسام وأقيم على كتاب الله نقط و
وإعجام سلام عليكم ما ذرّ شارق مهضوبة وأقبل ذو سكوب
ودرّ على الأنباس حلوبة وكرّ في حومة الناس فارح بعبوقه سلام تتميد
على نفحات السحر قضبانه وتنمّ على فنات المسك والعنبر أردانه ۞
أما بعد فإن لله تعالى ألطافا إذا أرادها نعمة أن تبلج للناس صباحها وتبرّج

وشاحها

وشاحها معدّلة الخدود موردة الخدود مشرقة الغروب مؤنقة الشؤون
مؤتلفة العوارض مدبّجة المعارض محفّفة الأطراف معطّرة الأردان
والأعطاف يتأتّى منه ملء عاد ابتداء ليقتضيه حكم كرمه أو ابتلاء
لأنّا دونهم في حسب نعمة لها فأبدعها شؤم الخذلان وسايرها لؤم
الكنود والكفران تخالط أنيابها حشو هذه المطالع منقشّة
المنازع مزوّقة المكاسر مقلّصة المناظر منحوّلة المعادي والمحاسر
يصرّفهم بين أخلاق مذمومة وأخطار مشؤومة وأغراض مكلومة
وآمال بعاجل العار وآجل النار مختومة وقد يستحيل النعم بأغيارها
نقمًا مشكورة كما تستحيل المحن على أربابها منحًا مشكورة لطفًا على
خلق المكان ونزوعًا على عادة المقصود بالإحسان كالحبّ يقطع
من بواتج الذود المحمرّة والحريّة فتدمر رواجح الحشوش المعشبة
والمزن تسقط على عرصة الروض فتوليه طهارة ونضارة وتبسط
على قمة الكلب فتعدّيه نجاسة وقذارة والماء القراح يسقى عروق
الشجر فيقتضيها باختلاف الثمر فيتبدّل كلّ منها على ما كتب له من مرارة
وحلاوة ومرارة وحرافة وكثافة ولطافة تسقى بماء واحد ونفضل بعضها

عن نقيضه الأكل نقدّه من البديّ الأول والأبدي الموجود في الأزل
إن لم تخلق الله نفسًا وشيمة وأخشهم قدرًا وفيه من يصفه صنع الله
ونان من ماء الطلاقة نشوان من صهباء اللباقة فيان من ظل السجاحة
ميّان في ظل الصباحة حتى إذا أحط دخله وخالط بالبشر الخصيب أهله
فرأه من بؤس الحظار وعبوس الملال وضرّ الابتذال ومضض الإخلال
ما يطيء وافعده يهيج وأدعه ويثير وده ويعفر ولوده فيرحل
في سواد الحداد شاكية الجوار وحيف الزمان وذم المقدار وغلطة
الأحجار والأصهار ومرثاة على نية الودائع صلفة متمثلًا بقول القائل

نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نور بهجة الإسلام
وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام

ولولا أن العتاب نتج للخطاب وأن النائر على الأعراض مجهول في
حكم الاعتبار ونقد الكتاب وأن مجاز الشعراء غير حقائق الكتاب
لا دعيت غضب الله على نعمه حين ابتلاها بمجاورة الأرذال وذوات ها
عن مطارق الاستحقاق من كرام الرجال غير أن المقصود فيها بالكرامة

وقد

وقد قابلها بالاستخفاف وكابر عقله في جوارها بغير الإنصاف
أولى بأن يقهره عاجل الغضب ويقهره آجل اللهب فكم من وارد آل
أشرفه بميسره وقادح زنده أخفقه سعيه وماجد جد قطع به
وربده وراكب جواد قصر عليه جيده وقد تخلف مواقع النعم
من أربابها على شبهها من صارت إليه ونبها ممن مالت به الغفال
وقبح آثاره عليه فالأحداث منها أحسن حالًا وأزين خصالًا
من الكهول الطاعنين في الأسنان والشيوخ الحابين أسطر
الزمان فليس من فرح وضحك وسبر وسبك وأخذ على وجه الاحتياط
وترك كالغر لم تلفحه هواجر الأمور والغمر لم تردعه زواجر
الدهور والعقل لم يدربه الحادثات بأخواتها والمهر لم تروضه
الرجال بأكفالها وقد تعذر أن أذى في طول الجهالة بالشباب
الذي هو طليعة الجنون وسريعة الشهوات واللذات وأن
سائس العقل لم يضرب عليه عقاله وصيقل التجريب لم يحكم على
متنه صقاله وأن الرأي برعومة لا يفتقها إلا الكر الجديدين
بدر يدور وشمس تطلع ثم تغور وموسم زمان ينفق فيه

النوم والنوم وأن الشباب شعبة من الجنون وأن قلم التكليف
مرفوع عن المجنون والحدث الغر كالعجماء جرحها جبار
وعجمتها دون جنايتها اعتذار فما بال من خلع لباس الحداثة
ووضع جلباب الطراءة واجتلى نهار المشيب عيانا وأفنى ثلاث
عمايم ألوانا شعر سوداء داجية وسحق مغبوب وأحد لونا بعد
ذلك هجانا وحان له أن يصحو عن صبوة البطالة ويترك عن
صهوة الاستطالة ويكل بضجل المشيب براسه وقصور الأنفاس
من قرطاسه وتمشي الوهن في عظامه وقعود القوى به عند
قيامه واصباحه على خمار ندمه وافتضاحه بعثار قدمه وبدا
برهان الله عليه بانبلاج محجته وانقطاع حجته وانلاع النار
أعشابها لالتقاطه واختطافها وقرب صراطه يستحب العمى
عن سبيل الله والصمم دون أمر الله خبطا في ليل الجهالة وحطبا
في حبل الضلال وزجوعا في حافرة الخسار وولوعا بمناجرة الأقدار
وخلاء في شطن العتو والغلو وإباء الأعلى النفس الأمارة بالسوء
فلا ذر در المشيب مشوبا من وقاح بدنس الحب ولا دون

افاحي القذال الاعلى مكارم الافعال فما أقبح نما إخلاء الطرف يوما
من آلاء النسيء خلك الغراب نعوذ بالله من غضب الرحمن
وختم العمر بطابع الخذلان ونعوذ به المشيب لايهتك من أستاره
ويكشف من أسراره ويمحق من نواره ويخسف من نوره
وعصم أفراد الكرام وأحرار الأنام عن مصرع الغوي إلى الحس
البغوي دلة الاختيال ويتة الانتحال وجلباب المخاريق وجذاب
التخاليط وعقرب التضريب ولمع الأكاذيب وشبه التدليس
وزيبق التمويه ومرآة الترتيب ومعراض المخيب وآفة الجود
وخرافة الموعود وحبائل الإلحاد وكيمياء العباد وبرقوع النفاق
ويعسوب الشقاق وضبة العقوق وفارة النسوق ونعل الخلاع
وجنزير القضاح وكلب الهنات وأسود النزات وحرضة الأنذال
وفرصة الجبت والجاذ ويكتن الأرجام ويبرئن الدم الحرام ولعل
بعض من يتصفح هذه الألفاظ مغسوقة والأسجاع مجموعة
ومعروفة يظن بها ركوب البهت في حلبة الإقذاع وعصيان
القصدية طاعة الإفجاء إذ لا لاستنصار البلاغة واعمالا

المتراس السفاهة بالفصاحة وجدوا على جراد الشعراء في
استعمال المجاز واغفال التحفظ والاحتراز اذ كان الانتقاد ضد
المساوي السود في شخص قد سرى على تصاريف الزمان وجرب
واكل على طعمي احواله وشرب ولم يعلم ان الله تعالى اذا اخذ شخصا
ممن شاء من عباده لم يبق منه الا جسما مسنونا وجلدا على اخلاط
الفساد مغطونا وعلى شك خاصة الشك عن واضحة اليقين بالافصاح
عما ابهم والاصباح على ما اظلم بتحذير الغفلة الانام وتيسير الشاكلة
الاستعصام وتنبيها على منزلة الاغترار بظواهر النعم والانخداع
لزواهر الاحاظي والنقم فكم من صبيح يروق العيون نوره ويروح
النفوس مشهوده وقد قطف عما قيد ذووه واذاق اباريق
حدوق وقذ المنايا عن عضل من الالباب ذوق ومن شهاب كما
حط بالابريز كابت اوجل عن معقود اللواء ذاك يستوقف
الابصار ضياء ممدودا وبهاء بافق السماء معقودا قد رمد
من طاف بطوائه وحسد من دام التحير في جوابه وكذلك الدليل
يغر الناظر مجرده ويغير عن عتيق الورد ابرجده ثم هو الذ

المجلوب

المجلوب لمن خبر والسم المشوب لمن فكر واعتبر ولولا ان قصد
الشريعة ان تنبح بخيرهم على العموم وبكافي ابن الكافة في فضلها
المعلوم اباحة للكتابة التي هي قيد العلوم وصيد الحكم المشوبة
في الرقوم لقلت لله در ساسة العجم ورفعهم اقدار الدواة
والقلم حين عينوهما دون ذوي الاستخفاف وحذروا وهما
الا على الكرام العتاق لله در انوشروان من رجل ما كان اعرفه بالدولة والسياسة
نهاهم ان يمشوا بعده قلما وان يذل بنو الاحرار بالعار
فما كل يحسن لها كتابة في مناكحة الآداب وملاءة في مناجرة
الكتاب ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ولا كل ذرور يصلح
للعين جلاء واضيع شيء عقد في خنزير وجد بكف صبور
وخطر بخب قتير ونقش على بنان فاجر شرير هان المذكور
تجدي الاخبار بخراسان دناءة همة وقباءة قيمة وخساسة
مفعول وخصاصة معقول نشا في بيت الفضل والنعمة ونما على فرش
اللين والنعمة فرق عليه نعيم النسب وعلق به نسيم الادب
فاضحى مخيلا لصوب الصواب في افعاله جديرا بالحكم الانجابية

أمثاله يظن به بعض الطغام أن الفرع إلى الأصل نازع والغصن
للغصن مضارع ولا علم يقضي بأن الأذناب تهفو عن دماء مائل والحمر
تطفو على عكر سائل حتى إذا أينع وأينع جناه بذاله الطباع
وجاءته السنح بخبث يد الطباع على عقوق أبيه سعاية به إلى السلطان
فما يحويه وإنما غالى بأملاكه وأملاك ذويه فاستولى عليه حتى الاستخفاف
ماله وضم مجاله واجتاح حاله وفجع به أمه وكانت حياله وأنجحه
دون ما اقتناه على كبر سنه وضعف أنفاسه واشتعال المشيب
برأسه ورسوب قذى العمر آخر كأسه فطفق يمري الشؤون
دموعا ويتقضى أجل الكتاب محصصة وجوعا ويزجي مطايا الاستعبار
بين برد اليأس وحر الأنفاس بدعوات لم ترجع محاريبها الانقباض
الطهور وجابته الدين لإجابة المسعود وعطف بعد على من
طلعت عليه شمس والده وذات عليه أعضاد فوائده فجبهم تحت
السلم وفرضهم فرض الخلو وعركهم عرك الأديم وفترهم قز القلم
فغادر الأعراب من الصحو محصورا والسيف مشهورا والقصب
مخبوطا والدجاج على السفود مربوطا كل ذلك بين يديه ونصب

عينيه

عينيه حتى اضطرمت الأرض بدماء الزفرات كلظيها بالجمرات عبرقا
بالعبرات شرقا بنار الحين وعقد على مال حظته بكنج رستاق عقدا
اشترى به أهلها وأخذ يطبيهم بما يريهم من سداد النية ورعاية
حق الحيرة ذريعة إلى استيكالهم واستيصالهم دون جرائهم وأموالهم
وسامح عدة من شيوخ تنايهم بعض ما لزمهم استمالة لهم على ثوسائه
مغرورين وضعفاء مضرورين وسامهم بعد الاحتكام عليهم في التزام
رعاية النواصي بطاعته عقد الوثائق عليهم بتصحيح ما ابتضمانه
ينكسر وجبر انحق من عند أنتجهم حتى إذا استتب له ما أراده استولى
عليهم الحق وزاد وصنع عليهم يد الاستصفاء بعلة حاصل وباقي حاصل
وباق فأخذ ما وجد من صامت وناطق وصاهل وناهق حتى إذا أربت
كل من ذي يديه وبادغير أطلال الضياع والرباع عليه دامت
اشتفرالهم عنها طواعية أو كراهية فمن احتمل منهم فرصة الخلاص
على النظر بما دهاه فأوهاه وعما افترأ سبقه بحفظ العصبة
القاسية بالإلكية خفارة التوفير وكفالة التزوير فاردتملى
عقبيه خزيان قد ساله به السيل وأسوان طاف به الويل ذيح

عليه النهارُ والليلُ فإمّا أن يزولَ على كربٍ وقلقٍ وإمّا أن يؤولَ على غيظٍ
وحنقٍ حتى استخلص الضاحيةَ والضامنةَ واعتصرَ الباديةَ
والكامنةَ وغادرَ الضياعَ حشيشَ وشرّدَ عنها الزرّاعَ حريثٍ
وأخرسَ الثغاءَ والرغاءَ وأنطقَ الهامَ والأصداءَ ووطمَ المنابعَ
والمشارعَ وجمعَ المراعيَ والمزارعَ فلو ملكَ عصا فيرِ الهواءِ أو
يعافيرَ البيداءِ لاستنكرهما عن طعومِ الفواطرِ وحقوقِ الملاجئِ
والمفاحصِ فذبحهما بلا طامعٍ ولا مدّ إلى الكهوفِ ومفاتحِ الولائجِ الجوب
كالحوتِ لا تروّيه شنَّ بلّهِ نضيحٍ طانٍ وفي البحرِ فمه وما به
التحبيبُ لولا اختلاجُ المالكِ بجوعهِ واستحلالُ حرامِ الملكِ بربوعهِ
كانا عقدَ على الدهرِ حلفًا لا يحوزُه واتخذ عنده عهدًا يصونُه ويحاماهُ
من دونِ مئونةٍ وهيهاتَ إنها مطالبُ جديداتُ الشفارِ ومغارمُ
ثقيلاتُ الغرارِ ومصايدُ طالما خنقتْ مخاخرَها ووخزتْ منها النادمةَ
وخاصرَها ومطاعمُ ظاهرُها الأدمُ وباطنُها السمُّ وإنّ من الربيعِ ما
يقتلُ حبطًا أو يُلمُّ نِعَمٌ وأقامَ سوقَ الفسوقِ خاصةً وعامةً وأباحَ
حمى الفجورِ بطانةً وجماعةً مُلتزمًا سنّةَ الشيطانِ ومتسلطًا بغيةً

المجاهرةِ ومصاهيًا أبو المجوسِ بحبّ الإلحادِ وصلةِ الأخواتِ والأولادِ
بلا غاشيةٍ نفاثاتِ خدمِه وأدّى له على وجهِ الإكبارِ حيرانَ حريمِه
وربّما أرادَ وآله في السرِّ ملامًا وراموا من تجذيبِ حدودِ اللهِ وتخويفِه
مرامًا فما يزيدُهم على طامرٍ بنِ عامرٍ بن يجذبُ الجلادَ ما لهم أجفانٌ
توارِيها ولا أهدابٌ تثنيها فصلفُ بركوبِ الآثامِ وكلفًا بحظورِ الحرامِ
وأنا أنبتُ لفظَ التكلّفِ قطعًا على ما سمعتُه بعضَ مشايخِ الأدبِ يحكي عن مالكِ
أبا حاتمٍ السجستانيَّ عن قولِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم أبغضُ الأشياءِ
إلى اللهِ شيخٌ زانٍ وعائلٌ مستكبرٌ وفقيرٌ مختالٌ وزعمَ أنّ القياسَ يقتضي
كونَ الشابِّ الشديدِ الجبلةِ القويِّ المنّةِ أبغضَ إليه من الشيخِ المضعوفِ
والمعتبرِ المتروفِ فقالَ هو بناءٌ على قولهِ عليه السلامُ أبغضُ الأشياءِ إلى اللهِ
التكلّفُ فأبغضُ الشيخِ لأنّ فعلَه تكلّفٌ وتقدّمه استكراهٌ للطبعِ وهو
تخلّفٌ كذلك هذا المترفُ المتكلّفُ والشرهُ المتوّرُ قد قضى شيبتَه على
اجتراحِ المحارمِ واقترافِ المآثمِ حتى إذا وضحَ القتيرُ وزحزحَ السبيرُ والجلّ
المريرُ وأفرغَ ماءَ الصبيراتِ عادةُ السوءِ أن ترخيه من عقالِها
وتعدّيه عن سربالِها وتفيحيه عن وبالِها وتريه الآمالَ حبَّ الإرابِ

يوم فصالها فلا تعوّدا اجى عادة تجوى بها ضرّا من الثدى

فعادة السوء اذا استحكمت سرّ ملى المرء من الدين

هذا ولم ترض بالعقوق الذي وسمه ووصمه وسحمه وجهه وجبهه ورداءه
بالخزى وعممه حتى قطع على دروب الاشهاد رحمه وقتل بالسيف التابع السيف
ولده وكان لحمه ودمه فلو كان كاحد اولاد السوقة فى اخلاقهم بين
الحبة والحلوى لكن الخمر بماء العهاد والزبد بذوب الشهاد والتمر برشف
الرضاب والملك بشرخ الشباب والامن بطعم الوصال والطويب الجلال
والعفو ببشرى النوال والعيش بموت العذال وخمص الجنوب بروح الشمال
عشق الادب فلما ان عقدت عليه تمائمه وربته دون الاحتضان
روايته فجاء كالقدح هدى اوله النصل المطار وجدا اسفله الريش
اللطاف وناهز عشرين من سنيه يربى للخليل يجتب فضله خليلا وسيبويه
كليلا وعبد الحميد ردبا وان العميد عميدا ان خط فنفش العقد
على ايدى الكواعب الخرد وان لفظ فعقود الدر منظومة واقاحى
البطاح مرهومة ولولا ان اباه اغتبطه دون مداه خلف من اثار اياته
وحلاه من انوار ابداعه واحسانه ما ينسخ ماء الورد فى تصعيده

وحصه لخير عن عاقبته لكنه لم يغن الاقدار ما المحتمة العيون حتى
اختطفته المنون فختامت نواعى المجد بندبه جميعه وطلت من ابهم صريعا
انشدهم واله القلب وجيعا شعر قد كان لى فيه زاله وذكايه
اشراط صدق ان يموت سريعا ◦ ولقد ضمنى واباه مجلس بعض اركان
الدولة البهية فاتفقنا بابى الثنين بين الحضور على هاتف الهموم و
تذاكر العلوم وتناشد ابيات الكرم واللوم فما كان الا ان حمى المجلس
بناره وعفر الشرب بغباره حتى انجلى عليه عقال اختباره والتحف
له اقفال اسراره فغرق فى بحر الدموع عينه والقى الى ما دار بين
ابيه وبينه فغير زمانا عليه من جذبة الادب والاستغناء بعصام
النفس عن عظام النسب على طاعة من ولد فى حجره والبروز على حكم امره
وزجره وانه حين ملك امره وعرف من خلة جرعه وانفرد بتدبير معاشه
وتوفير بغيته وزيادته ناهض امله مغوثة ابيه ببعض ما يستحقه براءة
الابناء على الاباء فلم يرده على ان ذاجة فى ارثه عرانه وجال
بينه وبين ما كتب الله له من حقه مطاوعة لربيق اعتقده بذاق
قبلته واذاقه وبلته فجلاه عنها تدبير دانيه وقاصيه ولولاه ترتب

حاشيته وغاشيته وحكمه في عرض ولده وسائر ما تحت يده فاحتجز ذلك
الفاضل دون نعمته وأفرده دون الاستمتاع بجملته وجعل كل
من يعتزي إليه منقوصاً ومنذوحاً ومن يعتزي به ملطوماً ومصفوعاً
حتى اضطره صرائح الياس ولجاج الإفلاس إلى قصد شمس الكفاة
لاستماحته والتجاء نحو ذرى ذراه جنته فجبر عليه بوة المغبون بخيبته
على شاطئ الإقبال واستقلاله على مواطئ الآمال ذدت العنكر لا
واستعمر الليل لاقتناصه بأجلى حبائله وحباله فدس إليه على ما شاع
وذاع وشحن المسامع والمجامع من ذعف له نقيعاً غادره على فراش
المنون صريعاً فانتقل غير بعيد إلى جوار الله ودار كرامته متشكياً
يديه فوق هامته ومستصرخاً إلى العدل ومالك الخلق على ظلامته
ومختصماً حول العرش إلى يوم قيامته وحدثت عن قهرمان جنته
وقد عاد إلى أبيه الشقيه بما كان استفضله عن رواتب نفقاته
واقتطعه دون عوارض حاجاته استظهاراً به على حوادث النوب
واستئنافاً على معالي الرتب أنه وآخر من دفقاته أنفقاس حمله
المال قدر ما قطعا به المسافة إليه ووضعاه في الكأس بحضرتها بين يديه

فكان

فكان حثاه وهامته أن وضع الدهق عليها حتى استعرق ملكها وانتزف
صليب العظام من بين جنبيها ثم قصد هامة زوجها إشفاقاً على صونه
الحال ومشنونه المال من هتكة الإذاعة وفضيحة الكشف والإشاعة
لولا أنه اعتصم بالاستتار دون صاحبه مرعداً بحاماه و
مبرقاً باستثزار ما وراءه ولم يرض بالإرث وقد حازه دون
مستحقيه من قراباته وذويه حتى قطع سياط المطالبة على وكلائه
ومواليه وهلم جراً إلى شقيقة له متحجبة في الحجاب متعنتة دون
الخطاب خلافاً على الله في حكمه واجتراءً عليه في فرض الإسلام
وحتمه واستجحافاً بالولائج الآكلين يديه المجروح وعرضه
المفضوح وعقده المحلول وسيفه المحجوب بالغلول فصرامهم ذلك أنا
وأناثاً حتى لم يبق من تالد وجديد وطارف وتليد إلا أعلقهم
بقايا أخرجه للمتوفى على ضياعه وهي تحت استغلاله وفي
ضمان مزارعيه وعماله ولم يتحقق من جملة الداخلين كانوا إليه
رحمة الله عليه لنسليمه عند موسوم بجرايته ومكذوم بحصيته
ومنفوض عن خبزه وكوبه ومغلوب على ما هواه من تبعة أو تهمة

فرادته المقصورة المهجورة تشكو اليه بلابلها خضوعا وتمري عليه
مكاحلها دموعا ضيقا بما دهاها من إضاقة وأقرحها على سن
النسيب من فاقة وتسأله سؤال المضطر أن يملك عليها ما ملكته
إذ تلوي وتحوي ما حوته عنقا وجدتها مصاصة له دون ما أطلقه
عليها من أيدي الجنود وأخياف الترك والهنود فصرت في وجهها
صحا بما تسوقته من نطق وقلقا لما حصنته عليها من ورق الصيانة
عن شجع وجعلت بنهاية جواب التلطف والتألف بأحذ من مع الله
القراع وأشد من ململة القلاع فعل من لا تكفه حرمة ولا
تلتقه رحمة ولا ترق عليه رأفة ولا يخف اليه في ذات الله
مخافة ولا يثنيه عن وجه الابرحيا في ذمة تذال وعون
ثنالها الأيدي الطوال فلما آيسها الإعراض أدركها الانتعاض
وانت حلقة مضبوثة لبن أمنته عالم بمقصد سبله والأذان
حذبه وكريمة وراتبه لتهتكن الحجاب ولتطرحن الجلباب
ولتحثين على قرونها التراب منطلقة الى حضرة السلطان في
إيضاح ما دارته الحدرت وطرحته المجاملة عنه ولتمته

ضماير

ضماير الإنصاف فيه وطمست ذيول الهوادة دونه فعال المجنون
لأخيه وهو معديا نادية أعلق على هذه النجية الورملة فقد
أبطرته الفضول وأنطقته دالة الإجمال فلا تدري ما تقول فعليك
والله جنة الإبطال نفخة مائة الإيمان ورعاية حقوق الحرم
الأبكار ورحم الله أبا الفتح البستي حيث يقول
لي جار فيه جبن يعرضه تلعن أثره ٭ خلق الله آله الناس للغيرة عبثا
ولما دفع هذا الفاضل عن هلاك ولده وورائه ما كان يخبث يده
واغتصاره المطلوبة عن بلاله جالها وعلالة ما انهدت أخاه
لصلبه وهو نجي أولاده ومن يرجو مثله لمعاشه ومعاده المنتثل
بمعاملات ناجحة اختيالا عليه في الخافة ناجيه وانقطاعه دون
كتاب يتصرف فيه فتلطف واعتذر واعترف بالعجز ما قدر حتى إذا
أعياه التلطف ولم ينفعه إلا التصرف مذ رقبته لرفقة التقلد
وكثر سبحا على طارف الملك والتليد وما زال يجبي كل ولد ونزد
ويبري كل بكر وتروح حتى نضب المال إلا قليلا وغضب رفقه إلا
قليلا فطفق يعرب العجز وتفجيعه ويتكئ على خرقه وتضييعه

واتى يجمع عليه ما لم يثبت سمع ولا بصر ولم يثبته نجم ولا شجرة
ولم تطلع عليه شمس ولا قمر وسبّب عليه لأعلاج الهنود وعلاط
كفارهم البنود ما لا أوهى متن طاقته وأتى من وراء فاقته وحثّهم
عليه بتطميع في عاجل موزون وترغيب في آجل مضمون حتى أوهنوه
شدًّا وإيثاقًا وأثخنوه ضربًا وإرهاقًا ووضعوا عليه في بعض لياليه
دهقا استمر به إلى الصباح أنا وحتى إذ لم يبق منه غير قائم الطائر
علموا أنه مظلوم وأن الإلحاح عليه في دينهم المدخول وشرعهم
المرذول قدم ولوم فنفضوا أيديهم به لاعبين أنا ومن أرضعه
وربّاه وأطعمه بعد الله وسقاه ومناطق الأفاضل الكرام بمثله
في رحمة الكافر الفاجر على قساوته وطبع قلبه وغشاوته
وبمن يزعم أنه والد يحنو على وليه ويحتذه فلذة من كبده
وبضعة من روحه وجسده فكل ذلك طمعا في استزادة ماله
واستضافة حاله فما ذا الهدى إلى نجح وزوال فلا رحم الله كل
جافي الغليل جافة المكبد قاسي الفؤاد جاسي دماء الأولاد
إن للآباء فروضا على الأبناء وللأبناء حقوقا على الآباء فإن كان

من فرض الوالد أن لا يفتر منه متى قتل ولده وقطع بيده يده فمن حق الولد
أن يطاع الله في صلة رحمه وتقوى الإقدام على روحه ودمه
نعم ولما أن خفّ عن الباس كربه وانجلى عنه وصبه أسرى إلى
جانب الأمير أرسلان الجاذب في السلطان يمين الدولة وأمين الملة
في رحقة السهم المارق والرجم المقذوف على المارد السارق مستغيثا به
عارض الباس مستبقيا روحا معلقة بخيط الياس فآواه وقبله ولثم
على جناحه رحمة له وكتب إلى أركان الدولة في بابه ما أطلّ عليه سعاية أبيه
وعلى دونه بكاية قصه وبحثه وجاذر الفاسق المارق أضاحه بأجر
وبلده كما افتضح من قبله إذ دوى الله صدره وقبح أباه فلم يزل يلقاه بنعوذه
المحاربين ورقبة النزارين حتى أوقضه ما لا سذ به منجح بابه ورد معه
غذوي أمتعاضه وشابه كان المقنع حين استقر من النجاة واستوجب
الأمن والأمان فلو نقب عن منافس قتوهو ومنافخ جلده وعروقه
لانطحت حيلا تعجز كل صابغ وصواغ وتعلب بين الوحوش رواغ
وما زال هذا المذكور يختلف به السرج والكور إلى أن قدم شمس الكفاة
وزير السلطان يمين الدولة وأمين الملة سروة الرود مستوفيا على العمال

بثا بالارتفاعات والاموال يحج اليه لاذا بكنفه وعائذا بوافقة الكرام
وراقية الانام من شرفه ومنتزرا جلالية الظلم الذي ضرسه بجرية ومتصد
مقص الملحاج عارب نعيب ومواطن لسانه فراش التقية طاعة لله في
لزوم الاجنة اموصيانة للعرض من سموم الذام الى ان حرث
مطالبة العتال اباه الى مثوا من باب ولي نعمته ومولاه فلم صرع
اليه فانقمع وخشع فاجع وتلطف فا افرو استعطف فما سمع ولا ابصر
حتى اذا عارضه الرد بحجابه وكلمه الياس من وراء نقابه باح على شمس
الكلفة ببعض تلك المحاربة وصنت اجرما من الوان تلك الاما رتو واشعر
ان صنيعته لم تجم منه الاجاحد الايادي مخالفا مساويه ومواليا لاعاديه
مخالفا لكرمه المخالطة مواليه ببراهين كاسطع الصباح البادي واوقع
النار الحاشرة مفرطة بصحائح الاقوال مشفعة بفضائح الافعال فلولا كرم
عدي بيانه وتجرى على مشكه وبانه لارجمه رجم العفرية وضربه بالنفط
والكبريت لكنه رأي ان يضم عليه طرفي بساطه ويستبقي بختوم سبيل
بين جزن ورباط تقدما لشفاعة المشيب وتفويضا الى ما وراءه من
الاجل القريب وان عالما سمع او نظر وروى او خبر بما يناسبه الا

من ذكر شيخ معاينة احداث ولومه منكب وفضله ميراث ولما تاسع اهل
جمله ما ركد من ريحه وطهر من دغوة صريحه تبادروا الى منفصل الظلامات
صادحين كما تنشق بها الجوبات الاعداد وجهوا في السعي جميع البلاد
واختلفوا الى المظالم فمن قائل هتك حرمته واخر انهك نعمته وثالث
انتهبت ثيابه ورابع طلقت عليه حليلته وخامس قيل على النصب اخوه وابوه
وسادس جذرت على المعروف بشرته وفقئت عينه فمنهم من وصل
فسعد بالانصاف ومنهم من حذر فشقي على باب الانصراف ورأى يعض
الكفاة ان تسلك به شعب المجاملة فطلم بطرفه على نبات مساويه وسد
عن مسامع السلطان خبائث افعاله ودواهيه واضمر نداء الظالم عن
شريف ناديه فعاد المذكور ورآه مخذولا ومغلولا واراد الله ان
يقضي به امرا كان مفعولا ولما رأي ان قد صحت عليه افعاله و
ضحكت منه حيله واذعاله وان الالسن مضغته حين اطاع
عبدا مملوكا في معصية خالقه ووصل بهوة التجور في قطيعة ولده
وعمر اطلال مشيعته بخراب آخرته وثب به وثوب الثائر الموتور
والجانث المسعور يرجع ما جلا على المسوقة وقام من ثمن الانفراد

لسلعة ذلك السوق ويرى أن صبغة ذلك حجبه من الإلاهة ويقنيه
بأنه لا ليس الذاته فاستزدته ما نحلته من صداق ورجع عليه بقيمة ما أقره
من مجاجة أشداق وعراه عما أعطاه بعد ما علاه واستطاه وبطحه بطحا
بعد أن بطحه لوطي البواطن بتبذ لامه جرده طالما استمها بشغربه
وكنها بعقار ضيعه وقد اهلها بنفسه وابويه وقد علمها اجده والذيه هذا
والله الجود لا ما يبنى عن حاتم العرب ويروى عن سادات بني عبد
المطلب فلجا الله من رضي بها النفس سيرة وجاءها على ما يخ الاجناب
كنزا وذخيرة إنه وداب الاستار بجلبه لا ارذل من والغ في جيفة
مقلوب وأنذل من طامع في شريطة مغلوب إن كان ما أتاه انتهاما
فهلا ذلك والولد حي في اليد من ملك للجار حتى الآن وقد سبق
السيف العذل وقد فعل القضاء ما فعل أو زدا وقد ذهب الماء وشينا
وقد أصبح الماء وغيض وقد سقط الندا وشيء وانقطع السؤال
وهيهات هيهات لظن جائل وراي فائل وظل زائل وورد ما ثائلخ
إنها النفس أجمل جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا وايمانه مستقر
لذته ومقصرة بنوته للانقطاع إلى بعض كبرآء الأمراء فقبله وآواه

وانتزعه من قبضة مولاه مراغمة كونه بنار أضغانه وشوته على
جمار غمومه واشجانه فلا حميم ولا قريب ولا ولي ولا حبيب ولا
والد ولا مولود ولا عابد ولا معبود فأما الشرع وطريقة الدين
وتحقيقه فمجملا به إن فيه وضوح عين الجلال على شق احكامها
وسفه أحلامها لعينه دون شرح الحال وترجيحه تبليغ لباب
المقال وتفصيحها مقبرا أن التقرب إلى الرسول المصطفى الأبطحي
المجتبى صلى الله عليه وعلى آله بقوله اذكروا الفاسق بما فيه يقتضي
التنبيه على مخازيه لتحصيل الجفا بأكمل وجهاته وتنكيلا لاطلاع
وزوايا فلعل الأفاضل ان جاورته على البريد قريبا من سنتين
فلا والله إن تصحبت الأحداق به في المسجد الجامع للفرض إلا
يوما واحدا كبيضة العقر أو كعقبة البكر فما أدري أخطأت
به خطاه أم ألجأه عذر تخوف عقباه وقد كاد بأجلت الصلاة
فقال مازحا وما صدقك إلا مازح أو سكران قام بعضهم وهو يسعى
يوم جمعة للفرض وقد نودي للصلاة فقال لصاحبه كأنك ان
أربعة من خير البيوت خير من اثنين من عمل السوق وقد كان من

طريق النحو سائغ للتأويل على وجه الملح، ولكن من هذا قبله ونزل
العبادات سبيله، فلا عبد يعتاد، ولا فرض كما يقتضيه العباد
يحال به عن اليقين للإلحاد، وتلقى أوامر الشرع بالعناد، والطف
قول الغلام الواصف مولاه: إنه ليعز عليه الشتم ويلحن في الإعراب
ويصلي من قعود، ويبكي من قيام، ينحني إلى صورة حاله، ويأوي إلى مقصورة
خبثه وضلاله، فجل أحواله عيوب، ومعظم أفعاله ذنوب

يصلي فيخفض أركانه، ويشتهي فينصب سيقانه
يخاطب بالكاف إخوانه، ويشتم بالراي غلمانه
ويكفت للستر أكمامه، ويتجنب للإثم أردانه

ومن نادرة البلد أعجبنا ذاته، الأمير الأجل وعيد الأيدي ثم لا يبقي
محظورا ومحجورا ولا يستبقي عملا موزورا ومنكرا من القول وزورا
فما هو طرح مستهدي به مال رجل كان انقطع إليه منذ زمان بأمان
فاعتدى به [illegible] له تعصب من الآسن بريعة فكله كان بما إذ هو
رضيع وعلى حداثة العجز صريع، ولقنه استعداء الأمير الأجل أبي
سعيد مسعود بن يمين الدولة وأمين الملة عليه، وتنجز الأمر في معنى

الانتصار

الانتصاب إليه فيتبه ذلك الأمير الألمعي، والسيد اللوذعي، على باطن
كيده وباطن ختله بما صار فأمر بالكتاب إلى [illegible] لتعرف الحال، وتجنب
جانب الإجمال والانتداب لأعداء الشاكي على خصمه، وإمضاء حكم الله
في أمته، فلما أحس أخو دلة المحتال أن حدسه قد فال، وظنه قد استحال
وسعيه إلى الثبور قد مال، سمع شهود الزور أن يتدعوا الحق فيما
بذلوا من خطوطهم ترغيبا وترهيبا ثم رضوا العول وادعوا على ما لهم
الحول ومال المزور إلى التوسط عن أرش المشتاح دماغه على أن يدرهم
قيمتها خمسة دنانير فلم أدر أنه بحيلة وبحث بأن ديات الأمهات على
هذين العسكرين فما في الإسلام له ذكر معلوم، ولا في الفقه باب مرقوم
ولا عند أهل الكتاب أمر محتوم، ولا في دار الشرك رسم مرسوم، ولا
في فطر النفوس أن تنزل عن أمهاتها مقتولة، هذا الوكس والشن
البخس، ولا الخائن [illegible] والشرود لو نطقت تصيح عن واضعها بمثله
وكم قذفت وأقول: إنها ليست دية تودية أو ودية بل هي دية نسية
مثلية، قد حقن الله دمها إلا بأجدى ثلث نصا عن رسول رب العالمين
صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، فهل يستجاز الترخص في هذه الأحكام

إلا المستخف بدين الإسلام أما إن المحكوم عليه لم يلتزمها إلا بعد
قومت مائة وعشرين فقال المخلوع المخدوع بالله لا ذهبت بهذا
العين ولا شربت الدم لحام باللبن وهم بالرحيل في أمر الفيل
فاغتيل فلم يدر أأكلته النار أم شربته الماء أم التقطته الأرض أو اختطفته
السماء فلله هو من دمن ذهب بطرا وشخص قصدا عيلة وسحا
عدا والله الدين السليم والعقد الحكيم والأمر القويم والنهج
المستقيم والمبالاة بما وراءه الجحيم وما يرتبه إدام الله المنايح
فصوحا ونبذ هذه المقدمات وضوحا ما كانت الأخبار تتناهد
به من استحلاله عند الإشفاق من لواحق جناياته على سلطان
زمانه وزعا بالجهل ونكايته حتى ما يجب إليه من صلح وعقابد
وبايع وذا لما هب ذكره الأسماع ويتناصر دونه الاطلاع حتى
إذا اخلولق واستقام على انقلاع المراد شذره يرمي على ما فعل
ورجع فيما بذل وفصل بالفسخ كل ما أجمل فكان هذا اللاع يقرب
تاره من الإمكان ويبعد أخرى حتى أغنى شخص العيان عن الخبر
وكانت شمس البيان عن القمر وذلك حين بعث السلطان يمين الدولة

وأمين

وأمين الملة قاضي قضاته أبا محمد عبد الله بن محمد الناصحي إلى الديار
خراسان لتدارك أمور الأوقاف وانتزاع ما اقتسمته أيدي
التسلط والاختطاف فرفع إليه خليفته وأبا حامد والى الحبال
ما يزيد ويصدر ناظرا بما تنزل عليه من إخراجاته ما يقارب
مائة ألف دينار من أوقاف وضع عليها حماية التملك وسوقة التغلب
والتحجر كما غابها أفواه أربابها دون التظلم وعدد دونه
دقائق السراب ووعيد عنده قوائم الرقاب حتى درج عليها
قرن بعد قرن آيسين عن الإنصاف وخلف من بعدهم خلف
قانعين من دونه بالكفاف فأوحى إليه بإنعام الاستقصاء على
خلو أمانة القضاء فقام فيه وقعد وأبرق وأرعد وانتزع
ما لا عطتها من تحت أضراسه وجده بالافتضاح إن تعرض
لمراسه وكان قصاراه أن سكن وسكت وجثى أسوة أمثاله العنت
وأحضر الرحل طواغيت الشهود وعفاريت السوق والمردود وعقد
يستشهدهم على شهاداتهم وثانيه وفقه كل ما ملك وإطلاقه على وجه
الله جميع ما أمسك درهما فعلا أن المتنصح بها حيث يد من قليل

وكبير وزاهد وغير براءة من الطمع في مال الغير موقوف وعرض
إلى وجوه القربات مصروف فلم يتراخ الامد على هذا العقد الوثيق
والجد لان المنية بالتوفيق حتى قال لي وهو يشكو الوزير شمس الكفاة
وما عد اباطيل السفه ما هو الا ان احل عقود املاكي هذه على
طفرة الى العراق بانيا خرابا زوا هلها وقاليا قرانة الميلاد وبيانه
الطارف والتلاد منها فقلت انا لله وانا اليه راجعون من شيخ هذه
بقيته وما ينطق به على وجه الاستحلال وغيظ العجز عن املاك
الرجال بقيته هذا ومن فضل سماحته واساحته قبض الجهة
ان كل من سالكه في حيلته على عمل يليه او مال يجبيه كالة ما شاء
جزافا وزنه تبذيرا واسرافا استجيدا فالشاهد انهم لم يجودوا
تحته جدوا الكرام بموجود حتى اذا قضى الوطر منهم وملك نشطة
الاستغناء عنهم تبع عليهم صبابات القدود وخلالات الثغور
وقامات الاطلاف وصواحات الاصوات وجعل المطعوم في آنية
الذهب المصون والمشروب بآنية الجوهر المخزون والدرهم الواحد
قنطارا لو جد ثيابا ودواوين المشرق مطاردا نسعاية من تحت اذونه

ورثت

ارثت على دمنة القوم جرثومته فبعد ذلك عنه العامل والجار والاهل
مصبوبا مذ امتدابه موضوعا بابه شرابه وطعامه مفجوعا باقتناء
غابر ايامه مخدوعا عن شهادة خمس صحيفة اثامه وقد خسف
على فرجه كلتي يديه يبارى فيه عدوه الشكل وينادي لبيك اللهم
لبيك وليت هذه من اثار عجائب كون اخبار وسدول الاستار
دون اسراره وقصور يد الاستغنام من معقد ازراره غير ان كل شيء
امدا وابى الله ان يفلح الظالم ابدا الا ان المال يعزز الماء ويحقن
الدماء ويجمع الاهواء ويدفع الفقر ويبشر العوادي والعود ابدا
ولقد بالغ ابو الفتح البستي حيث يقول

اشفق على الدرهم والعين ... تسلم من العيبة والدين
فقوة العين بانسانها ... وقوة الانسان بالعين

غير ان المال متى سلب الجمال واورث البخل والنكال فهو وبال ولا الذي
مطلوبا والذنب مكتوبا والانف مجدوعا والباب مقطوعا فيفتح الله
الاعراض متى دنست الاعراض والاموال من الطحت السربال والاملاك
متى غضت الاوباك والحاجب متى ابدت المعايب فاما هو البدو ومطاعمه

محذوها البكم بأنادكا النفتجا الاصابع والنسف الكعوب والقوارع
إنه يغدو ومع صغير العصافير على اطعمة توفيلها حشا كما حشا
الدقيق جرابه واثقل الرصاص كعابه فما هو الا أن يذود ورش الشمس
على صلابات الجدران حتى كان أولاد البقر تجر فواده وكان الطليم
يدعي فيه ميلاده فيتعدى بالقول منه وعاده وما يجانبه من عمل السوق
شهوة واراده حتى اذا اطفح كالبرلوطس متح كفه وقبض الكف على قرم لا يطير
دراجنه ولا ينثني دون الجذب بحاجته فاذا انتصف النهار وكاد
والنحف للحرباء الاجادة دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وما يقيم رمسه
الصلف فاجتمع من كل حلو وحامض واستلا من كل كبد وفايض حتى يخشى
عليه في الصفاق من الانشقاق وفي العروق من الفتوق فيظل باقي النهار
يشكو امعاه معاوية وخلا خاوية حتى اذا جنح شمس النهار للأصيل
وهم الطفل على الليل بالتطفيل اعيد على الطابخ والغروف وحشر إليه
الشراطف والشروف ثم يولي لجنبه ملفائف كالاضابير مطوية والطوامير
مختومة ومسجية وربما نغار بعض ساعات الليل فنادى بالجوع ويلاقي
الطهاة بالشروع فيحاش بحالة الوقت من مستودعات الباسوف

ومطحنات الطيور والغرابين فيتخذ عليها من غير قيام ويتيحرينا
لغير صيام طعاما لا يشركه فيه غير الملائكة حاضرة والكواكب من محاجر
الطلاء رباطر في الارض وهي الغاية في الالتقام والالتهام ولا
الدعض وهو النهاية في الاستفاف والازدراد بما لم منه لولا ما آد
زاده ولا اجرع لولا فضاء انفاده ومن نادر اسيه في المعاقرة انه كتب
صيابة التنقل من الصبوح الى الغبوق والتردد بين الفجور والفسوق
فإن نشط للتنزه شد أعاقد الاكناف كما تعود معاقد الاخفاف
فيتها ذي يمني اثني جرضانة جلد شيطان وجيفة في صورة انعوان
قد نجم منها شوح النخل الرماكة صنيع الداهية بالضحاك وربما
بقي في الارض سنة او اكثر سقفا من كلف الجذمة لولي النعمة وتجشم
المسير الى باب الوزير فيرتشو على العال بما لا ويخلو حوج الاطباء
واصحاب الاهواء فرطا حفا فا وبذورا ثنا الا ولتر هذا الاجبال
باغرب من اكتابه الزمانة على شيع الطبايع وشموس النفوس دون
الاصغاء اليه فضلا عن الترادد عليها فسبحان من خلق النفوس اطوارا
وجبل من الهمم انجادا واغوارا فهذا من اعيان مساوي هذا الفاضل

العاطل ولو سردت أمثالها لطال الكلام وعاق الإبرام ووراءها من دقائق
الظلم المذموم والدغل المكتوم وثقل الجيرة والذل المبلول بلعاب
اللؤم ما يربي على دقائق الأبراج وأجزاء جواهر الأمشاج والصبر
على الإصرار كبائر كما أن ذنب السعود على الأيام غدائر ولقد أحسن
ابن المعتز حيث يقول — خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى ❊ وما أقتضي التنبيه على معايب
المذكور ومعايبه والقبض عن بسط عقائصه وذوائبه مقابلة صنائع
لي عنده أيام آل سامان وبعدها من قضيته وعهد رعيته وغيب
طويته وسر أخفيته وشغل كفيته ودر أوليته بأن كاشفني بالعداوة
جمعتني وولده المغتبط أبا المظفر رحمه الله بعد أن لم يرح لعظيم
سبلها صفاته ولا لبهيم ليلها انقضاؤه وذلك لأن شمس الكفاة ندبني
لمجاورته وتقمص لي خير ابتغاء مكافأته على خدمتي دولة السلطان
يمين الدولة وأمين الملة باليميني في شرح أخباره ومدح مقاماته في
غزواته وأنصاره فما زال يسري إليه عني نميمة كقطار ديمته وفتنة كسراب
بقيعة على غفلتي دون ما ينصبه لي من شركه ويهيجه من عقاربه

في حقه كما وعن غرض بحيثيته نافر وإلى مرموق بعين الكفاءة بنا
استحقاق صدر الوزارة مائل وفي شعب الاختصاص به والانقطاع
إليه سائل أكذوبة لم يخلق الله لها رأسا ولا ذنبا ولم يضرب لها وتدا ولا
طنبا ودمنة لم يهتد دمنة لنشر جواهرها ومصفوف كلامها وأباطيل
حتى ما حم على الليث موتورا والنثر مخرجا ومفروا أفكم [illegible]
استنزلته عن حرابه وشبابه وجهدت حتى نجوت منه د أشار ابن
وطفقت أنشد وقد فارقته سالما ❊
إذا لجن أبناء اللئيم بأنسر كرائم رجت أمر الحجاب رجاؤها ❊
فأنسنا خير الغنيمة إنها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها ❊
وأغرى بي بدر الملك ابن شمسه يمين الدولة وأمين الملة في عظيمة لولا
أن ألهمه الله الأناة وأشعره الحصاة فنقر ونقب واستشف
أعطاف البلاغ بقول من جرب ودرب لثارت علي منه داهية
لا تبقي ولا تذر ولاستطارت عاقبة تقضي عليها الشعر والبشر ❊
فمن الله تعالى بأن فضح الناصح فيما زوره وكشف وجهه وكوره وأهواه
فيما حفره وختمه بقوى ما صنعه وسخم وجهه بسوء الأفعال ❊

وكشف عورته بفحول الرجال، وجعله عبرة للغابرين بشرح هذه الاحوال
فمن قرأ هذه الفصول فليحمد الله على السلامة من مثلها والبراءة من
فوادح الاوزار، وقوادح الانداد بها وليعلم ان الاساءة تعقب على
الايام عنا ثقيلا، وعتبا وبيلا، وخطبا جليلا، ولسانا كالحسام صقيلا،
وقبح الله من نقص عمره على زيادة الآثام، ومساءة الانام وجازه
الملام، ويرحم الله عبدا قال آمينا، والحمد لله كفاء افضاله
والصلوة على نبيه محمد خير البرية وآله

کتابخانه موزه و مرکز اسناد ... اسلامی
۱۷۰۲
... تاسیس ۱۳۰۲